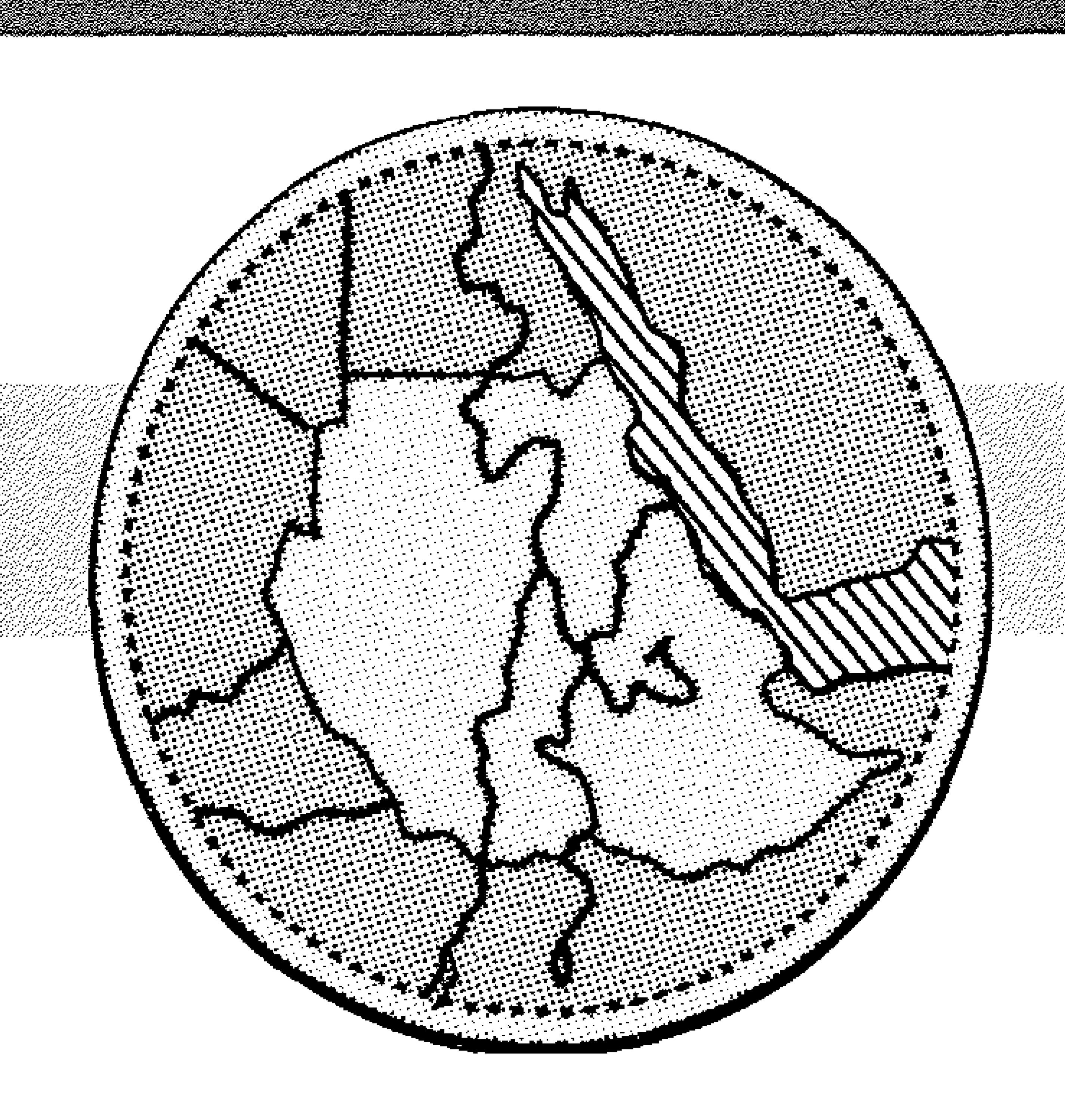
دبلوماسية الحدود في أفريقيا



حدود السودان الغربية مع تشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا

بحث

التطورات الدبلوماسية
والمراكز القانونية

الدكتور
البخاري عبدالله الجعلي

دبلوماسية الحدود في أفريقيا

حدود السودان الغربية مع تشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا

الدكتور البخاري عبد الله الجعلي

الشركة العالمية للنشر والتوزيع

حدود السودان الغربية

مع

تشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا

بحث

التطورات الدبلوماسية والمراكز القانونية

الدكتور

البخاري عبدالله الجعلي

* دكتوراه في القانون الدولي – جامعة لندن .
* ماجستير القوانين – جامعة لندن .
* أستاذ القانون الدولي المشارك .
* رئيس قسم القانون العام
* جامعة النيلين السودان .
* رئيس لجنة الحدود الدولية السودانية السابق .
* وكيل وزارة الشؤون الداخلية السابق .

الطبعة الأولى
الدوحة ٢٠٠٤-

الشركة العالمية للطباعة والنشر
الخرطوم ـــ ت : ٠٠٢٤٩٩١٢٩٤٤٤٧٥
القاهرة ـــ ت : ٠٠٢٠١٢٧٩١٠٤٣١

الإهداء

إلى أستاذنا أمير الصاوي ،،،،

وكيل وزارة الداخلية الأسبق

عميد الخدمة المدنية الأسبق

سفير السودان الأسبق في المملكة المتحدة

رئيس لجنة الحدود الدولية الأسبق

تقديراً واحتراماً وعرفاناً ،،،

المحتويات

الموضـــــــوع :	ص

القسم الأول :

الحدود بين السودان وجمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد

الباب الأول :

الأصول التاريخية والقانونية لحدود السودان مع جمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد ١٧

الباب الثاني :

حكومة السودان وسلطنة دارفور ١٨٩٩-١٩٠٥م ٢٥

الباب الثالث :

موقف علي دينار بعد احتلال وداي والتوسع الفرنسي شرقاً ٣١

الباب الرابع :

سلاطين يدافع عن تبعية دار مساليت ودار تاما ودار قمر إلى دارفور ٣٥

الباب الخامس :

بداية النزاع الدبلوماسي بين الحكومتين البريطانية والفرنسية حول الوضع القانوني للحدود بين دارفور ووداي ٤١

الباب السادس :

مبادرة الحكومة البريطانية لتسوية النزاع بالتحكيم ٤٦

الباب السابع :

اتفاق الحكومتين لرفع النزاع للتحكيم ثم تأجيله ٥٥

الباب الثامن :

معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية والبدء في تخطيط الحدود ٦٦

الباب التاسع :

إشكاليات تفسير معاهدات الحدود على الأرض ٧٥

الباب العاشر :

مفاوضات لندن وإبرام بروتوكول ١٩٢٤م الإنجليزي الفرنسي بشأن تخطيط الحدود الغربية ٨٣

الباب الحادي عشر :

أثر الاستقلال على الحدود الموروثة من الاستعمار في القانون الدولي ٩٠

الباب الثاني عشر :

الأوضاع على الحدود المشتركة بعد الاستقلال بين السودان وتشاد :١٩٦٠يونيو ١٩٨٩م ومدى أثرها علي المركز القانوني للحدود ٩٤

الباب الثالث عشر :

الأوضاع على الحدود المشتركة بعد الاستقلال بين السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى : ١٩٦٠ – ٢٠٠٣م ومدى أثرها على المركز القانوني للحدود ١٠٦

الباب الرابع عشر :

تخطيط الحدود الدولية في القانون والتطبيق ١١٣

الباب الخامس عشر :

اتفاق السودان وتشاد على الشروع في إعادة وضع علامات تخطيط الحدود ١٢٤

الباب السادس عشر :

إعادة وضع علامات تخطيط الحدود المشتركة بين السودان وتشاد ١٢٩

الباب السابع عشر :

إصرار الدولتين لتكملة إعادة وضع العلامات الحدودية ١٣٩

القسم الثاني :

الحدود بين السودان وليبيا

الباب الأول :

الأصول التاريخية والقانونية لحدود السودان مع ليبيا ١٤٩

الباب الثاني :

تقاطع الحقوق الاقتصادية والدينية للدولة العثمانية مع مصالح بريطانيا وفرنسا وايطاليا ١٥٥

الباب الثالث :

إيطاليا تسعى لإثبات تعارض حدود معاهدة ١٩١٩م مع حدود إعلان مارس ١٨٩٩م ١٦١

الباب الرابع :

الحكومتان البريطانية والفرنسية تكتشفان في ١٩٢٣ أن الحكومة التركية احتجت على إعلان مارس ١٨٩٩م بعد إصداره بوقت وجيز ١٧١

الباب الخامس :

احتلال إيطاليا للكفرة وإشكالية موقع العوينات تثيران الاهتمام البريطاني بالحدود السودانية الليبية ١٧٧

الباب السادس :

الإيطاليون يتوغلون جنوباً والبريطانيون يقومون باستكشافات جوية في العوينات ومثلث الساره ١٨٤

الباب السابع :

بريطانيا تتخلى عن مثلث الساره السوداني لإيطاليا على أسس سياسية ١٩٠

الباب الثامن :

تبادل المذكرات بشأن التسوية النهائية للحدود بين السودان وليبيا ١٩٦

ـ خاتمة ٢٠٣

ـ الملاحق: ٢١٥

مقدمة

تكتسب قضايا الحدود أهمية بالغة في القانون الدولي وفي العلاقات الدولية. فهي في إيجاز هي التي تحدد أين تنتهي سيادة الدولة وأين تبدأ سيادة الدولة أو الدول الأخرى. ولعل من المهم التذكير بأن للسودان حدوداً دولية برية عديدة وطويلة كما أن له حدوداً بحرية أيضاً ، وهي خاصية يتميز بها السودان عن الكثير من دول العالم . وحسبنا التنويه بأن للسودان حدوداً مشتركة مع تسع دول هي : **مصر وإريتريا وإثيوبيا وكينيا ويوغندا والكونغو وأفريقيا الوسطى وتشاد وليبيا** . ذلك بالإضافة إلى حدوده البحرية المواجهة للملكة العربية السعودية والمجاورة لمصر وإريتريا .

ويمكننا القول إن بحث ودراسة حدود السودان الدولية يشكل في حد ذاته صورة مركزة لكل مشكلات وقضايا ونزاعات الحدود في أفريقيا من حيث النوعية والأسباب وأسلوب وكيفية المعالجات . ولقد كان لكل ذلك ما شحذنا للاهتمام بموضوع حدود السودان منذ زمن مبكر . فكانت البداية ، مقرراً مساعداً للجنة الحدود الدولية السودانية ، ثم مقرراً لها ورئيساً لإدارة الحدود الدولية السودانية بوزارة الداخلية ، وعضواً في اللجان الفنية المشتركة للحدود مع الدول المجاورة ، ثم رئيساً للجانب السوداني في تلك اللجان وأخيراً وليس آخراً رئيساً للجنة الحدود الدولية السودانية بحكم موقعنا كوكيل لوزارة الشؤون الداخلية ١٩٨٠-١٩٩٠م .

لذلك كان موضوع رسالتنا لنيل الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة لنـــدن فـــي ١٩٧٥م بعنوان {**التطورات الدبلوماسية والجوانب القانونية لحدود الســـودان الدوليـــة**} ثمرة لذلك الغرس . وهذا الكتاب يشكل في أصله فصلين من تلك الرســـالة التـــي كتبـــت أصلاً باللغة الإنجليزية . ولقد سبق لنا أن نقلنا فصلاً منها إلى اللغة العربيـــة فـــي كتابنـــا الأول عام ١٩٨٠م بعنوان {**حدود السودان مع إثيوبيا**} . وعندما أصبحت إريتريـــا دولـــة مستقلة في ١٩٩٣م أصدرنا كتابنا الثاني عام ٢٠٠٠م بعنوان {**حدود السودان الشرقية مـــع إثيوبيا وإريتريا : النزاع الحدودي والمركز القانوني**} . وها نحن ننفذ وعداً قطعناه علـــى أنفسنا فنصدر كتابنا الثالث بعنوان {**حدود السودان الغربية مع تشاد وأفريقيـــا الوســـطى وليبيا : التطورات الدبلوماسية والمراكز القانونية**} .

وكما يعكس عنوان هذا الكتاب فإنه يتكون من قسمين . يعنى القسم الأول بـــالحدود بين السودان وجمهوريتي تشاد وأفريقيا الوسطى . ويجيء بحثنا لهذه الحـــدود فـــي قســـم موحد لأن الأصول القانونية التي تحكم الحدود بين السودان وأفريقيا الوســـطى هـــي ذات الأصول القانونية التي تحكم الحدود بين السودان وتشاد . وأما القسم الثاني فقـــد أفردنـــاه لبحث ودراسة الحدود بين السودان وليبيا . وإذا كانت الأصول القانونية لهذه الحـــدود ، أي الحدود بين السودان وليبيا ، في مبتداها هي ذات الأصول التي نشأت عنها الحـــدود بيـــن السودان وجمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد ، إلا أن كلا منها انتهت على نحو مختلـــف. فالحدود مع ليبيا تمت تسويتها النهائية ، كما سنقرأ في القسم الثـــاني مـــن هـــذا الكتـــاب، بموجب تبادل مذكرات بين الحكومتين البريطانية والمصرية من ناحية والحكومة الإيطاليـــة من ناحية أخرى وذلك في ١٩٣٤م . أما الحدود مع جمهوريتي أفريقيا الوســـطى وتشـــاد، كما سنقرأ في القسم الأول من الكتاب ، فقد تمت تســـويتها بموجـــب بروتوكـــول ١٩٢٤م المبرم بين الحكومتين البريطانية والفرنسية. لذلك كانت التطورات الدبلوماسية التـــي أدت لتلك النهايات متباينة على نحو يعكـــس بوضـــوح الأســـاليب التـــي أدارت بـــها الـــدول الاستعمارية دبلوماسية الحدود في أفريقيا .

وغني عن التنويه أن هذا السفر وتوأمه السابق ما كان لهما الصدور لـــولا مشـــوار طويل وجهد مرير ، في شتاءات لندن القارصة وغربتها الموحشه ، بحثاً وتنقيبـــاً وتـــأملاً في ملفات وزارة الخارجية البريطانية ، ووزارة المستعمرات ، المحفوظة في دار الوثـــائق الرسمية في ضواحي لندن . ذلك بالإضافة لما نهلناه من مكتبة معهد الدراســـات القانونيـــة

المتقدمة بجامعة لندن ، والذي تشرفت بعضوية مجلس إدارته ممثلاً للباحثين عام ١٩٧٣م، ومكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن . وكذلك دار الوثائق القومية بالخرطوم وملفات إدارة الحدود الدولية بوزارة الداخلية السودانية .

وسيلاحظ القارئ لهذا الكتاب أن الأبواب الثلاثة الأخيرة من القسم الأول ، ونعني بها الأبواب الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر ، قد بحثنا فيها بشيء من التفصيل التطور الدبلوماسي والقانوني الذي طرأ على حدود السودان مع تشاد على وجه الخصوص . فإذا كان المفهوم الحديث لصناعة الحدود ينطوي على تعيين الحدود Delimitation وتخطيط الحدود Demarcation وإعادة وضع علامات تخطيط الحدود Re-Demarcation وتكثيف الحدود Condensation وحفظ ووقاية الحدود Preservation ، فإن وزارة الداخلية السودانية قد بذلت جهداً مقدراً في سبيل تحقيق هذه المفاهيم . فلقد استغلت العلاقات السياسية الجيدة بين السودان وتشاد ، في العقد الأخير من القرن الماضي {١٩٩٠-٢٠٠٠} فدفعت بموضوع إعادة وضع معالم تخطيط الحدود إلى حيز الواقع محققة بذلك إنجازاً هاماً يستحق الإشادة والتنويه .

ويجدر بنا ونحن مع نهاية هذه المقدمة، أن نشكر كل من قدم لنا التشجيع والدعم والتعضيد ، طوال ذلك المشوار الطويل والمرير ، وقد أشرنا لهم جميعاً في صدر الرسالة. بيد أنه لا مناص أبداً من أن نكرر الاعتراف والشكر والتقدير لأستاذنا السيد أمير الصاوي الوكيل الأسبق لوزارة الداخلية والرئيس الأسبق للجنة الحدود الدولية السودانية ، وسفير السودان الأسبق بالمملكة المتحدة ، الذي كان أول من اهتم بموضوع حدودنا الدولية منذ مطلع الاستقلال . والذي يعود له أيضاً الفضل كل الفضل بعد الله عز وجل ، لتوجيهنا لموضوع الاهتمام والبحث والدراسة لحدود السودان الدولية ، لذلك نهدي له هذا السفر تقديراً واحتراماً وعرفاناً . والشكر موصول لكل العاملين في إدارة الحدود الدولية بوزارة الداخلية السودانية وكذلك للأخ الأستاذ زهير الجميعابي الذي تفضل بطباعة مادة هذا الكتاب في الحاسوب . وللأخ الأستاذ علي عبد الله الذي تفضل بإعداد الخرائط الملحقة بالكتاب.

وإذ نطرح هذا السفر في سياق مواصلتنا لهذا الجـــهد وذلـــك المشـــوار الطويـــل والمرير، بتكريس أغلى ما نملك في سبيل الدفاع عن كل ذرة مـــن تـــراب هـــذا الوطـــن الحبيب ، لنسأل الله العلي القدير أن يحفظ بلدنا من كل مكروه ويحميه من كل معتدٍ أثيـــم ، إنه نعم المولى ونعم النصير . وخير ما نختتم به قول عزّ من قائل {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسـاً إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَـــا رَبَّنَـــا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَـــةَ لَنَـــا بِـــهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَـــوْمِ الْكَـــافِرِينَ} صـــدق الله العظيم

الدكتور

البخاري عبدالله الجعلي

الدوحة مارس ٢٠٠٤م .

القسم الأول

الحدود بين السودان
وجمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد

الباب الأول

الأصول التاريخية والقانونية لحدود السودان مع جمهوريتي تشاد وأفريقيا الوسطى

١ــ تحديد مناطق النفوذ بموجب معاهدة يونيو ١٨٩٨م الإنجليزية الفرنسية .

٢ــ اتفاقية يناير ١٨٩٩م الإنجليزية المصرية بشأن إدارة السودان في المستقبل .

٣ــ إعلان مارس ١٩٨٨م الإنجليزي الفرنسي واحتلال فشودة .

٤ــ هل اتجهت نية الدولتين المتعاقدتين نحو تخطيط الحدود وليس تعيينها فقط؟.

حرصت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا على أثر مؤتمر برلين {١٨٨٤-١٨٨٥م} [١] على السعي بقوة لحيازة أقاليم شاسعة في أفريقيا تحت مظلة ما عرف بتحديد **{مناطق النفوذ}** Sphere of Influence [٢]. وقد أخذ ذلك السعي شكلاً محموماً مما برر تسميته تاريخياً بالسباق من أجل أفريقيا Scramble for Africa [٣]. في ذلك السياق رسمت بريطانيا وفرنسا حيازاتهما ومناطق نفوذهما في غربي أفريقيا وبصفة خاصة في الأراضي التي تقع إلى الشرق والغرب من نهر النيجر .

نقرأ ذلك في معاهدة الرابع عشر من يونيو ١٨٩٨م ، فبعد أن تم تعريف الحدود الشمالية لنيجريا اتفقت الدولتان بموجب المادة الرابعة على أن : { تعترف حكومة الجمهورية الفرنسية بأن الإقليم الواقع في شرقي النيجر .... يندرج في نطاق النفوذ

---

(١) انظر: Lucas, C., The Partition and Colonization of Africa, Oxford, 1922,pp.42-60

(٢) انظر: بحثنا الموسوم (الذرائع القانونية والدبلوماسية للتوسع الإمبريالي في أفريقيا) مجلة العلوم الاجتماعية ،جامعة الكويت ١٩٨٠ .

(٣) نفس المرجع السابق .

البريطاني} وبالمقابل اعترفت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بأن {الإقليم الواقع إلى الشمال والشرق والجنوب من شواطئ بحيرة تشاد .... يندرج في نطاق النفوذ الفرنسي} (٤) .

لقد حققت تلك الصفقة مناطق نفوذ شاسعة واسعة المدى لفرنسا شمالاً وجنوباً وشرقاً من بحيرة تشاد ، ويهمنا في هذا السياق أن حدود نفوذ فرنسا الشرقية في اتجاه السودان غير محددة . ولا شك أن عدم اهتمام بريطانيا بتلك المسألة في ذلك التوقيت يعود إلى أن {تقنين} فتحها للسودان لم يكن قد اكتمل وإن كان قد بلغ شوطاً مقدراً (٥). ويلاحظ أن الدولتين تعاقدتا بموجب المادة السابعة من ذات المعاهدة بعدم القيام بأي عمل سياسي في منطقة نفوذ الدولة الأخرى .فقد نصت المادة على أنه **{من المفهوم من المواد السابقة أن كل دولة لن تقوم بالاستيلاء على أراض أو إبرام أي اتفاقيات أو قبول حقوق سيادية تتعلق بمحميات في منطقة نفوذ الدولة الأخرى كما أنها لن تمنع أو تنازع في نفوذ الدولة الأخرى}** .

لكن فرنسا – كما يبدو – لم تكن مقتنعة بفحوى التزامها بالمادة السابعة من تلك المعاهدة ، فقد وضح بعد وقت قصير جداً أنها غير مستعدة بقبول مسألة إخلاء السودان من قبل الحكومة المصرية . وبالتأكيد لم تكن مهيأة بعد للاعتراف بحقوق بريطانيا التي حصلت عليها بموجب حملة **{إعادة الفتح}** Re-conquest (٦) التي كانت قد قطعت مدى بعيداً في ذلك الوقت . شاهدنا على ذلك أن فرنسا تجاهلت تلك الالتزامات ومضت قبيل أسابيع قليلة من سقوط أمدرمان بالتقدم من الغرب نحو أعالي النيل والقيام باحتلال فشودة. وكما كان متوقعاً فإن ما قامت به فرنسا أثار مواجهة خطيرة بينها وبريطانيا (٧) . وتفادياً

---

(٤) انظر :

Hertslet ,E., The Map of Africa by Treaty,3rd ed. London,1959.p.785

(٥) Langer. W., The Diplomacy of Imperialism, 1890-1902. 2nd ed., New York, 1951,p.538

(٦) لقد شهد السودان فيما اصطلح عليه بتاريخه الحديث فتحين ، الأول هو فتح محمد علي باشا والي مصر في ١٨٢٠-١٨٢١م وأما الفتح الثاني فقد تم في ٩٦-١٨٩٩م .

(٧) Moon,P.T., Imperialism and World Politics, New York, 1927,p.139

لحرب أضحت قاب قوسين أو أدنى واتفقت الدولتان على تسوية النزاع بالطرق الدبلوماسية، فقد توصلتا في لندن إلى إبرام إعلان Declaration في الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩ .

لقد ارتبط إعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م بل ونشأ عن الغزو الإنجليزي المصري الذي شهده السودان في العقد الأخير من القرن التاسع عشر . وقد تمخض ذلك الغزو عن إبرام اتفاقية التاسع عشر من يناير ١٨٩٩م بين حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وحكومة خديوي مصر بشأن إدارة السودان في المستقبل ، وهي الاتفاقية التي اشتهرت بما يُسمى باتفاقية **{الحكم المشترك أو الثنائي}** Condominium على السودان [٨].

والمعلوم أن فرنسا كانت قد بذلت جهداً كبيراً في سبيل إبعاد أو على الأقل التقليل من الهيمنة البريطانية على مصر التي كانت قد بدأت بالاحتلال البريطاني لمصر في ١٨٨٢م . بيد أن كل جهود ومحاولات فرنسا لتحقيق ذلك الغرض قد باءت بالفشل . وكما يبدو فإن فرنسا قد رأت على ضوء تلك الخلفية أن تضرب التواجد البريطاني الذي ثبت أقدامه في مصر في موضع حساس . وقد انعكس ذلك في قرارها الرامي بأن تثير مشكلة في أعالي النيل عن طريق التهديد بالتدخل والسيطرة على انسياب مياه النيل التي تعتمد عليها مصر اعتماداً رئيسياً . وهكذا وعلى أثر معركة كرري في الثامن من أبريل ١٨٩٨م حيث تمكن جيش إعادة الفتح الغازي من هزيمة جيش المهدية وسقوط أمدرمان والخرطوم ، وصلت إلى **{كتشنر}** Kitchener قائد الغزو ، أخبار مفادها أن قوة فرنسية قدمت من الغرب واستطاعت أن تثبت لها مواطئ في فشودة في أعالي النيل [٩].

لقد لخص الجنرال الفرنسي**{مارجين}** Margin الغرض من تلك العملية بقوله :**{لقد كان هدف الفرنسيين هو إزاحة كل المبررات لاحتلال مصر بواسطة الإنجليز ووضع نهاية لحلم أصدقائنا الإنجليز الذين يرغبون في توحيد مصر مع رأس الرجاء وتوحيد**

---

(٨) انظر: Langer., op.cit., p. 540.

(٩) انظر: Holt, P.M,. A modern History of the Sudan, 2nd ed., London, 1963.p.106

حيازاتهم في شرق أفريقيا مع حيازاتهم التي حققتها لهم شركة النيجـــر الملكيـــة} [١٠].
والواضح أن فرنسا أرادتها بالطريقة التي حددتها ، يتضح ذلك من الأسلوب الذي أصـــدر به وزير الخارجية ووزير المستعمرات الفرنسي في ذلك الوقــت {هــانوتوكس}Hanotoks توجيهاته إلى (مارشاند) Marchand ، الــذي كلــف بقيــادة تلك العمليــة . فقد قــال لــه لــدى مغــادرة الأخــير لفرنســا : {اذهــب إلــى فشــودة فإن فرنسا ســتطلق النــار {Go to Fashoda France is going to fire the pistol .

من الثابت أن فرنسا كانت قد تطلعت هي الأخرى لكي تؤسس لــها إمبراطوريــة. وبدا لها أن السودان والحبشة يشكلان حجر الزاوية الذي يتطلع له {المعماري} الفرنســي في تلك الظروف بعد أن فقدت فرنسا الرهان على مصر أمام البريطانيين . وحتى يكمــل الإمبرياليون الفرنسيون تحقيق حلمهم فإنهم يحتاجون فقط لملايين مربعة قليلة مــن شــرق السودان ووادي النيل والحبشة . ومما لا شك فيه أن تحقيــق ذلــك ســيضمن للفرنســيين إمبراطورية فرنسية تمتد من المحيط الأطلنطي إلى البحر الأحمر ومن البحــر الأبيــض المتوسط إلى خليج غينيا [١١] .

لتلك الأسباب بصفة أساسية أصبحت الحرب بين بريطانيا وفرنسا قاب قوســين أو أدنى ، وحرص كل طرف على دعم النار بالمنطق . في ذلك الإطار اســتند البريطــانيون في دعم موقفهم العسكري على حجج من بينها أن كل الأراضي التي كانت خاضعة للدولــة المهدية قد انتقلت للحكومتين البريطانية والمصرية بمقتضى هزيمة جيش الخليفة عبــد الله في كرري وكذلك بموجب حق إعادة الفتح ، وبالتالي فإن الاحتلال الذي حــاول أو قصــد أن يقوم به {مارشاند} باسم فرنسا في أعالي النيل شكل خرقاً لحقوق بريطانيا ومصر[١٢].

أما الفرنسيــون فقد احتجوا بأنه بالرغم من أن الأراضــي التــي تحيــط بــالنيل الأبيض قد كانت فــي السابق خاضعة لحكومة الخديوي فــي مصــر إلا أنــها أصبحــت

---

(١٠) انظر:

General Margin, Letter de la Mission Marchand (Revue des deux mondes), September 15,1931.pp.241-831.pp-246(The footnote is taken from langer, op.cit., at p.538)

(١١) انظر : Moon, op.cit., pp.122-23.

(١٢) انظر :

Lindley, M.F., The Acquisition and Government of Backward Territory in International Law, London, 1926.P.52.

أرضـــاً (بلا مالك لها) Re-nullius ، استنـــاداً علـــى أن الحكومة المصرية قد تخلت عنـــها أو (هجرتها) Abandonment . وأضافوا أن للفرنسيين الحق في موقع في النيـــل الأبيـــض مثل ما كان للألمان والبلجيك ، وبالتالي فإن لهم الحق في احتلال ضفاف النيل حيـــث مـــا يرون أن ذلك مناسباً لهم (١٣).

وردّت السلطات البريطانية بأن السند المصري على ضفاف النيل قد توارى وخبـــا عن طريق الانتصار العسكري الذي حققته الثورة المهدية ، بيد أن الحقوق التـــي أخـــذت من مصر قد انتقلت بكلياتها إلى الفاتحين الجـــدد. وأن ما تبقى لمصر مـــن ســـند علـــى السودان ، وما انتقل للمهدي من بعده للخليفة من أسانيد ، قد تم حسمه في ميدان المعركـــة . وخلاصة القول من وجهة النظر البريطانية أن الجدل الحـــاصل مـــهما كـــان لا يســـمح لطرف ثالث أن يدعي بأن الأراضي المتنازع عليها أضحت أراضي مهجورة .

وبعد مفاوضات مكثفة انتهي ذلك النزاع الذي أوشك أن يندلع حرباً بيـــن الدولتيـــن الأوربيتين بسبب ماعرف في التاريخ الاستعماري بحادثة فشودة Fashoda-Incident إلـــى صياغة اتفاق في شكل إعلان بشأن مناطق نفوذهما في أفريقيا الوسطى والسودان علـــى أن يكون مكملاً لمعاهدة يونيو ١٩٩٨م (١٤). ومن ثم فقد اكتسب إعـــلان ١٨٩٩م البريطـــاني الفرنسي ومنذ البداية أهمية كبرى عند الدول التي كانت لها مصالح وتطلعات في أفريقيـــا منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وقد شغل الإعلان بصفـــة خاصـــة الدولة العثمانية وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا وهي الدول التي كانت لها مصـــالح وتطلعـــات للحصول على حيازات أو لتأمين ما حصلت عليه سلفاً من حيازات كما سنرى فـــي هـــذا الكتاب تباعاً.

وبالنسبة لحدود السودان مع جمهورية أفريقيا الوسطى فإن أهمية إعـــلان الحـــادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م تعود إلى أن الدولتين اتفقتا بموجبه علـــى {تكملـــة} المـــادة الرابعة الواردة في معاهدة يونيو ١٩٩٨م بالمواد التالية وعلى أن تعتبر هذه المواد جـــزءاً لا يتجزأ من المعاهدة والمواد هي :-

---

(١٣) انظر :

1. The Marques of Salisbury to Sir E. Monson, 6.10.1898, in Egypt No.3 (1898) C.9055.

2. Omer. A., The Sudan question Based on British Documents, Cairo, 1952,P.5

(١٤) انظر : Hertslet, op.cit,p 796 .

١.{تلتزم حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بعدم الحصـول علـى أراض أو نفـوذ سياسي إلى الغرب من خط الحدود المعرَّف في المادة (٢) كمـا أن حكومـة الجمهوريـة الفرنسية تلتزم بعدم الحصول على أراض أو نفوذ سياسي إلى الشرق من ذات الخط } .

٢.{يبدأ خط الحدود من النقطة التي تلتقي عندها حدود دولة الكنغو الحـرة والإقليـم الفرنسي مع خط تقسيم المياه Watershed بين حوضي نهر النيل ونهر الكونغو وروافـده ، وتتابع الحدود من حيث المبـدأ خط تقسيم المياه حتى يصل إلى تقاطعه مع خط عـرض ١١ درجة شمال} [١٥].

بهذا التعريف أرست المادة الثانية اللبنات الأولى للحدود الدوليـة بيـن السـودان وجمهورية أفريقيا الوسطى ، أي الخط الذي يفصل المياه الطبيعية المنسابة نحو نهر النيـل من ناحية ونهر الكونغو وروافده من ناحية أخرى .

وطبقاً للفقرة الثانية من المادة الثانية من الإعلان {يتم ترسيم خط الحدود مـن تلـك النقطة ، أي تقاطع خط تقسيم المياه مع خط عرض ١١ درجة شمال ، حتى يصـل إلـى خط عرض ١٥ درجة شمال وذلك على نحو يفصل من حيث المبدأ مملكة ودّاي عن مـا كان يشكل في ١٨٨٢م مديرية دارفور ، ولكن لا ينبغي ترسيم ذلك الخط بأي حـال إلـى الغرب بحيث يتجاوز خط طول ٢١ درجة شرقي غرينيتش أو إلى الشرق بحيث يتجـاوز خط طول ٢٣ درجة شرقي غرينيتش} .

٣.{إن من المفهوم من حيث المبدأ أن النطاق الفرنسي الواقع إلى الشمال مـن خـط عرض ١٥ درجة شمالاً يُحدد من الشمال والشرق بخط يبـدأ مـن نقطـة تقـاطع خـط السرطان مع خط طول ١٦ درجة شرقي غرينتش ، ثم يجري الخط مـن هنـاك جنـوب شرق حتى يلتقي مع خط طول ٢٤ درجة شرقي غرينيتش، ثم يتابع الخط من هناك خـط طول ٢٤ درجة حتى يلتقي إلى الشمال من خط عرض ١٥ درجة شمالاً ، بحدود دارفـور كما ستثبت Be fixed لاحقاً} [١٦].

وهكـذا أرسـت المـادة الثالثة مقترنة مع الفقرة الثانية من المـادة الثانيـة مـن إعلان مارس ١٨٩٩م البريطاني الفرنسي اللبنات الأولى لتقنين الحدود الغربيـة للسـودان مع تشاد.

---

(١٥) نفس المصدر السابق .

(١٦) نفس المصدر السابق .

وتعهدت الدولتان بموجب المادة الرابعة من الإعلان بتعيين مفوضين عنهما للقيام بـ {**تعيين الخط الحدودي في موضعه طبقاً للموجهات المذكورة في المادة الثالثة من هذا الإعلان ، ويرفع المفوضون حصيلة عملهم للموافقة عليها من قبل الحكومتين المعنيتين**} أي أن مهمة لجنة المفوضين طبقاً لحرفية النص هي{**تعيين**}الحدود الموصوفة في {**موضعها**} on the spot كما جاء في المادة الرابعة. ومن ثم يمكننا القول بأن ما انصرفت إليه نية الدولتين المتعاقدتين ينطوي على {**تخطيط**} Demarcation الخط الحدودي بمعنى وضعه في موضعه الطبيعي ، أي على الأرض .

إن {**تعيين**} Delimitation الحدود قد تمت صياغته سلفاً في المواد الأولى والثانية والثالثة من إعلان ١٨٩٩م المكملة للمادة الرابعة من معاهدة ١٨٩٨م ، وبالتالي لم يعد للمفوضين من مهمة يؤدونها كما يبدو غير ترجمة ما تم الاتفاق عليه في الورق بتخطيطه على الأرض بوضع علامات حدودية على الطبيعة . ولعل مما يعزز هذا التفسير استعمال كلمة {Fix} إذ ليس لهذه الكلمة معنى سائغ غير يُثبت أو يُلصق أو يُرسخ بأن يعطي الشيء شكلاً ثابتاً ونهائياً . وبالنسبة للحدود لا تعطي شكلاً ثابتاً ونهائيا إلا بتخطيطها بوسائل ثابتة على الأرض . وسنعود لمناقشة هذه المسألة في مواضع لاحقة في هذا الكتاب .

لا شك أن قرار السلطات البريطانية بإعادة فتح السودان ، في أواخر القرن التاسع عشر أثار عدداً من المشكلات الحادة المتعلقة بحدود البلاد المراد فتحها ، ذلك أن الأمر بالنسبة للسلطات الفاتحة لم يكن مقتصراً على طبيعة أوضاع السودان ومدى اتساعه بل امتد الأمر إلى ظهور عدد من الدول الاستعمارية على مشارف حدوده الجنوبية الغربية والشرقية (١٧). لذلك جاء إعلان مارس ١٨٩٩م مباشرة بعد إبرام اتفاقية يناير ١٨٩٩م ، في سياق المعاهدات والاتفاقيات والبروتوكولات العديدة التي أبرمتها السلطات البريطانية

---

(١٧) بلجيكا من الناحية الجنوبية ، وفرنسا من الناحية الغربية ،وإيطاليا من الناحية الشرقية . راجع كتابنا : (حدود السودان الشرقية مع أثيوبيا وإريتريا ، النزاع الحدودي والمركز القانوني ، الدوحة، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ،) وراجع كذلك مقالنا باللغة الإنجليزية ، المنشور في مجلة الدراسات الإنسانية ، جامعة الكويت ، ١٩٨٨م بعنوان :

No.250 (1987) p.262.

في سبيل تقنين حدود السودان . وقد لخص {هوايت} White وزير الخارجيـــة البريطـــاني الأسبق ومحرر مجلة الجمعية الجغرافية الاسكتلندية الملكية إعلان مارس ١٨٩٩م بقولـــه **{يمكن أن نرى فيه أن بريطانيا العظمى قد حصلت بموجب اتفاقاتها مع فرنسا على كـــل الذي تدعيه أصالة عن نفسها ونيابة عن مصر ، إنه في جملة واحدة الاعتراف بوحـــدة كيان وادي النيل . إن اتفاقية اللورد ساليسبوري تعتبر وثيقة رائعة ، فهي خلافاً للعديـــد من الاتفاقيات التي أبرمت بشأن الأراضي في أفريقيا ، تغطي ثغرة معقولة ولا تخرق في ذات الوقت أية مصالح أو التزامات دولية . إنها آخر وليست الأخيرة في صكوك الحقوق على وادي النيل التي أبرزت بوضوح كامل المصالح البريطانية والمصرية}** (١٨).

وبالفعل حصلت السلطات البريطانية ، بموجب إعلان مارس ١٨٩٩م مع فرنســـا ، على ترسيخ وجودها في وادي النيل ، فقد نجحت في إبعاد فرنسا عـــن أعـــالي النيـــل ، وكذلك تمكنت من إبعـــادها عن ما كان يشـــكل في ١٨٨٢م مديرية دارفور ، أي قبـــل الثورة المهدية . لذلك قد يبدو سائغاً للبريطانيين الاحتفاء بذلك الانتصار الدبلوماســـي كمـــا عبر عن ذلك {هوايت} عام ١٨٩٩م في كتابه {توسع السودان تحت مظلة الحكـــم الثنـــائي الإنجليزي المصري} (١٩).

***

---

(١٨) انظر :

White., A.S., The Expansion of Sudan under the Anglo- Egyptian Condominium, London, 1899,p.423.

(١٩) نفس المصدر السابق .

الباب الثاني

حكومة السودان وسلطنة دارفور
١٨٩٩-١٩٠٥

١ـ كيف حدَّد علي دينار حدود سلطنة دارفور في مطلع القرن العشرين .

٢ـ ود بندا والأودية والحفرة والكارا وكل الغرب يتبع إلى دارفور!

٣ـ تباين رؤى كرومر وونجت حول أسلوب التعامل مع دارفور .

٤ـ أم شنقة ودار المعاليا ودار الرزيقات وبحر العرب وحدود البرقو.

٥ـ {موهام} والتعايشة وزغاوة كوبي ودار البديات ودار تاما.

قرأنا في الباب الأول أن المادة الثالثة من إعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م نصت على : {أنه من المفهوم من حيث المبدأ أن النطاق الفرنسي الواقع إلى الشمال من خط عرض ١٥ْ درجة يحدد من الشمال والشرق بخط يبدأ من نقطة تقاطع خط السرطان مع خط طول ١٦ درجة شرقي غرينتش ، ثم يجري الخط من هناك جنوب شرق حتى يلتقي مع خط طول ٢٤ درجة شرقي غرينتش . ثم يتابع الخط من هناك خط طول ٢٤ درجة حتى يلتقي ، إلى الشمال من خط عرض ١٥ درجة ، مع حدود دارفور كما ستثبت لاحقاً } .

كما نص ذات الإعلان البريطاني الفرنسي على {تعيين} الحدود بواسطة لجنة مشتركة على الطبيعة . غير أن الإعلان لم يحدد تاريخاً لبداية تلك اللجنة لمهمتها . وهكذا ترك الموضوع معلقاً على اتفاق لاحق بين الدولتين . وكما يبدو أن أياً من الدولتين لم يكن مستعداً للدخول المباشر في مسألة {تعليم} الحدود بوضع علاماتها على الأرض ، في

العقد الأول من القرن العشرين لأسباب عدة ، من بينها أن الحدود قد تم **{تعيينها}**سلفاً في الإعلان . يضاف إلى ذلك أن عملية **{تخطيط}** [1]على الطبيعة عملية مكلفة مادياً فضلا عن أنها لم تكن أمراً ملحاً بالنسبة للدولتين . ومع ذلك فإن مسألة كيفية تأمين الحدود التي تفصل **مديرية دارفور السودانية عن مملكة ود اي** ، التي تم الاعتراف سلفاً بأنها تقع في منطقة النفوذ الفرنسي ، ظلت موضوعاً حياً بالنسبة لحكومة السودان . ويعزى ذلك إلى أن شخصية متحركة مثل شخصية علي دينار نجحت مع أواخر القرن التاسع عشر من تثبيت نفسها **{سلطاناً}** على دارفور في ١٨٩٩م [2] .

لقد شغل علي دينار ، ومنذ بداية فترة حكمه وقبل أن يحصل على اعتراف من حكومة السودان ، شغل نفسه بمسألة حدود سلطنة دارفور . فقد بادر بعد عشرة أشهر فقط من إبرام اتفاقية التاسع عشر من يناير ١٨٩٩م ، بين الحكومة البريطانية وحكومة خديوي مصر ، بتوضيح حدود دارفور من وجهة نظره للنظام الجديد الذي فرض ذاته بشرعية الفتح . جاء ذلك في رسالة منه إلى حاكم عام السودان **{ونجت}**Wingate [3]بتاريخ الثامن والعشرين من ديسمبر ١٨٩٩م ، ورد فيها : **{كما أرى فإن الحدود من جهة الشرق هي ود بندا ومن جهة الجنوب هي الأودية، وتمتد من هناك حتى الحفرة النحاس ومن ثم إلى الكارا وكل الغرب يتبع إلى دارفور . وكذلك تتبع لدارفور كل الأماكن الواقعة إلى الغرب والشرق من الفاشر . وأي أماكن أخرى أقوم باحتلالها ستكون تحت الحكومة لأنني واحد من رعاياها . هذه هي الحدود في الوقت الحاضر وقد استبعدت دار حامد التي كانت تتبع في الماضي إلى دارفور إذ أن رؤساءها يخدمون الحكومة . لقد قلصت**

---

(١) كما ذكرنا في الباب الأول لعل المقصود هو (تخطيط) الحدود بمعنى وضع علاماتها على الطبيعة . إذ أن تعيين الحدود قد تم سلفاً .

(٢) انظر : Theobald, A.B., Ali Dinar Last Sultan of Darfur, 1898-1916,London,1965.p.33

(٣) لعب ونجت دوراً هاماً في أغلب المفاوضات المتعلقة بحدود السودان . وبرز لأول مرة عام ١٨٩٧م بصفته عضواً في بعثة المستر رونيل رود التي أوفدتها الحكومة البريطانية للتمهيد للمفاوضات الخاصة بحدود السودان الشرقية مع الإمبراطور منليك ، إمبراطور الحبشة ، وكان وقتئذ برتبة العقيد. راجع كتابنا : (حدود السودان الشرقية مع إثيوبيا وإريتريا) الطبعة الأولى ، الدوحة ، ٢٠٠٠، الصفحة ٦٧ وما بعدها .

الحدود ، وبعد إطلاعكم على رسالتي وتقييمكم لهذه الحدود التي وضحتها لكم ، فـــإنني أكون ممنــوناً بأوامركم التي أتبعها } [٤] .

لقد طرح علي دينار وصفاً كاملاً لما يمكن تسميته بحدود سلطنة دارفــور ، ممــا يعني أنه قصد التنويه لحكومة السودان بأن دارفور سلطنة ذات كيان خاص بها . ويلاحـظ من وصفه لحدود دارفور الغربية أنه كان مبهماً إذ أشــار إلى ذلك بقوله : **{أن كل الغــرب يتبع إلى دارفور}** كما يلاحظ أيضاً اعترافه بهيمنة حكومة السودان وخضوعــه الضمنــي لسلطاتها . ويبدو من ذلك الوصف للحدود ، أن علي دينار لم يكن على علم بمـــا أبرمتــه الحكومة البريطانية مع الحكومة الفرنسية من مواثيق بشأن الحدود الغربية للسودان ســـلفاً وبصفة خاصة إعلان مارس ١٨٩٩م .

في ذلك الوقت الذي سعى فيه لرسم حدود ســلطنته ، كــانت اهتمامــات حكومــة السودان منصرفة نحو مسائل أخرى من بينها بلـــورة وصياغــة سياســاتها المســتقبلية الخاصة بدارفور . فالمعلوم أن الغرض الأساسي من اتفاقيـــة ينــاير ١٨٩٩م هــو إدارة السودان في المستقبل ، علماً بأن حدود سودان المستقبل لم تكن قد بلورت تماماً بعد . لقــد كانت دارفور ، من منظور حكومة السودان ، مديرية من مديريات السودان ، لم توضــــع بعد تحت الإشراف المباشر للحكومة كما يفهم من إعــلان مــارس ١٨٩٩ . ويلاحــظ أن رؤى السلطات البريطانية في الخرطوم والقاهرة حول كيفية أسلوب التعامل مــع دارفــور كانت متباينة . لقد كان من رأي **{ونجت}** حاكم عام السودان ، أن مـــن الســهل إخضــاع دارفور للإشراف الرسمي لحكومة السودان . وأن علي دينار لن يعــــارض فكـــرة رفــع العلمين الإنجليزي والمصري في الفاشر عاصمة دارفور ، كما ورد في رســالة **{ونجــت}** إلى **{كرومر}** Cromer ، المندوب السامي البريطاني في مصر ، بتــاريخ السابع والعشرين من مارس ١٩٠٠م . لكن **{كرومر}** لم يكن متحمساً لفكـــرة التســرع بإخضــاع دارفــور مباشرة إلى حكومة السودان . وبالتالي فقد وجه **{ونجت}** بـــأن يؤجــل الموضـــوع بغيــة إخضاعه لمشاورات أكثر [٥].

---

(٤) دار الوثائق القومية (مخابرات):

R.S.C.A. Intelligence, 213-14, Ali Dinar to Wingate,28/12/1899

(٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O/403/298, Cromer to Wingate, Telegram,27/3/1900

وفي إطار ما أسماه بالمشاورات بادر {كرومر} ، وفي ذهنه السياسة البريطانية التقليدية بحكم المستعمرات على نحو غير مباشر ، عن طريق المحافظة على حكم الرؤساء والسلاطين الوطنيين المحليين ، قام برفع الأمر إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن . نقرأ ذلك في مذكرته إلى {ساليسبوري} Salisbury ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية البريطانية ، بتاريخ العشرين من مارس ١٩٠٠: {يبدو أن علي دينار قد ثبت سلطته وأن حكومة السودان اعترفت به من الناحية العملية باعتباره الحاكم لذلك الإقليم بحكم الأمر الواقع de-facto .وأنا أميل للاعتقاد بانه من الأصوب أن نحكم عبره ، أكثر من أن نحاول إدارة ذلك الإقليم بواسطة سلطة بريطانية مصرية . ذلك أن مديرية دارفور بعيدة جداً ومن الصعب تقييم أوضاعها . وإذا ما وقعت أي أحداث ذات طابع خطير سيكون من الصعب علينا بل ومن المؤكد سيكون مكلفاً جداً أن نفرض السلطة البريطانية عليها . وفي مثل هذه الظروف يجوز لنا أن نتساءل عما إذا كان من الضروري أن نصر وبقوة على الحصول على أي معالم ولاء ظاهرة ومحسوسة من طرف علي دينار . أنه على علاقة طيبة معنا ، ولكن من القليل الذي أعلمه عن هذا الموضوع أستطيع القول بأن هذه الصداقة يمكن أن تتحول بسهولة إلى عداء} (٦) .

أيدت وزارة الخارجية البريطانية مقترحات كرومر في شأن التعامل مع علي دينار (٧). وكما ذكر {كرومر} في تعليماته إلى كل من {ونجت} حاكم عام السودان ، وكذلك إلى {سلاطين} الذي تم تعيينه حديثاً مفتشاً عاماً للسودان : {إن تولي الحكم المباشر والإدارة في مديرية بعيدة مثل دارفور عمل غير مفيد فضلاً عن أنه يشكل عبئاً ثقيلاً} . ومن ثم نبه المسئولين البريطانيين إلى ضرورة معالجة موضوع دارفور بحذر شديد شريطة أن يفهم علي دينار أن دارفور تقع في نطاق النفوذ البريطاني المصري مقابل أن يمنح في ذات الوقت مجالات واسعة في تولي الشؤون المحلية (٨) .

---

(٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./403/288, Cromer to Salisbury, 29/3/1900.

(٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./403/288, Salisbury to Cromer, 13/41900.

(٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./403, Cromer to Salisbury, 7/11/1900.

وقام {ونجت} بدوره بإبلاغ {علي دينار} بأنه وكيل حكومة السودان في دارفور وأن الحكومة لا تنوي أن تفرض عليه أي ضرائب في ذلك الوقت . أما فيما يتصل بالحدود فقد اكتفى حاكم عام السودان بالتنويه بأنها **(معروفة)** جداً وأنه لا حاجة لمناقشة الموضوع في ذلك الوقت [٩] .

بالرغم من عدم استعداد السلطات البريطانية لفتح ملف الحدود في ذلك الوقت استمر علي دينار في ملاحقاته . فقد خاطب في هذه المرة سلاطين مفتش عام السودان على أمل أن يجد لديه تعاطفاً أكثر بالنسبة لما كان يشغله [١٠] ونتيجة لذلك الإلحاح حصل بالفعل على رسالة من حاكم عام السودان ، وليس من **{سلاطين}** بتاريخ الأول من مايو ١٩٠١ ورد فيها : **{أما فيما يتصل بطلبك الخاص بتعريف حدود دارفور أرجو أن أبلغك بأن الحدود ستظل كما كانت من قبل . وستكون أبعادها من : أم شنقة إلى دار المعاليا ودار الرزيقات حتى تصل إلى بحر العرب ، ثم إلى الملم فدار التعايشة ، ثم بعد ذلك الحدود السابقة مع البرقو {وداي} . هذه هي حدود دارفور التي كانت قائمة في الأيام التي كان صاحب السعادة سلاطين باشا قائماً بمهام مدير عموم دارفور وحتى ثورة الدراويش ....}** [١١] .

لم يكن بوسع حاكم عام السودان أن يطرح في ذلك التاريخ حدوداً بالمعنى الحرفي غير الالتجاء للأسلوب الذي كان سائداً لوصف الحدود في تلك المرحلة . ويبدو أنه قد وجد ضالته بالرجوع إلى القبائل والمناطق التي كانت تتدرج في إطار ما أسماه دارفور عندما كان سلاطين باشا مديراً لعموم دارفور قبل الثورة المهدية . ويلاحظ أن الحاكم العام أوجز حدود دارفور الغربية باعتبارها الحدود السابقة التي كانت مع **{برقو}** وفسر برقو بـ وداي . ولم يشأ الدخول في تفصيل ما انطوى عليه إعلان مارس ١٨٩٩م المبرم مع الحكومة الفرنسية على النحو الذي فصلناه في الباب الأول .

---

(٩) دار الوثائق القومية (مخابرات) :

R.S.CA., Intelligence, 213-14, Wingate to Ali Dinar, April.

(١٠) دار الوثائق القومية (مخابرات) :

R.S.CA., Intelligence, 7/1-2, Ali Dinar to Slatin, 21/1/1901.

(١١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O/407/176, Enclosure (3) in No.19, Government General to Ali Dinar, 1/5/1901

يبدو أن علي دينار لم يكن مقتنعاً برسالة الحاكم العام . **فقد** استغل علي دينار حادثة وقعت بين قواته وقوات الحكومة ، ليردها إلى عدم الدقة في وصف الحدود بالرغم من أنها كانت تتعلق بحدود السلطنة الشرقية . وقد تولى الرد عليه في هذه المرة سلاطين باشا بتاريخ الثاني والعشرين من ديسمبر ١٩٠١م ، حيث قلل فيها من أهمية الحادثة ، ولفت نظره إلى أن المهم هو الانتباه لحدود دارفور الغربية مع مملكة وداي . وفي سبيل ترضيته طرح سلاطين له وصفاً لحدود دارفور الغربية ورد فيه : {**يمتد خط الحدود بعد ذلك من موهام إلى الحدود غربي التعايشة. وتمتد من هناك إلى حدود دار تاما ومنها إلى الحدود الغربية القديمة بين دارفور ووداي حيث تمتد إلى الغرب من زغاوة كوبي ودار البديات**} [١٢].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بحق هو : ما هي حدود دار تاما {**المعروفة**} وهل هي حدودها الشرقية أم الغربية ، وهل تدخل دار تاما في حدود دارفور أم أنها خارجها ؟ ثم ماذا تعني عبارة الحدود القديمة بين **دارفور ووداي** في غياب حدود مستقرة ؟ [١٣] .

***

---

(١٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./407/187, Enclosure (4) in No. 19, Slatin to Ali Dinar, 22/12/1901.

لعل المقصود بـ (موهام) برام أو أي موقع أخر .

(١٣) انظر : Theoblod, op.cit.,p.68

الباب الثالث

موقف علي دينار بعد احتلال ودّاي والتوسع الفرنسي شرقاً

١ــ الفرنسيون يحتلون أبشي عاصمة مملكة ودّاي في ١٩٠٩م .

٢ــ هروب السلطان دود مُرة إلى تخوم دارفور .

٣ــ استسلام سلاطين دار سيلا ودار قمر الإسمي للفرنسيين واحتلال دار تاما .

٤ــ على دينار : نحارب حتى آخر رجل دفاعاً عن حدودنا الغربية .

٥ــ سلاطين يُنبه علي دينار بعدم الدخول في اتفاقيات مع الفرنسيين .

عرفنا في الباب الثاني مدى انشغال على دينار بموضوع حدود سلطنة دارفور وسعيه لجذب اهتمام حكومة السودان إليها . في تلك الأثناء ، أي في مستهل القرن العشرين كان هدف فرنسا ، بعد إبرام إعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م وقفل ملف فشودة ، موجهاً نحو ربط حيازاتها في وسط وغربي وشمالي أفريقيا عن طريق احتلال منطقة (شاري – باغورمي) جنوبي بحيرة تشاد [١] . وقد تحقق لـ فرنسا ما أرادت في أبريل ١٩٠٠م بوصول (كسري) الواقعة جنوبي بحيرة تشاد . ومن ثم بدأت فرنسا في تثبيت حيازاتها الجديدة بدمج منطقة (أوبانقي – شاري) والمنطقة العسكرية في تشاد في منطقة موحدة . وتم في ١٩٠٦م تكوين مستعمرة (اوبانقي – شاري) بإشراف إقليمي في (فور تلامي) . وهكذا أدت تلك التطورات إلى مواجهة مباشرة بين التوسع الفرنسي وودّاي التي كانت حينئذ تحت حكم السلطان (دود مُرة) وكما كان متوقعاً

(١) انظر : Oliver and Atmore, Africa since 1800, Cambridge, 1969,p.119.

فقد تصاعد التوتر بين الطرفين . واستغلت فرنسا الحجج التقليدية التي كثيراً ما لجأت إليها القوى الاستعمارية في ضم الأراضي والتوسع في أفريقيا . فقد أدعت فرنسا بعد تثبيت أقدامها بأن (ودّاي) تعبير جغرافي فقط ولم تكن تمثل شعباً . وبمثل ذلك المنطق غزت فرنسا (أبشي) عاصمة ودّاي في ١٩٠٩م ، واضطر السلطان دود مُرة إلى الهرب إلى الأراضي المتاخمة إلى دارفور (٢) .

لم يضف على دينار اهتماماً كبيراً على التوسع الفرنسي في مراحله الأولى . لكنه قام بعد إنشاء مستعمرة (أوبانقي – شاري) بإبلاغ حكومة السودان بتاريخ الخامس والعشرين من فبراير ١٩٠٦م بما نما إلى علمه من تطورات ، فقد نقل إلى سلاطين أنه سمع إشاعات بأن الفرنسيين احتلوا موقعاً يقال له (البـاث) Al-Bath بالقرب من دار برقو(٣) وألحق ذلك ببلاغ آخر في نهاية ١٩٠٨م، مقتضاه أن البرقو ما زالوا في مواجهة مع الفرنسيين (٤). وعندما تأكد له أن فرنسا احتلت أبشي وأخذت في التقدم نحو الشرق أعرب عن ذلك بمرارة ، ويبدو أنه أدرك أن المساحة المتبقية بين دارفور وما أصبح ودّاي الفرنسية هو عبارة عن الأراضي غير المحددة الخاصة بـ (دار تاما) و (دار قُمر) و(دار مساليت) و (دار سيلا) . لكن نقطة التحول في الوضع الحدودي بالنسبة لـ علي دينار ظهرت عندما احتلت القوات الفرنسية (دار تاما) في أغسطس ١٩٠٩م واستلامها لخطابات استسلام من سلاطين دار سيلا ودار قمر (٥) .

لقد سعت القوات الفرنسية بعد ما حصلت عليه من رسائل استسلام من سلاطين دار سيلا ودار تاما إلى تمديد توسعها شرقاً ليشمل {دار مساليت} ، لكنها منيت بهزيمة على أيدي المساليت أفقدتها حتى احتلالها الأسمى لدار قمر ودار سيلا (٦). وكما كان متوقعاً فقد كان رد فعل علي دينار بالنسبة لتلك التطورات قوياً وسريعاً . نقرأ ذلك في رسالته إلى الحاكم العام بتاريخ السابع والعشرين من أكتوبر ١٩٠٩م ومفادها: **{لقد اجتاز الفرنسيون الحدود ودخلوا دار تاما . وتم الآن احتلالهم لها بالرغم من أنها حصن في**

---

(٢) انظر: Cana, F. (Egyptian and Sudan Frontiers) in the Contemporary Review, May 1914,p.693.

(٣) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A.Intelligence, 7/3-8, Ali Dinar to Slatin, 25/2/1906.

(٤) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A.Intelligence, 7/1-10, Ali Dinar .

(٥) انظر: Lampen,G.D (History of Darfour) Sudan Notes and Records, Vol.31 (1950) p.199

(٦) راجع: Theobald, op.cit,p.84.

حدودنا ، وبما أننا تحت حماية الحكومة فقد رأينا أن من الأنسب ألا نقوم بأي رد فعل قبل أن نرفع الأمر إلى سعادتكم ، وعليه أرجو منكم أن تصدروا أوامركم للفرنسيين للانسحاب وفقاً للقانون بين الدول ، وإذا كانت حكومتكم لا تستطيع وقف تقدمهم داخل حدودنا ، أرجو أن نعرف ذلك فوراً . إننا سنعتمد على الله ونحمي أرواحنا وأراضينا إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا} [٧]، هكذا لعب علي دينار ورقته قبل الأخيرة بتحميل السلطات البريطانية المسئولية تجاه فرنسا بحجية أنه كان تحت حماية حكومة السودان .

أما سلاطين فقد استقبل تلك الورقة بهدوء ، حيث اكتفى بإبلاغ علي دينار بتاريخ الحادي والعشرين من ديسمبر ١٩٠٩م ، بأن حدود دارفور التي تحت حكمه معلومة جداً بالنسبة لحكومة السودان ، وطلب منه عدم القلق طالما ظل على ولائه لحكومة السودان[٨].

لم يكن علي دينار مقتنعاً بتأكيدات سلاطين ، ويبدو أنه لم يدرك بعد أن السلطات البريطانية لم تكن راغبة في فتح كتاب فشودة مرة ثانية بعد أن حققت ما تريده من فرنسا في تلك المرحلة ، فقد أرسل إلى سلاطين رسالة بتاريخ الثاني عشر من يناير ١٩١٠م مفادها : **{لقد استلمنا ردكم بشأن دخول الفرنسيين في حدودنا . والآن ونحن لا نخشى أي شي إلا الله يجب أن يكون واضحاً أني لست مستعداً لكي أتخلى للفرنسيين عن حدود دارفور التي هي ملك لآبائنا طالما ظللت على قيد الحياة. ولن نتردد في محاربتهم إذا عبروا الحدود وتعرضوا لنا . إننا على استعداد بأن نحارب حتى آخر رجل ، ولن يحركنا أو يصدنا عن حدودنا غير الموت}** [٩] .

لقد أخفقت كل تلك الرسائل وما انطوت عليه من إلحاح وتشدد في تحقيق قدر كبير من تطلعات **علي دينار** . كما فشل هو ذاته في تفهم أن حكومة السودان لم تكن قد استعدت بعد لفتح ملف الحدود الغربية مع فرنسا . فقد كان كل الذي يهم حكومة السودان حتى تلك المرحلة هو الإبقاء على دارفور داخل السودان . شاهدنا على ذلك أن سلاطين اكتفى في رسالته ، بتاريخ التاسع عشر من يناير ١٩١٠م ، بتذكير **علي دينار** بعدم

---

(٧) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 7/1-11. Ali Dinar to Slatin, 27/10/1909.

(٨) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/11/ Slatin to, Ali Dinar, 21/12/1909.

(٩) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 7/1-11/, Ali Dinar,to Slatin, 2/1/1910.

الدخول في أي اتفاقيات قد يسعى لها المسؤولون الفرنسيون الذين كانوا في وداي للحصول عليها . ولفت نظره بأن يبلغ الفرنسيين إذا اتصلوا به بأنه لا يستطيع التعامل معهم بإبرام اتفاقيات وإن أرادوا ذلك فإن عليهم التعامل مع حاكم عام السودان . وفي المقابل لتلك المحاذير والتعليمات وعد سلاطين على دينار بأن حكومة السودان ستحافظ على وحدة أراضيه {**والوقوف في وجه القوى الأجنبية ذات النوايا السيئة نحوه طالما ظل صادقاً على ولائه للحكومة**}[١٠] كما هو واضح فإن سلاطين في ذلك الوقت لم يستبعد احتمال تقدم الفرنسيين شرقاً نحو دارفور . فقد احتلوا سلفاً دار تاما وحصلوا على رسائل استسلام من سلاطين دار سيلا ودار قُمر . ولاشك أن استسلام دار قمر وإن كان إسمياً ، إلا أنه كشف عن نوايا وتطلعات الفرنسيين بالتوجه شرقاً ، أي نحو سلطنة دارفور .

***

(١٠) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/1-2, Slatin to, Ali Dinar., 19/1/1910.

الباب الرابع

سلاطين يدافع عن تبعية دار مساليت
ودار تاما ودار قُمر إلى دارفور

١ـ بداية تغيير استراتيجية السلطات البريطانية نحو دارفور في ١٩١٠م .

٢ـ علي دينار يبلغ سلاطين بمقتل السلطان تاج الدين والقائد الفرنسي في داروتي .

٣ـ سلاطين يزور النهود ويلتقي مبعوثاً من علي دينار ويُعد تقريراً إضافياً عن الحدود الغربية .

٤ـ علي دينار ينجح في وضع السلطات البريطانية والفرنسية وجهاً لوجه .

انتهينا في الباب الثالث إلى أن سلاطين مفتش عام السودان لم يخف قلقه من احتمال تقدم قوة فرنسية شرقاً نحو دارفور ، فقد احتلت القوات الفرنسية سلفاً دار تاما وحصلت على خطابات استسلام من سلاطين دار سيلا ودار قُمر . لقد كان لكل تلك التطورات أثرها في بداية النظر في تغيير استراتيجية السلطات البريطانية نحو دارفور والتالي نحو حدودها الغربية مع وداّي . وكانت البداية عندما طلبت الخارجية البريطانية من حكومة السودان ، بتاريخ الخامس من فبراير ١٩١٠م ، مراقبة الحدود بين **{وداّي الفرنسية}** ودارفور حتى يتم **{تعيينها}** [١] .

(١) كما هو واضح من السياق فقد كان المقصود كما يبدو هو تخطيط الحدود بوضع علاماتها على الطبيعة . وبالتالي استعمل مصطلح (التعيين) على نحو أقرب لمفهوم تخطيط الحدود في كل الوثائق التالية. وهو خطأ ولكنه كان شائعاً في تلك المراحل التاريخية .

لكن حكومة السودان لم تشارك الخارجية البريطانية تفاؤلها بمجرد التفكير في {تعيين} الحدود في المستقبل المرئي . فلقد أوضح حاكم عام السودان في رسالته إلى المندوب السامي البريطاني والقنصل العام في القاهرة {جروست} Grost بتاريخ السادس عشر من فبراير ١٩١٠م ، أن الأحوال السائدة آنذاك تمنع أي محاولة لفتح ملف {تعيين} الحدود الغربية مع فرنسا [٢] وبالرغم من أنه ليس ثابتاً لنا من الوثائق ما إذا كان قد تم إبلاغ علي دينار بمقترح الخارجية البريطانية ورد فعل حكومة السودان نحو مسألة الحدود، إلا أن من الثابت أنه قد دخل في الخط بعد وقت وجيز جداً . فقد أرسل بتاريخ العشرين من فبراير ١٩١٠م رؤيته الخاصة بوصف الحدود بين دارفور ووداي على النحو التالي: **{تعلمون جيداً أن حدود دارفور من ناحية الغرب تشمل تاما وقمر ومساليت والقبائل المجاورة حتى التيرجا. وعندما غزت الحكومة المصرية البلاد تم ضم دار تاما ودار قمر ودار مساليت بقبائلها في مديرية كبكابية وكلكول Kulkul. وعندما اندلعت ثورة الدراويش لجأت تلك القبائل إلى وداي . لكن الحمد لله والشكر له ، فعندما توليت دارفور تحت حماية الحكومة الكريمة عادت هذه القبائل إلى بلدها ولنا . وتعيش هذه القبائل تحت حكمي كما كانوا في الزمن الماضي. لقد بدأ الفرنسيون التحرك نحونا بهدف الحصول على كبكابية لكن الله القوي الجبار القادر على كل شي خيب نواياهم وتم قتلهم في دار مساليت}** [٣] .

لقد اتجهت حكومة السودان والمندوب السامي البريطاني في القاهرة ، مع بداية العقد الثاني من السيطرة على السودان ، نحو النظر لمسألة الحدود الغربية لدارفور بمنظور جديد . فقد حرصا على الضغط على السلطات البريطانية في لندن لإقحام الحكومة الفرنسية في الأمر . وقد استجابت الخارجية البريطانية بالفعل ، حيث أثار السفير البريطاني في باريس موضوع التوسع الفرنسي نحو دار فور مع الحكومة الفرنسية. وكما يفهم من رسالة المندوب السامي البريطاني إلى حاكم عام السودان ، أن الحكومة الفرنسية أرسلت تعليمات لقواتها لتفادي الاحتكاك مع علي دينار وعدم عبور دارفور [٤] .

---

(٢) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/1-1, Wingate to, Grost, , 16/2/1910.

(٣) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 2/4-15 , Ali Dinar to Slatin , 20/2/1910.

(٤) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/1-1, Grost to Wingate , 20/3/1910.

وبالرغم من التطمينات الفرنسية واصل علي دينار تشككه في مصداقية فرنسا كما يبدو من رسالته إلى سلاطين بتاريخ الثامن عشر من أبريل ١٩١٠م [٥]. وقد رد عليه سلاطين الذي كان يقضي في ذلك التاريخ إجازته في النمسا برسالة بتاريخ الخامس من يونيو ١٩١٠م جاء فيها : {سأعود للسودان في نهاية شهر رمضان . وإذا تبين لي أن الظروف تحتم **{تعيين الحدود بين دارفور ووداي بهدف تفادي أي مشاكل أو سوء تفاهم في المستقبل فإني سأكتب لكم بالتفصيل في الموضوع . كما أني سوف أعين مسئولاً حكومياً ليلتقي بمندوب منكم تقوم باختياره لهذا الغرض ، وسنقوم بعد ذلك بمحاولة جادة لمعالجة المسألة على وجه نهائي . وفي كل الأحوال فإن هذا القرار يعتمد على الظروف وعلى قناعتنا بضرورة اتخاذ مثل ذلك الإجراء}** [٦] .

لقد قام سلاطين في طريق عودته إلى السودان بزيارة لندن حيث قام بتوضيح مسألة حدود السودان الغربية للمسئولين في وزارة الخارجية البريطانية [٧] . كما قام خلال تواجده في القاهرة بزيارة القائم بأعمال القنصل الفرنسي ، الذي أبلغه بأن الحكومة الفرنسية قد أصدرت أوامرها سلفاً للسلطات العسكرية في وداي بعدم دخول المنطقة المتنازع عليها بين وداي الفرنسية ودارفور [٨] . وتأسيساً على ما أبلغه به القنصل الفرنسي ، أرسل سلاطين رسالة بتاريخ العشرين من أكتوبر ١٩١٠م ، إلى علي دينار ، أبلغه بوصوله للقاهرة ونيته عند وصوله إلى السودان بالسفر إلى النهود وأنه يأمل في لقاء مبعوث خاص منه . كما أبلغه بأن السلطات البريطانية اتصلت بالحكومة الفرنسية التي وافقت على رؤى حكومة السودان وأرسلت بالفعل تعليمات للقيادة في **وداي**

---

(٥) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/1-1, Ali Dinar to Slatin , 18/4/1910.

(٦) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/4-7, Slatin to Ali Dinar, 5/6/1910.

(٧) دار الوثائق القومية (مخابرات):

R.S.C.A. Intelligence, Acting Governor General to Ali Dinar, 26/5/1910.

وقد ذكر القائم بأعمال الحاكم العام في رسالته إلى علي دينار بأن يعلم أنه كان يوجد في الماضي حاجز يسمى (التيرجا) يبين الحدود بين دارفور ووداي .وسأل على دينار ما إذا كان ذلك الحاجز بحالة جيدة وكذلك ما إذا كانت القوات الفرنسية قد عبرته عندما دخلت دار تاما . (نفس المصدر المذكور)

(٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O/407/176, Enclosures (2) in No.14, Saltin to Governor General Wingate, 10/1/1911.

{يعدم الدخول أو التعدي على حدود دارفور ، التي هي دار تامـــا ودار مســاليت} [٩] .
ولفت سلاطين في ذات الرسالة نظر علي دينار بعدم السماح للسلطان **{دود مُرة}**ســلطان وداي المخلوع بالبقاء قريباً من الحدود الفرنسية .

سارع علي دينار بشكر الحكومة على نجاحها في إقناع الفرنسيين بالابتعاد عـــن دار تاما ودار مساليت. كما أكد في رسالته إلى سلاطين بتاريخ السادس عشر من نوفمـبر ١٩١٠م ، أنه قام بتنفيذ تعليمات الحكومة بشأن السلطان **{دود مُرة}**[١٠]. لكن الأمــور لـم تمضي على النحو الذي يأمله علي دينار . فقد هاجمت القوات الفرنسية بعد وقت قصــير دار مساليت ، حيث وقع اشتباك في **{داروتي}** قتل فيه قائد القوة الفرنسية وكذلك **السـلطان تاج الدين** ، سلطان المساليت . وتأسيساً على ذلك سارع بإرسال رســالة إلـى سـلاطين بتاريخ الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩١٠م ، مفادها : **{إن الذي حدث يوضـــح لكـم أن فرنسا لا تريد لنا راحة وهي بالتأكيد خرقت اتفاقها معكم وتتطلع لاحتلال دارفور ، لذلــك رأيت رفع الأمر لكم . فإذا كانت الحكومة تعتبرنا من رعاياها فإننا نطلب منها أن تتخــذ الخطوات اللازمة لوقف التدخل الفرنسي وتذكيرهم بالاتفاقيات السياسية التــي وقعتــها فرنسا معكم ، وبخلاف ذلك نرجو أن تبلغنا الحكومة بذلك دون تأخير ، وعندها وبعـون الله سنحاربهم لأنهم قصدوا تدميرنا ظلماً وبدون وجه حق . إننا مســتعدون للتضحيـة بأرواحنا في سبيل الرب ، وبإرادته سنحاربهم حتى يقضى الله بيننا}** [١١] .

برر سلاطين ما حدث بأنه سوء تفاهم وأن الفرنسيين ليس لديــهم النيـة لغـــزو دارفور . وكما ورد في رسالته إلى علي دينار بتاريخ الرابـــع عشــر مــن ديســمبر ١٩١٠م :{ إذا كنت تعتقد أن الحكومة الفرنسية لا تعبأ بوعودها والتزاماتها فإنك مخطـــئ دون شك ، ذلك أن الحكومة الفرنسية إحدى الحكومات العظيمة في أوروبا . وهي تلـــتزم

---

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :
F.O/407/176, Enclosures (3) in No.14. Saltin to Ali Dinar, 20/10/1911.

(١٠) دار الوثائق القومية (مخابرات) :
R.S.C.A. Intelligence, Ali Dinar to Slatin to, 16/11/1910.

(١١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :
F.O/407/176, Enclosures (4) in No.14, Ali Dinar to Slatin, 24/11/1910.

على وجه الدقة بوعودها واتفاقاتها التي تبرمها مع الحكومات الأوربيـــة الأخــرى } (١٢). ويلاحظ أن سلاطين أرسل في ذات اليوم رسالة لعلها ملحقة إلى علي دينـــار أبلغـــه بأنـــه سيضع كل تفاصيـــل الموقف أمام حكومة السودان والحكومـــة الفرنســية (١٣). وأضـــاف سلاطين : {**إذا حدث أن أهملت الحكومة الفرنسية اتفاق الحدود ، الأمر الذي لا أتوقعه ، فإني سأقترح {تعريف} الحدود بواسطة لجنة مشتركة مع الحكومة الفرنسية**} (١٤) .

في تلك الأثناء كان سلاطين قد قام بزيارته إلى النهود والتقى فيها بمندوب من علــي دينار . وعلى أثر ذلك أعد سلاطين تقريراً ضافياً عن حدود دارفور الغربيـــة مـــع **ودّاي** رفعه إلى الحاكم العام بتاريخ العاشر من يناير ١٩١١م . لقد أعترف سلاطين في مقدمتـــه بالحرج الذي أصابه تجاه علي دينار بسبب عدم التزام الفرنسيين بوعودهم . وجـــاء فـــي تقريره {**إن الفرنسيين يخشون من سلوك علي دينار في المستقبل ، لذلك يريدون الضغط على حكومة السودان لتقوم باحتلال دارفور بصورة فاعلة**}(١٥). وبالرغم من ذلك لم يكـــن سلاطين متحمساً لفكرة احتلال الحكومة لدارفور . ذلك أن الأمر بالنسبة له ليـــس مكلفـــاً فحسب ، بل أن الحكومة لا تملك القوة العسكرية لاحتلالها إذا أبدى السلطان أي مقاومـــة . وكان يرى أن احتلال دارفور ينطوي على إخلال بالثقة التي بيـــن الحكومـــة والســـلطان خاصة أن الحكومة وعدته بأن يكون حاكماً على بلده طالما ظل موالياً للحكومـــة ومنفـــذاً لأوامرها (١٦) .

لقد ناقش سلاطين في تقريره الضافي الاتجاهات الفرنسية نحـــو الحـــدود الغربيـــة للسودان على ضوء المادة الثانية من إعلان مارس ١٨٩٩م البريطاني الفرنسي ، مؤكـــداً أن كل العمليات العسكرية التي تمت بعد سقوط {أبشي} حدثـــت فـــي **دار مســـاليت ودار تـــاما** . وخلص إلى أن القائد العسكري الفرنسي لا يملك أي تعليمـــات محـــددة بالنســـبة للحدود كما أنه غير ملم بالمادة الثانية من إعلان مارس ١٨٩٩م . ووجه ســـلاطين نقـــداً

---

(١٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O/407/176, Enclosures (6) in No.14, Saltin to Ali Dinar, 14/12/1910.

(١٣) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence, 1/1-1,Slatin to Ali Dinar, , 14/12/1910.

(١٤) نفس المرجع السابق .

(١٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/176, Saltin to Wingate, 10/1/1911.

(١٦) نفس المصدر السابق .

شديداً للكابتن الفرنسي الذي ادعى في خطاب رسمي بتاريخ الخامس من فبراير ١٩١٠م بأن علي دينار ظل يواصل تهديداته بسبب احتلاله لدار تاما ودار قمر التابعتين إلى ودّاي. وكما ورد في تقريره {يجب على هذا الضابط أن يعلم بأن دار مساليت ودار قمر ودار تاما ، لم تكن إطلاقاً تابعة إلى ودّاي غير أنه أضاف: {وعلى كل فإن هذه المناطق تقع ما بين خط طول ١٨ درجة و ٤٠ دقيقة شرقي باريس وخط طول ٢٠ درجة و ٤٠ دقيقة شرقي باريس وبالتالي يمكن أن تكون محل نزاع ، لكن تمسك علي دينار بالنسبة لدار مساليت ودار تاما ودار قمر أمر طبيعي . إن الزعم بأن دار تاما ودار مساليت كانتا تقدمان هدايا إلى ملك ودّاي كان مجرد إيماءة الهدف منها المحافظة على علاقات طيبة مع ملك ودّاي أثناء فترة مقاومتها {الدراويش} لكن ذلك الأمر لا ينفي حقيقة أن دار مساليت ودار تاما كانتا دائماً داخل دارفور . ولعل أبلغ دليل على ذلك ، أن دار مساليت ودار تاما كانتا تحت إدارتي عندما كنت مديراً لعموم دارفور} [١٧] .

هكذا كان الموقف الحدودي عند بداية العقد الثاني من السيطرة البريطانية على السودان . وكما هو واضح فقد استطاع علي دينار بملاحقته الدائبة أن يحمل حكومة السودان وكذلك المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، على الاهتمام البالغ بشأن حدود السودان الغربية ، ويمكن القول بأن علي دينار نجح إلى حد بعيد مع أواخر العقد الأول من القرن العشرين أن يضع السلطات البريطانية وجهاً لوجه أمام السلطات الفرنسية .

***

(١٧) نفس المصدر السابق .

الباب الخامس

بداية النزاع الدبلوماسي بين الحكومتين البريطانيـــة والفرنسيـــة حول الوضع القانوني للحدود بين دارفور ووداّي

١ـ وزير خارجية فرنسا يهاجم سلاطين ويدعي أن دار مساليت محل نزاع .

٢ـ المندوب السامي البريطاني في القاهرة يدعم رؤى سلاطين حول الحدود .

٣ـ وزارة الخارجية البريطانية تتحفظ بالنسبة لتصعيد الخلاف مع فرنسا .

لم تنفذ بريطانيا وفرنسا المادة الرابعة من إعلان مـــارس ١٨٩٩م والخاصـة بوضع معالم الحدود على الطبيعة . ولعل ذلك يعود لعدة أسباب مـــن بينـــها أن الدولتيـــن المعنيتين كانتا منصرفتين لقضايا أكثر أهمية بالنسبة لهما من الحدود بين دارفـور وودّاي. ثـم إن {**النطاق الحدودي**} Frontiers-zone [1] الذي كان يفصـــل بيـــن ســلطنة **دارفــور ومملكة وداّي** كان مأهولاً بقبائل صغيرة ظلت مستقلة لفترات متباينة . يضاف إلى ذلـــك إحجام أو تردد حكومة السودان بالنسبة لتحمل مسؤولية دارفور عـــن طريـق الاحتـلال الفعلي حتى مستهل العقد الثاني من القرن العشرين . ولكن الوضع نحو مديريـــة دارفـــور أخذ في التغير بعد احتلال الفرنسيين لمملكة وداّي وتحويل النطاق الفاصل بيـــن دارفـــور ووداّي إلى مجال العمليات العسكرية الفرنسية . فقد شكل ذلك التطور بداية التضارب بيـــن المصالح البريطانية والمصالح الفرنسية على نحو فرض الموضوع باعتبـــاره مشـــكلة لا يجوز الصمت أمامها .

---

(١) انظر: Fawcett,C., Forntis A study in Political Geography, Oxford, 1918,p.105

وهكذا بادرت وزارة الخارجية البريطانية ، انطلاقا من التقرير الضافي الذي كان قد أعده سلاطين عن الحدود الغربية لدارفور ، وكذلك نتيجة لتطورات العمليات العسكرية الفرنسية ، بادرت بإثارة الموضوع ، مع الحكومة الفرنسية . بيد أن رد فعل الأخيرة كان متشدداً . فقد وجه {بيكو} [٢] وزير الخارجية الفرنسية نقداً لاذعاً للطريقة التي كان يدير بها سلاطين مسألة الحدود مع علي دينار . فقد اتهم سلاطين في رسالة إلى الخارجية البريطانية ، بتاريخ الخامس من يناير ١٩١١م ، بأنه كان يسمع لشكاوي علي دينار بأذن صاغية الأمر الذي شجعه على حالة الفوضى بمنطقة الحدود بين دارفور ووداي، وأشار الوزير الفرنسي إلى أن الأوامر قد سبق إرسالها للقوات الفرنسية بعدم الإقامة الدائمة بالمناطق التي يشك في تبعيتها بشكل قاطع للسلطات {عسيل} سلطان دار تاما . ونوه بأنه من حق القوات الفرنسية مطاردة المعتدين حتى قواعدهم ، وأن الاحتلال الفرنسي للأراضي المتنازع عليها لا يتعارض مع نتيجة أي تعيين يحدث في الحدود لاحقاً. وأضاف {بيكو} أن من الضروري توضيح أن دار مساليت {منطقة نزاع} disputed-area ولا يجوز لـ علي دينار أن يعتبرها جزءاً من مملكته من الناحية القانونية إلى أن يتم تعيين الحدود . وذكر أن الحكومة الفرنسية فشلت في تفهم الأسباب التي تبرر تدخل على دينار في شؤون دار تاما التي هي من توابع السلطان عسيل التي لا تنازع عليها . وختم الوزير الفرنسي رسالته بأنه لدى الحكومة الفرنسية الدليل الذي يمكن إبرازه إذا اتفقت الدولتان على تعيين الحدود طبقاً لإعلان مارس ١٨٩٩م [٣].

وهكذا شكلت مذكرة الخارجية الفرنسية بداية الخلاف الدبلوماسي بين بريطانيا وفرنسا حول الأوضاع القانونية للحدود . وكما هو واضح لم يكتف {بيكو} بتوجيه النقد إلى سلاطين ، بل ذهب إلى التشكيك في تبعية دار مساليت إلى دارفور . وإذا كان الهجوم على سلاطين من جانب فرنسا يبدو مفهوماً ، إلا أن إثارته الغبار حول الوضع القانوني بالنسبة لدار مساليت يظل أمراً مثيراً . وبالرغم مما تبدى من تشدد وإثارة في المذكرة

---

(٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/175, Enclosure in No.(20) to Bertie 15/1/1911

(٣) نفس المصدر السابق .

الفرنسية ، إلا أن الخارجية اتجهت نحو الموضوعية حيث أحالت المذكرة إلى المندوب السامي في القاهرة دون التعليق عليها [٤].

لقد أعد سلاطين بدوره مذكرة مطولة ، بعد اطلاعه على المذكرة الفرنسية إلى حاكم عام السودان بتاريخ الخامس من فبراير ١٩١١م . وكما كان متوقعاً فقد تناول سلاطين تفنيد ودحض مذكرة {بيكو} . فقد تمسك في صدر مذكرته بأن لعلي دينار كل الحق في مطلبه العادل بأن دار مساليت ودار تاما تقعان في ضمن إقليمه. وأشار إلى أن {بيكو} ليس جاهلاً بالحقائق الصحيحة عن الحدود فحسب بل أنه مضلل في معلوماته عن الوضع الحالي في تلك المناطق [٥] . ونفى سلاطين أن تكون القوات الفرنسية في حالة مطاردة عندما عبرت دار تاما ودار مساليت وهاجمت {التيرجا} . وتساءل في هذا السياق أنه إذا كان للفرنسيين الحق في مطاردة وتنظيم ذلك وفقاً لمقتضيات أمنهم : **{أين إذن الحدود لتحركات القوات الفرنسية المحتملة نحو الشرق ؟}** . ونفى سلاطين ادعاء الفرنسيين بأن علي دينار شجع الثوار ضدهم لعدم وجود أية علاقة أو اتصالات في الماضي بينه والسلطان **{دود مُرة}** سلطان ودَّاي المخلوع . وأنهى سلاطين مذكرته إلى حاكم عام السودان بقوله : **{لقد نجحنا حتى الآن في منع السلطان على دينار من اتخاذ دور نشط في الحرب التي كانت دائرة في ودَّاي . ولكنني آمل أن تعترف حكومة فرنسا في المستقبل القريب بوجهة النظر التي قدمتها سلفاً وأتمسك بها دائماً ، وهي أن دار مساليت ودار تاما تتبعان إلى دارفور وليس إلى ودَّاي ، وأن التيرجا كانت ومازالت هي الحدود المعترف بها بين البلدين}** [٦].

عندما نقل ونجت حاكم عام السودان مذكرة سلاطين إلى **{جروست}** Grost المندوب السامي والقنصل العام البريطاني في القاهرة ، أشار إلى أن تلك المذكرة مقروءة مع مرفقاتها ، وهي كتابه الذي سبق أن أرسله إلى علي دينار في ١٩٠١م وكذلك رسالة سلاطين التي سبق أن أرسلها إلى علي دينار في ١٩٠٣م ، قد وضحت وضح الحدود من وجهة نظر حكومة السودان . وأعرب ونجت عن أمله بأن يكون الوزير الفرنسي أول من

---

(٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) : F.O./407/176, Grey to Grost, 19/1/1911.

(٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :
F.O./407/176, Enclosure, (3) in No.(19) Slatin to Governor-General, 5/2/1911.

(٦) نفس المصدر السابق .

يتفهم الوضع الصحيح وأن يعترف باستحالة قبول وجهة نظره من غير أن يعرض حكومة السودان لاتهام واضح بسوء النية من جانب علي دينار [٧] . ويلاحظ أن المندوب السامي البريطاني في القاهرة قد ذكر ، في سياق نقله مذكرة سلاطين إلى الخارجية البريطانية ، بتاريخ الحادي عشر من فبراير ١٩١١م ، أن حاكم عام السودان أبلغه بصفة خاصة بأن {تعيين} الحدود أمر أقرب إلى الاستحالة ما دامت دار تاما ودار مساليت تحت سيطرة القوات الفرنسية . وبالتالي فإن انسحاب القوا ت المحتلة ضرورة أولية في عملية الشروع في {تعيين} الحدود . وأضاف جروست من جانبه : {بأنه ليس عملياً أن نبدأ في تعيين الحدود قبل التوصل لاتفاق مع الفرنسيين حول ما إذا كانت دار مساليت ودار تاما تتبعان دارفور . إن هذا التوصل سيقلل من الصعوبات التالية مع علي دينار بالنسبة **{للتعيين الفعلي}** إذا تم التوصل لاتفاق مع فرنسا بالمعنى الذي ركزت عليه } [٨].

يبدو أن الخط الذي طرحته حكومة السودان وتبناه المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، لم يجد قبولاً من وزير الخارجية البريطانية {قرى} Gery إذ أنه أجل الاتصال بالحكومة الفرنسية بشأن الموضوع . شاهدنا على ذلك أنــه خاطب المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، بتاريخ الثاني والعشرين من فبراير ١٩١١م ، قائلاً : **{طالما أن الفرنسيين قد قطعوا على أنفسهم أن دار تاما تابعة إلى ودّاي وأن دار مساليت مشكوك في أمرها ، فإنه من غير المفيد مطالبتهم ، استنادا على بينة سلاطين الموافقة على نقيض ذلك قبل أن يتم تعيين الحدود . وبالرغم من قناعتنا بمذكرة سلاطين إلا أنه من المحتمل أن تعتبرها الحكومة الفرنسية أقوالاً شخصية ترتكز على مجرد الثقة بصاحبها وليس على اتفاق قاطع ، أو هي أقوال شخصية لممثل الطرف الآخر في النزاع وبالتالي فقد تكون غير مقبولة لديهم . ولكن قبل اتخاذ أي إجراء أرجو أن أحصل على تأييدكم وحكومة السودان على هذا التوجه }**[٩].

لكن حكومة السودان لم تكن متحمسة للتوجه الذي طرحته وزارة الخارجية البريطانية . فقد أعرب المندوب السامي البريطاني ، في رده على وزير الخارجية

---

(٧)أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./407/176, Enclosure, (1) in No.19, Wingate to Grost, 5/2/1911.

(٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Grost to Grey, 12/2/1911.

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Grey to Grost, 22/2/1911.

البريطاني ، بتاريخ الخامس من مارس ١٩١١م ، بأن سلاطين يرى التمسك بأن تعترف الحكومة الفرنسية بحق دارفور على دار مساليت ودار تاما ، خاصة وأن علي دينار لن يتنازل إطلاقاً عن المنطقتين بالرغم من أنهما لا تكتسبان قيمة عملية للبريطانيين والفرنسيين [١٠] . ولم تقتنع الخارجية البريطانية بتحفظات حكومة السودان ، فقد أشارت في رسالة إلى المندوب السامي البريطاني ، بتاريخ السابع عشر من مارس ١٩١١م ، إلى عدم اتفاقها بها . وكما جادلت فإنه ليس من المعقول أن يطلب من الحكومة الفرنسية أن تعترف قبل الدخول في عملية {تعيين} الحدود بالمسألة التي ستكون المهمة الأساسية التي سيناط بلجنة الحدود دراستها وتقديم تقرير بشأنها [١١].

***

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Grost ot Grey, 5/3/1911.

(١١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176,Grey to Grost, 17/3/1911.

الباب السادس

مبادرة الحكومة البريطانية لتسوية النزاع بالتحكيم

١ــ الحكومة البريطانية تتمسك برؤى سلاطين بانسحاب فرنسي قبل الدخول في تسوية الحدود .

٢ــ مجلة فرنسية تقترح إقامة منطقة محايدة بين دارفور ووداي لحين تسوية الحدود.

٣ــ الحكومة الفرنسية تشترط سيطرة الحكومة على دارفور قبل الدخول في تسوية الحدود.

٤ــ مراسلات دبلوماسية مطولة لتحديد مكان للالتقاء بين الطرفين لتسوية الحدود .

٥ــ الحكومة البريطانية تعزي المشاكل على الحدود إلى ضم فرنسا لأقاليم شاسعة وقلة خبرة مسئوليها المحليين .

في الوقت الذي انشغلت فيه وزارة الخارجية البريطانية ببلورة موقف مع المندوب السامي البريطاني وحكومة السودان ، بشأن كيفية معالجة مسألة الحدود مع فرنسا ، كان البرلمان الفرنسي منهمكاً في مناقشة ميزانية المستعمرات الفرنسية لعام ١٩١١م [١] في ذلك الإطار طرحت {اللجنة الخاصة بالمستعمرات} تقريراً جاء فيه بشأن الحدود بين وداي ودارفور ما يلي : -

١.لقد أكد سلاطين مفتش عموم السودان أن دار مساليت ودار قمر ودار تاما كانت تحت إدارته عندما كان مديراً عاماً لدارفور . لكن المكتشف {ناشيغال} Nachigal ذكر أن تلك الديار كانت مستقلة عن دارفور في ١٩٨٤م .

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.o/407/176, Grey to Grost, Enclosure 1,17/3/1911.

٢. إن الديار المذكورة لم توضع إطلاقاً تحت سيطرة مصر وإن رؤساءها ظلـــوا مستقلين عن دارفور .

٣. وردت إشارة أن هذه القبائل بالرغم من استقلالها الإسمي إلا أنها كانت تضفـــي ولاءً معيناً نحو سلطان ودّاي .

٤. إن {تعيين} الحدود سيكون مفيداً لكل من بريطانيا وفرنسا وبالتالي فإن احتـــلال بريطانيا لـــ دارفور يظل خطوة ضرورية نحو أمن وسلام المنطقة (٢) .

لقد أخضعت السلطات البريطانية في لندن والقاهرة والخرطوم ما ورد فـــي تقريـــر ميزانية المستعمرات الفرنسية عن الحدود بين دارفـــور وودّاي للدراســـة والتشـــاور (٣) وتأسيساً على ذلك أخذت الحكومة البريطانية المبادرة بفتح ملف الحـــدود مـــع الحكومـــة الفرنسية . فقد أصدر وزير الخارجية تعليماته إلى السفير البريطاني في باريس بـــأن يعـــد مذكرة ، على ضوء ما وفر له من بيانات ومستندات ، بشأن تبعية دار تاما ودار مســـاليت إلى دارفور ، وأن يقوم برفعها إلى الحكومة الفرنسية . وجاء في تلك التعليمات {متى مـــا عادت الحكومة الفرنسية لقبول وجهة نظر حكومة صاحبة الجلالة في المســـألة ، فقـــد يكون مناسباً اقتراح عقد مؤتمر في باريس أو في لندن لفحص كل الأدلة الموجودة لـــدى الحكومتين مع وجوب تمثيل حكومة السودان في المؤتمر . وقـــد اتخـــذت مـــن جـــانبي خطوات للتأكد حول ما إذا كان ممكناً لـــ سلاطين الحضور في حالة انعقاد المؤتمر }(٤).

على ضوء هذه التعليمات رفع {بيرتاي} Bertie السفير البريطـــاني فـــي بـــاريس مذكرة مطولة بشأن الحدود بين دارفور وودّاي إلى وزارة الخارجية الفرنســـية ، بتـــاريخ السادس والعشرين من مايو ١٩١١م (٥). ونورد فيما يلي النقاط الرئيسية التي وردت فـــي تلك المذكرة الهامة : -

---

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Cheethman to Grey, 15/4/1911.

(٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Grey to Bertie, 19/5/1911.

(٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Enclosure in No.56,Bertie to Cruppi, 26/5/1911.

١. إن الخطر الشديد الذي يطل من وقت إلى آخر ويعكس عدم الاستقرار على مناطق الحدود بين دارفور ووداي بالنسبة إلى فرنسا وبريطانيا ، معترف به من جانب الحكومتين . لقد قال المستر {بيكو} وزير الخارجية الفرنسية السابق في حديث حول هذا الموضوع مع القائم بالأعمال لحكومة صاحب الجلالة في ديسمبر الماضي : {**إن موقف حكومة بريطانيا كان مفهوماً جداً ، وإن تعيين الحدود قبل إحتلال دارفور سيكون في نظره أمراً مستحيلاً** } لكن الحكومة البريطانية من خلال تجربتها مع {المهدي} تعرف أكثر من الغير أنه من الأفضل الابتعاد عن الدخول في حملة بهدف غزو أي بلد إلا إذا كان ذلك ضرورياً [٦] .

٢. تكمن الصعوبة الحقيقية التي تقف بوضوح في طريق {**تعيين**} الحدود بين دارفور ووداي في مسألة تحديد وضع دار مساليت ودار تاما . إن تواجد القوات الفرنسية في دار مساليت ودار تاما يجعل من الصعب على حكومة صاحب الجلالة البريطانية وضع أي ترتيبات مع علي دينار الذي يعتبر هاتين الدارين تابعتين له دون أي شك ،وأنه من غير المحتمل أن يتنازل عن حقوقه باختياره . لذلك فإن الحكومة البريطانية ترى أن لأفكار على دينار في هذا المجال ما يبررها . لأنها تملك البيانات والمستندات ذات الصفة المقنعة بالنسبة لوضع دار مساليت ودار تاما [٧] .

٣.لاحظت حكومة صاحب الجلالة البريطانية إبراز بيانات معينة عن موضوع حدود دارفور مع وداي في تقرير ميزانية المستعمرات لعام ١٩١١م . لقد أشار التقرير في الصفحة (٥٧) إلى فقرات مختلفة من كتاب سلاطين (**السيف والنار في السودان**) بهدف إثبات أن دار مساليت ودار تاما كانتا ترتبطان ولائياً بـ وداي وليس دارفور . لقد جانب الصواب النتائج التي وصل إليها كاتب أو معد التقرير بالنظر إلى المقتطفات التي تم نقلها من ذلك الكتاب . ذلك أن الجملة إذا ما قرئت خارج إطار النص الذي وردت فيه فإنها تعكس معنىً خاطئاً . لقد أوضح سلاطين في بداية الفقرة التالية في الصفحات المذكورة أن الأوضاع التي وصفها هي التي كانت سائدة لدى مغادرته للسودان ، أي في **فبراير ١٨٩٥م وليس في ١٨٨٢م** . ويثبت ذلك أيضاً من إشارات وردت في الصفحات

---

(٦) نفس المصدر السابق .

(٧) نفس المصدر السابق

{١١٠-١١١} من الكتاب والتي تصف الوضع في نهايـــة ١٨٨١م وبدايـــة ١٨٨٢م ، إن الجزية التي كان يدفعها بعض رؤساء غربي **دارفور إلى ودّاي** في عام ١٨٩٥م ، كـــانت تدفع كمقابل للمساعدة التي قدمتها لهم ودّاي في نضالهم للمحافظة علـــى اســتقلالهم ضـد {**الدراويش**} الذين كانوا قد غزوا سلفاً الجزء الأكبر من دار فور [٨] .

٤.لقد أوضح سلاطين أن لسلطان دارفور كل الحق في اعتبار دار مســاليت ودار تاما أجزاءً من ممتلكاته . وأضاف أنه إذا كانت تقويمات rectifications الثالث عشر مـــن يونيو ١٨٩٩م [٩] مازالت سارية ، التي نصت على وجوب {ترســيم} الحـدود بطريقـة تفصل من حيث المبدأ **مملكة ودّاي عن ما كان يشكل في ١٨٨٢م مديرية دارفور** فـــإن حديث سلاطين عن الموضوع لابد من قبوله لأنه كان يحكم ويديـر تلـك المديريـة مـن ١٨٧٩م – ١٨٨٣م [١٠] .

وختم السفير البريطاني في باريس مذكرته الضافية إلى وزارة الخارجية الفرنسية بقوله : { إن البيّنة Evidence التي وضعتها أمام سعادتكم توضح بجلاء وجهـــة نظـر حكومةَ صاحب الجلالة ، وبحيث لا يكون ثمة شك يتعلق بوضع الدارين المذكورتيـــن . وتنفيذاً للتعليمات التي وصلتني من السيد إدوارد قرى يشرفني أن أبلغ ســعادتكم أنـه تأسيساً على هذه البيّنات فإن حكومة جلالته لا تستجيب للاقتراح الفرنسي بتعيين الحدود بين دارفور وودّاي إلا إذا اعترفت حكومة فرنسا مسبقاً بـــأن دار تامـا ودار مســاليت تتبعان إلى دارفور} [١١] .

لم تتسرع الحكومة الفرنسية بالرد على المذكرة البريطانية الضافية ،ولعلها قصــدت عدم تصعيد المشاكل الحدودية مع العديد من الدول في وقت واحد . فقد كـــانت الحكومـة الفرنسية معنية أيضاً ، مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين ، بقضايـــا حدوديـة مـع الدولة العثمانية وكذلك مع إيطاليا بشأن الحدود بين أفريقيا الإســتوائية الفرنســية ، ومـا

---

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) يبدو أن السفير البريطاني قد قصد إعلان الحادي والثلاثين من مارس ١٨٩٩م .

(١٠) راجع:

Slatin, Fire and Sword in the Sudan, 1879 - 1895, Translated by Wingate, London, 1890, pp.110-111

(١١) نفس المصدر المذكور في الرقم (٥) .

أصبح فيما بعد ليبيا . ولكن بالرغم من ذلك جاءت إشارة بتحريك مسألة الحدود بين دارفور ووداي في الساحة الفرنسية ، عندما نشرت {مجلة الصباح} La Martin الفرنسية مقالاً تناولت فيه الموقف الحدودي في وداي ، حيث وصفته بالخطر استنادا على ما تردد بأن علي دينار سلطان دارفور قد أرسل قواته إلى أراضي دار تاما . وطالبت الحكومة الفرنسية القيام بواجبها لمعالجة المسائل الحدودية المعلقة مع إنجلترا وتركيا . ولم تكتف المجلة بإثارة الموضوع فقط بل اقترحت إقامة {منطقة محايدة} Neutral Zone لحين الإنتهاء من تسوية المشاكل الحدودية المعلقة (١٢) .

في تلك الأثناء لم يكن علي دينار بدوره صامتاً ، فقد أبلغ سلاطين ، بتاريخ الخامس عشر من نوفمبر ١٩١١م ، بأنه يدرك بأن الحكومة الفرنسية كانت قد أبلغت حكومة السودان ، بأنها أوقفت تعديها على حدود دارفور . لكن الواقع يشير إلى أن القوات الفرنسية مازالت ماضية في تعديها على الحدود في المناطق القريبة من وداي . أكثر من ذلك أن تلك القوات باشرت من وقت إلى آخر جمع ضرائب من الأهالي القريبين من الحدود. وخلص علي دينار في رسالته إلى سلاطين بضرورة إرسال الحكومة ممثلين عنها إلى وداي لتخطيط الحدود To mark على نحو يكون مقنعاً للطرفين(١٣). عندما استلمت وزارة الخارجية البريطانية فحوى رسالة علي دينار، رأى {قرى} في رسالته إلى السفير البريطاني في باريس بتاريخ الرابع والعشرين من يناير ١٩١٢م، أن من الضروري إعادة تنشيط مسألة الحدود مع الحكومة الفرنسية خاصة وأن وقتاً قد مضى دون أن ترد الخارجية الفرنسية على مذكرة السفير البريطاني المطولة(١٤).

وبالفعل لقد دفع مانشرته مجلة الصباح الفرنسية من ناحية ، وإثارة {بيرتاي} السفير البريطاني في باريس لمسألة الحدود كما وجهته خارجيته من ناحية أخرى ،

---

(١٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/176, Bertie to Foreign Office. 6/11/1911.

(١٣) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A.Intelligence.7/2-13, Ali Dinar. 15/11/1911.

ويلاحظ أن علي دينار استعمل كلمة (تخطيط) أو (تعليم) وهي الكلمة الصحيحة للتعبير عن المقصود فعلا ، علماً بأن الوثائق والمستندات المتبادلة بين السلطات البريطانية والفرنسية جرت على استخدام كلمة (تعيين) باعتبارها مرادفة لكلمة (تخطيط) وهو استخدام جانبه الصواب وعدم الدقة كما يبدو .

(١٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407176, Grey to Bertie..24/1/1912.

الحكومة الفرنسية نحو التحرك [15]. قد ركز {بوينكير} وزير الخارجية الفرنسي في رده على مذكرة السفير البريطاني بتاريخ السادس من مارس ١٩١٢م على حقوق فرنسا في دار مساليت ودار تاما التي لا يمكن لها التنازل عنها إلا بتعويض عادل وكاف. وأبان الرد بأنه ليس لدى الحكومة الفرنسية النيه بالمضي في بحث الموضوع قبل أن تضع الحكومة البريطانية دارفور تحت سيطرتها . ولم يغفل الرد التنويه بتدخل على دينار وعدائه المستمر الأمر الذي يقتضي ، في رأي الحكومة الفرنسية ، وضع دارفور تحت السيطرة المباشرة للسلطات البريطاينة [16] .

بالرغم من أن {قرى} وزير الخارجية البريطانية لم يتفق مع المطلب الفرنسي بوضع إدارة دار تاما تحت السيطرة المباشرة لحكومة السودان ، إلا أنه كان على قناعة بعدم ترك موضوع الحدود مسكوتاً عنه . نقرأ ذلك في رسالته ، بتاريخ الرابع عشر من أبريل ١٩١٤م إلى {كتشنر} Kitchner المندوب السامي والقنصل العام البريطاني الجديد في القاهرة [17] . فقد أكد قرى في مستهل الرسالة ،على وجهة نظر حكومة السودان الثابتة بعدم إمكانية {تعيين} الحدود بين ودّاي ودارفور قبل انسحاب القوات الفرنسية من الدارين اللتين قامت باحتلالهما. وأضاف قرى : **{إن حكومة صاحب الجلالة لم تتوقع أن تسلم الحكومة الفرنسية بذلك الطرح . وعلى ضوء تفادي بوينكير وزير الخارجية الفرنسية كل ما أوردناه سلفاً من حجج وبراهين في مذكراتنا فإني لا أرى مخرجاً من الطريق المسدود الراهن غير أن نعقد مؤتمراً في لندن أو في باريس لمناقشة المسألة ولكي يطرح كل طرف أمام الآخر ما لديه من أدلة وبراهين . لقد نوهت الحكومة الفرنسية في أكثر من مناسبة لما لديها من أدلة وبراهين ، ولكن ليس في كل ما أبرزته حتى الآن ما يضعف القضية التي طرحتها لها حكومة صاحب الجلالة . وبالتالي ما لم يكن لدى الفرنسيين أدلة ذات وزن أخرى في جعبتهم ، فإن البيِّنه التي يمكن أن تطرح في هذا المؤتمر لن تكون إلا في غير صالح الذرائع الفرنسية}** [18] .

---

(١٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407176, Bertie to Poincare,.27/1/1912.

(١٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407176. Poincare to Bertie 6/3/1912,Endosuer in Bertie to Grey, 9/3/1912

(١٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/178. Grey to Kitchner, 14/4/1912.

(١٨) نفس المرجع السابق .

تأسيساً على موافقة المندوب السامي البريطاني في القاهرة على طرح وزارة الخارجية البريطانية ، رفع السفير البريطاني في باريس اقتراح حكومته بعقد مؤتمر إلى الحكومة الفرنسية . وقد وافقت السلطات الفرنسية لكنها اقترحت بدورها عقد المؤتمر في باريس في نوفمبر أو ديسمبر ١٩١٢م . وبررت تينيك التاريخين بضرورة حضور المسئولين الفرنسيين المؤهلين لمناقشة الموضوع إلى فرنسا ، وهما حاكم عام أفريقيا الاستوائية الفرنسية، والقائد العسكري لمركز تشاد [١٩]. ولما كان ليس بوسع ونجت حاكم عام السودان وسلاطين مفتش عام السودان مغادرة مواقفهما في التاريخين اللذين اقترحتهما الحكومة الفرنسية ، فقد اقترحت الخارجية البريطانية بدورها عقد المؤتمر في الخرطوم أو القاهرة كبديل لما ورد في رسالة {قرى} إلى {بيرتاي} بتاريخ السادس من أغسطس ١٩١٢ [٢٠]. بيد أن السلطات الفرنسية رفضت الخرطوم [٢١]. وأجلت البت في القاهرة كمكان بديل حتى تتمكن من تكملة مشاوراتها في ديسمبر ١٩١٢م [٢٢].

بينما كانت تلك المراسلات الدبلوماسية الطويلة المتبادلة تتم بين السلطات البريطانية والفرنسية ، رفع السفير الفرنسي في لندن ، بتاريخ الخامس من أكتوبر ١٩١٢م ، مذكرة إلى الخارجية البريطانية [٢٣] .وطبقاً لتلك المذكرة فإن عدم الاستقرار الذي تعاني منه الإدارة الفرنسية ، منذ أن أصبح سلطان ودّاي السابق وكذلك سلطان مساليت عاجزين ، هو سلوك وتوجهات علي دينار . فقد استغل وضعه في الإقليم البريطاني حيث لا يمكن للقوات الفرنسية الهجوم عليه . وكررت المذكرة ادعاءً فرنسياً بأن علي دينار استمر في شن غاراته على مواقع تابعة إلى ودّاي . وتساءل السفير الفرنسي في نهاية مذكرته حول ما إذا كان في مخطط الحكومة البريطانية النظر بجدية في إمكانية جعل سلطتها مباشرة وأكثر فعالية [٢٤] ؟.

(١٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/179, Bertie to Grey, 29/7/1912.

(٢٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/179, Grey to Bertie, 6/8/1912.

(٢١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/179, Bertie to Grey, 30/9/1912

(٢٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانة (لندن): F.O/407/179, Bertie to Grey, 6/10/1912.

(٢٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/179, Memorandum By Cambon, 5/10/1912

(٢٤) نفس المصدر السابق .

بعد التشاور مع القاهرة والخرطوم تأكد للسلطات البريطانية في لندن أن علي دينار ظل يقدم أحسن ما لديه في ظروف صعبة . وتأسيساً على ذلك ، عزا وزير الخارجية البريطاني في رده على مذكرة السفير الفرنسي بتاريخ الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٢م الصعوبات التي واجهتها الإدارة الفرنسية في وداي ، إلى ضم فرنسا المتسرع لمناطق وأقاليم شاسعة ، وكذلك إلى عدم خبرة وقلة عدد المسئولين المكلفين بالسيطرة على تلك المناطق . وخلص الوزير البريطاني إلى أن الوضع الحدودي بين دارفور ووداي يحتم عقد مؤتمر في أسرع وقت للنظر في الموضوع (٢٥) .

بالرغم من الرد البريطاني الذي انطوى على نقد لاذع للمبررات التي ظلت تسوقها السلطات الفرنسية ، فقد أرسل السفير الفرنسي في لندن مذكرة ، بتاريخ السابع عشر من ديسمبر ١٩١٢م ، إلى الخارجية البريطانية متضمنة رفض حكومته لعقد الاجتماع في القاهرة (٢٦) .واقترحت المذكرة الفرنسية لندن أو باريس محلاً لمؤتمر يعقد خلال الثلاثة أشهر الأولى من عام ١٩١٣م . كما حددت أن يكون الغرض من المؤتمر هو النظر في تبعية دار تاما ودار مساليت . وانتهت المذكرة إلى أن فرنسا لن تؤيد أياً من الالتزامات الناشئة عن ما يسمى {بالتعيين} طالما ظلت الأحوال في دارفور على النحو الذي أشارت إليه مذكرة السفارة بتاريخ السادس من أكتوبر ١٩١٢م (٢٧). لقد فسر وزير الخارجية البريطانية الرد الفرنسي بأنه محاولة أخرى لعرقلة الأهداف البريطانية الخاصة بعقد مؤتمر عاجل للنظر في مسألة الحدود . وبناءً على ذلك أبلغ {قري} وزير الخارجية البريطانية {كتشنر} المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، بتاريخ الثامن من يناير ١٩١٣م ، بأنه لم تعد ثمة جدوى من الضغط على الحكومة الفرنسية بشأن تاريخ ومكان انعقاد المؤتمر . ذلك أن الواضح من سياستها أنها ترمي إلى تأجيله لأطول زمن ممكن . وخلص وزير الخارجية البريطاني إلى صرف النظر عن مسألة عقد مؤتمر للنظر في الموضوع ، والعمل على رفعه إلى تحكيم دولي لحسم موضوع الدارين (٢٨).

---

(٢٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/179. Gery to Cambon. 18/12/1912.

(٢٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/176. Cambon to Grey. 17/12/1912.

(٢٧) نفس المصدر السابق .

(٢٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/179. Gery to Kitchener,8/1/1913.

لقد حصل {قرى} على موافقة كتشنر وكذلك موافقة ونجت حاكم عام السـودان ، برفع النزاع للتحكيم بتاريخ الخامس والعشرين من يناير ١٩١٣م[٢٩] .ومن ثم قام {قـرى} بتاريخ الخامس والعشرين من فبراير ١٩١٣م ، بتوجيه السفير البريطـاني فـي بـاريس {بيرتاي} لإبلاغ الحكومة الفرنسية أنه : **{بالنظر إلى صعـوبة ترتيب مؤتمر، ورغبة فـي وضع نهاية للأوضاع الراهنة غير المرضية ، فإن حكومة صـاحب الجلالـة تدعوهـا للاتفاق معها لرفع مسألة ملكية دار تاما ودار مساليت إلى التحكيـم فـي أقـرب وقـت ممكن}**[٣٠].

بهذه الطريقة تمكنت الحكومة البريطانية من محاصرة الحكومـة الفرنسـية بغيـة التوصل إلى حسم مسألة الحدود التي شغلت السلطات البريطانية في كل من لندن والقـاهرة والخرطوم طوال الثلاث عشرة سنة الماضية [٣١]. ومما لا شك فيه أن مـا انتـهت إليـه الدبلوماسية البريطانية يستجيب في مجمله لما ظل يلح عليه السلطان علي دينار منذ بدايـة القرن العشرين .

***

---

(٢٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Kitchener to Grey, 25/1/1913.

(٣٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Bertie to Grey, 2/4/1913

(٣١) ارشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Bertie to Gery, 2/4/1913

الباب السابع

اتفاق الحكومتين لرفع النزاع
للتحكيم ثم تأجيله

١ــ السلطات البريطانية تفضل أن يكون {التاريخ الحرج} لفض النزاع عـــدة ســنوات وليس عاماً واحداً .

٢ــ خريطة السودان لسنة ١٩٠٤م رسمت دار مساليت ودار تاما داخل تخوم دارفور .

٣ــ حكومة السودان تعد وثائق وبيّنات مثيرة لإثبات قضية السودان .

٤ــ سلاطين يؤكد أن {التيرجا} هي الحدود وكانت خط دفاع علـــى عــهد إدارة النــور عنقرة.

٥ــ مقتل علي دينار وحكومة السودان تحتل دارفور ، وتعييـــن اســتاك حاكمــا عامــاً وماكمايكل يحل محل سلاطين .

٦ــ سحب النزاع من التحكيم واستاك حاكماً عاماً وماكمايكل يقترح لجنة مشتركة لفـض النزاع مع الحكومة الفرنسية .

انتهينا في الفصل السادس إلى أن الحكومة البريطانية ضاقت ذرعاً بتعـــدد ذرائـــع السلطات الفرنسية بشأن حسم موضوع الحدود بيـــن دارفــور ووداي ، فقـــررت دعــوة الحكومة الفرنسية لحسم الأمر عن طريق التحكيم الدولي . لقد وافقت الحكومـــة الفرنســية بتاريخ السابع عشر من أبريل ١٩١٣م على الاقتراح البريطاني ، لكن الموافقــة الفرنســية جاءت مقترنة بثلاثة تحفظات هي : –

١. أن يقتصر التحكيم على سؤال محدد هو ما إذا كانت دار مساليت ودار تاما تابعتين إلى مملكة ودّاي أم تابعتين لمديرية دارفور طبقاً للوضع الذي كان سائداً في ١٨٨٢م ؟.

٢. أن يكون قرار التحكيم خاضعاً لتصديق البرلمان الفرنسي! .

٣. أن يتم {التعيين} بواسطة لجنة إنجليزية فرنسية مع استبعاد على دينار [١] .

يبدو أن الحكومة الفرنسية قصدت تعقيد الأمر على السلطات البريطانية . فالقاعدة الأصولية هي أن يكون القرار الذي تصدره هيئة التحكيم ملزماً للطرفين . وبالتالي فإن مسألة إخضاع قرار التحكيم للتصديق من قبل البرلمان الفرنسي يفرغ التحكيم تماماً من الهدف منه . من جانب آخر فإن المطالبة باستبعاد على دينار من التحكيم يبدو أمراً غريباً ، ذلك أن المسلم به أن أطراف التحكيم هما الحكومتان البريطانية والفرنسية ، وبالتالي فإن على دينار ليس طرفاً . لكن من المسلم به أيضاً أنه من غير الجائز أن يتدخل طرف في تحديد نوعية مساعدي الطرف الآخر .

لقد أخضعت وزارة الخارجية البريطانية ، كما كان متوقعاً ، الموافقة الفرنسية لمشاورات مكثفة مع كتشنر في القاهرة وونجت في الخرطوم [٢] . وقد تبين أن حكومة السودان تفضل أن يكون حسم مسألة ما إذا كانت دار مساليت ودار تاما تابعتين إلى دارفور أو إلى مملكة ودّاي ،طبقاً للوضع الذي كان سائداً قبل ١٨٨٢م بعدة سنوات وبالتحديد ما بين ١٨٧٦م و ١٨٨٢م ، وليس طبقاً للوضع الذي كان سائداً في ١٨٨٢م فقط كما ورد في الموافقة الفرنسية على اقتراح التحكيم [٣].

لقد كان القصد من التعديل الذي طرحته حكومة السودان ، والذي انطوى على تمديد الفترة من ١٨٧٦م إلى ١٨٨٢م ، بدلاً عن العام ١٨٨٢م فقط ، هو إتاحة المجال لها لتقديم أكبر قدر من البيّنات التي تدعم وتؤيد وجهة نظرها في النزاع المطروح. أما

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/180, Pichou to Bertie, 17/4/1913. Enclosure on Bertie to Grey, 18/4/1913.

(٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/180, Gery to Kitchener, 24/4/1913.

(٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Kitchener to Grey, 5/5/1913.

بالنسبة لموضوع استبعاد على دينار فقد أكدت حكومة السودان ، في كتابها بتاريخ الخامس من مايو ١٩١٣م أن ذلك يشكل مشكلة إذ أن التحكيم سيكون قاصراً على مسئولين بريطانيين يمثلون حكومة السودان . وحرص ونجت وكتشنر على الإعراب عن أملهما بمناشدة الحكومة الفرنسية لكي تكون نتيجة التحكيم مقبولة وملزمة دون الرجوع للبرلمان الفرنسي حتى لا يفرغ التحكيم من جوهره . كما حرصا على الإعراب بأنه بوسع وزارة الخارجية البريطانية إعطاء تطمينات للحكومة الفرنسية مؤداها أن حكومة السودان سوف تكون مسئولة عن النظام والأمن على جانب السودان بعد {تعيين} الحدود[٤].

تأسيساً على ما ورد في رسالة كتشنر رأى {قرى} وقبل الرد على الحكومة الفرنسية أن يطمئن بدوره عما إذا كانت حكومة السودان مستعدة لكي تتولى السيطرة المباشرة على دارفور إذا ما نشأت مشاكل في المستقبل بين علي دينار والفرنسيين في ودّاي . وكما أشار {قرى} في رسالته ، فإن الحكومة الفرنسية سوف تثير هذه المسألة في هذه المرحلة من الاتصالات [٥]. لقد كان ردّ كتشنر على ذلك التساؤل بمثابة أول نقطة تحول في سياسة حكومة السودان بالنسبة إلى دارفور وعلي دينار : **{إن علي دينار ممنوع منعاً باتاً بمقتضى تعيينه بأن لا يكون له أي علاقات أجنبية مباشرة . وإذا تسبب في أي مشاكل مع الفرنسيين بعد {التعيين} فإن من حق حكومة السودان أن تتخذ إجراءات مشددة لمنعه من ذلك . ومن أجل التأكيد على المحافظة على النظام ولمنعه من التسبب في أي قلاقل ، فإن حكومة السودان ستكون مستعدة لوضع نقاط عسكرية على الحدود بين دارفور وودّاي إذا اقتضت الضرورة}** [٦] وأضاف كتشنر : **{من المستحيل التأكيد يقيناً من تصرف على دينار في هذه الظروف. وإذا لم يستجب إلى تعليماتنا فإنه سيعرض نفسه للفصل ، وهو تهديد سيجعل قبوله مؤكداً . إن حكومة السودان لا تنوي وتأمل ألا تكون مضطرة إلى المزيد من التدخل في الإدارة الداخلية الراهنة في دارفور . لكن السير ونجت يرى أن إحلال النفوذ الفرنسي محل نفوذ حكومة السودان على تلك**

---

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Grey to Kitchener, 26/5/1913.

(٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Kitchener to Grey, 29/5/1913.

الأقاليم الشاسعة ، يشكل أمراً بالغ الخطورة بالنسبة للسـودان . وبالتـالي فإنـه مـن الواجب ، إذا اقتضى الأمر ، وضع إدارة دارفور على نحو أكبر من السيطرة الحالية}(٧).

على أثر هذه المشاورات بين وزارة الخارجية البريطانية مـن جـانب والمفـوض السامي البريطاني في القاهرة وحكومة السودان من جانب أخر ، أعد السـفير البريطـاني في باريس مذكرة إلى الخارجية الفرنسية انطوت على تفضيل الحكومة البريطانيـة بـان يكون {التاريخ الحرج} The critical date (٨) فترة عدة سنوات مـن ١٨٧٦م إلـى ١٨٨٢م شاملة ، بدلاً عن سنة واحدة فقط هي ١٨٨٢م كما تريـد الحكومـة الفرنسـية}. وطلبـت المذكرة أن يكون قرار التحكيم ملزماً للطرفين دون حاجة إلى تصديـق مجلـس العمـوم البريطاني أو البرلمان الفرنسي . وانتهت المذكرة بأن حكومة السودان ستمثل فـي هيئـة التحكيم بموظفين بريطانيين ، كما أن الحكومة ستتولى مسؤولية النظام في دارفـور بعـد تعيين الحدود (٩) .

في تلك الأثناء كانت حكومة السودان قد أعدت ما تسنى لها مـن وثـائق وبينـات لازمة لإثبات تبعية دار تاما ودار مساليت إلى مديرية دارفور قبل وفـي ١٨٨٢م. ومـن بين الوثائق التي أوردها كتشنر في مذكرته ، بتاريخ الخامس عشر من يونيـو ١٩١٣م ، إلى الخارجية البريطانية (١٠) ما يلي : -

١. خطاب حاكم عام السودان إلى سلطان دارفـور بتـاريخ الأول مـن مـايو ١٩٠١م

٢. خطاب من المفتش العام للسودان إلى سـلطان دارفـور بتـاريخ الثـاني والعشرين من ديسمبر ١٩٠٣م .

---

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) لفهم مدلول تحديـد (التاريخ الحرج) وأهميته البالغة في قبول البينات التي يحسم على ضوئـها أي نزاع حدودي

انظر: Goldie, L.F. (The Critical Date), Law Quarterly (1963), pp.1251-84.

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Bertie to Pichou, 18/6/1913.

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/180, Kitchener to Gery, Enclosure, 15/6/1913.

٣. مقتطف من كتاب (تاريخ السودان) لـ نعوم شقير المنشور عام ١٩٠٤م .

٤. مذكرة من وزارة الحربية ، بتاريخ العاشر من نوفمبر ١٨٩٨م .

٥. إقرار من اللواء السير رودولف سلاطين بتاريخ العشرين من يونيو ١٩١٣م .

٦. إقرار من النور بك عنقرة حاكم مركز كبكابية ، وهو المركز الذي كان يشمل من ١٨٧٨م إلى ١٨٨١م دار مساليت ودار تاما .

٧. إقرار من الحاج فضل الله بابا ليج العركي محصل الضرائب .

٨. إقرار من الجاويش فرج سعيد من الفرقة الثالثة التي كانت بقيادة سليمان بك.

٩. إقرار من الملازم أول ايفنتدي القاسم .

١٠. إقرار من عبدالسلام أغا محمد .

١١. إقرار من شريف محمود طلعت .

١٢. رسالة تم الحصول عليها من مراسلات مهدوية بعد سقوط امدرمان (١١)

لقد كان إقرار اللواء السير رودولف سلاطين ، الذي تم تقديمه كجزء من البيّنات التي أرسلها كتشنر إلى وزارة الخارجية ، تدعيماً لقضية السودان في التحكيم المزمع انعقاده ، عبارة عن وصف وبيان للحدود ، سبق أن أعده سلاطين للمندوب السامي البريطاني في القاهرة في الخامس من أغسطس ١٩١٠م . وطبقاً لذلك الإقرار : {إن **الحدود بين دارفور ووداي معلّمة بوضوح بما يسمى التيرجا ، وهو الاسم الذي أطلق على الحاجز المكون في الأساس من سلسلة جبال متوازية ملئت المسافات التي بينها بجدران حجرية يبلغ ارتفاعها مترين . وهي مغطاة بالحشائش الشوكية . إن الخط واضح وجلي ويعترف به الناس على الجانبين ، لقد استعملت تلك الجدران خلال إدارة**

(١١) المرجع السابق.

النور عنقرة ما بين ١٨٧٩م و ١٨٨٢م كخطوط دفاع ضد الغــزاة وقطــاع الطــرق . ويتطابق هذا الخط مع الحدود الغربية المرسومة في خريطة السودان العامة مقاس واحد سنتيمتر مقابل ٤,٠٠٠,٠٠٠ . وهي تبدأ في الجنوب عند تقاطع مجرى مياه وادي كاجا و وادي أسونقا . ثم تستمر إلى الشمال مكونة جزءاً من الحدود الغربية لدار مســاليت وملتزمة غربي وادي أسونقا وحتى زغاوة كوبي وهي النقطة الشمالية الغربيــة لإقليــم دارفور . هذا البيان حول الحدود بين دارفور ووداي هو كما أذكر صحيح جداً . أمــا دار تاما ودار مساليت فقد كنت أقوم بإدارتها بالفعل عندما كنت مدير عموم دارفــور . لقــد كانت الحدود بين السودان الإنجليزي المصري ومناطق النفوذ الفرنسي ، فــي مــارس ١٨٩٩م ، قائمة على أساس الحيازات السابقة للحكومــة المصريــة فــي الســودان . وبالتالي فإنه ليس للحكومة الفرنسية حــق مــهما كــان نوعــه فــي دار تامــا ودار مساليت}[١٢].

ذكر كتشنر في مستهل مذكرته إلى وزارة الخارجية ، التي أرفق معها ما أعده مــن بيّنات وأدلة مثيرة بشأن حدود دارفور مع وداي ، وقبل أن يعلق على تلك البيّنات أنه قــد قام بدراسة كل المراسلات الرسمية السابقة للمعاهدة الإنجليزية الفرنسية ١٨٩٩. والبــادي من كل ذلك أنه لم يوجد ثمة شك حتى ولو كان ضئيلاً في ذهن أيٍ من الحكومتيــن فــي ذلك الوقت ، بأن الدارين ، **مساليت وتاما** ، كانتا جزءاً من دارفور وأن عدم التأكد الــذي كان سائداً يتعلق بوضع **دار سيلا** . وعلى سبيل المثــال ألمح اللورد كرومر في تلغرافــه رقم (٥٤) بتاريخ الثامن عشر من فبراير ١٨٩٩م ، إلى اللورد الراحل ساليسبوري ، إلــى خريطة فرنسية للفاشر ، مراجعة في ١٨٩٥م ، يتضح من مربعها رقــم (٢٧) أن الديــار الثلاث تقع في دارفور . ويبدو أيضاً من مسودة المعاهدة التي تركــها الســفير الفرنســي بصورة شخصية في وزارة الخارجية البريطانية ، في التاسع من مارس ١٨٩٩م أنــه لــم يكن لدى الحكومة الفرنسية ذاتها أي شك في ذلك الوقت بالنســبة لوضــع الداريــن . إن مســألة الملكية عليهما قد أثيرت فقط مؤخراً ولم تُثر من قبل [١٣].

---

(١٢) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A. Intelligence. 2/4-17, Note By Slatin, 5/8/1910.

(١٣) نفس المصدر المذكور في الرقم (١٠) .

وأضاف كتشنر في مذكرته إلى الخارجية البريطانية {**إن ثمة نقطة أخرى لا يجوز تجاوزها . وهي أنه لم توجد أي شكوك في ذهن سلطات حكومة السودان حول هذا الموضوع . فلقد تم نشر خريطة للسودان الإنجليزي المصري في ١٩٠٤م ، تم فيها تعليم الدارين في داخل تخوم تلك المديرية . ولم تثر أي مسألة بالنسبة لتلك الخريطة في زمن نشرها ولم نسمع أي تساؤل بشأنها فيما بعد إلا بعد أن احتلت القوات الفرنسية وداي**} . وختم كتشنر مذكرته بالتعليق على طبيعة البيِّنات التي أعدها لتأييد قضية حكومة السودان في التحكيم المزمع بقوله : {**أود أن ألفت النظر أنه في حالة البلاد الفطرية ، حيث لا تحفظ سجلات دائمة أو حيث ، كما هو الحال في دارفور ، قد تم تدمير أوضاع ما كان موجوداً من سجلات خلال فوضى التمرد المهدوي ، فإن من الصعوبة بمكان الحصول على الوثائق الأصلية . وبالتالي فإن البينة المتاحة والأكثر تصديقاً تتكون من بينات رسمية من مسئولين رسميين يكون لديهم ، أو كانت لديهم ، معرفة شخصية لصيقة مع الوقائع التي يشهدون عليها أو بها ..**} (١٤) .

بتاريخ السادس والعشرين من أغسطس ١٩١٣م ، ردّت وزارة الخارجية الفرنسية على مذكرة السفير البريطاني المؤرخة في الثامن عشر من يونيو ١٩١٣م . وقد ركز الرد الفرنسي على مسألة التاريخ الحرج فقد رفضت الحكومة الفرنسية{**التاريخ الحرج**} الذي اقترحته الحكومة البريطانية . وأصر الرد الفرنسي على تثبيت {**التاريخ الحرج**} في سنة ١٨٨٢م بحجة أنها التاريخ الوحيد الذي ذكره إعلان مارس ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي . وبالرغم من أن الرد لم يثر مسألة إلزامية قرار التحكيم ، إلا أنه أشار بأن الحكومة لن تلزم نفسها باتفاق اللجوء إلى التحكيم Cmopromise دون موافقة البرلمان (١٥).

في غضون ذلك واصل المندوب البريطاني في القاهرة وحكومة السودان بحثهما الدؤوب للحصول على المزيد من البيِّنات لدعم موقف السلطات البريطانية في التحكيم المرتقب . نجد ذلك في رسالة لاحقة من كتشنر ، المندوب البريطاني في القاهرة ، بتاريخ العاشر من أكتوبر ١٩١٣م ، إلى وزارة الخارجية في لندن (١٦). فقد تم الحصول على أدلة إضافية هي عبارة عن مقتطفات من مذكرات المكتشف {ماتوكي} Matteucci التي

---

(١٤) نفس المصدر السابق .

(١٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Pichou to Bertie, 26/8/1913.

(١٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Kitchener to Grey , 10/10/1913.

كتبها عن رحلته عبر أفريقيا والمنشورة في مجلة {المكتشفون}The-Exolorators، المجلد الخامس ،ميلانو، {١٨٨١} يقول المكتشف {ماتوكي}:{في السودان مررنا في كردفان ومن هناك دارفور. لقد أبدى سلطان دار تاما تفهماً عظيماً لما يمكن أن يحدث لنا في ودّاي ، حيث يحكم ملك يكره البيض وشعب مفرط في التعصب . إن سلطان دار تاما سيبدأ مفاوضات مباشرة مع سلطان ودّاي [١٧] .وقد ورد في تلك المذكرات أيضاً خطاب من أكاسا Akassa التي تقع عند مصب نهر النيجر بتاريخ الأول من يوليو ١٨٨١م وموقع باسم {ماتيكي الفانو ماريا} وقد جاء فيه : {ودّاي التي مازالت مغلقة أمام بحوث الجغرافيين ، هي أقوى إمبراطورية في أفريقيا الوسطى ، وتمتد ممتلكاتها شمالاً حتى الصحراء الليبية عند خط بنغازي ، وتشمل في الجنوب ممالك باغرمى ودار رونقا الشاسعتين ، وتحد من ناحية الغرب في أحد جوانبها بالبرنو ، والبقية من الحدود اختفت وسط قبائل البرنو . أما في الشرق فإنها تحد بدارفور ودار تاما وهي مملكة صغيرة تابعة إلى مصر } [١٨] .

من الواضح أن المقتطفات سالفة الذكر تدعم وتؤيد في مجملها قضية السلطات البريطانية بالنسبة لتبعية دار تاما من وجهين . الأول ، أن دار تاما طبقاً للمقتطف الأول كانت سلطنة مختلفة عن مملكة ودّاي ، وأما المقتطف الثاني فقد أكد بجلاء أن ودّاي تحد من ناحية الغرب بدارفور و {دار تاما وهي مملكة صغيرة تابعة إلى مصر} . ويمكن القول إن هذه المقتطفات مقترنة مع البيّنات التي سبق أن أعدها كتشنر وحكومة السودان ، تعكس بجلاء مدى حرص السلطات البريطانية في القاهرة والخرطوم على تأكيد تبعية دار مساليت ودار تاما إلى السودان في التحكيم المرتقب .

أما فيما يتعلق بالاتصالات الدبلوماسية بين الحكومتين البريطانية والفرنسية فقد مضت أربعة أشهر دون أن ترد الأولى على آخر مذكرة وصلتها من الأخيرة بتاريخ السادس والعشرين من أغسطس ١٩١٣م . ولعل صمت السلطات البريطانية قد شغل السلطات الفرنسية . فقد بادرت وزارة الخارجية الفرنسية بتحريك الاتصالات الدبلوماسية، حيث نقلت إلى الخارجية البريطانية ، بتاريخ الأول من أبريل ١٩١٤م ، رؤاها بشأن تكوين هيئة التحكيم . واقترحت أن يسمى كل طرف محكماً واحداً ويقوم المحكمان الاثنان

---

(١٧) نفس المصدر السابق.

(١٨) نفس المصدر السابق.

باختيار محكم ثالث ، وإذا أخفق المحكمان في ذلك تطلب الحكومتان من حكومة محايدة اختيار المحكم الثالث [١٩] . لقد اعترضت الخارجية البريطانية على ذلك الاقتراح بحجة أنه يترك القرار من حيث الواقع لمحكم واحد محايد ، واقترحت بدلاً عن ذلك تكوين هيئة التحكيم من خمسة محكمين ، يمثل اثنان منهما الطرفين ويكون الثلاثة الباقون محايدين[٢٠]. ولم يشأ الفرنسيون الانصياع إذ وافقوا بدورهم أن يقوم كل طرف بتسمية محكمين، على أن يكون أحدهما من مواطنيه ، ومن ثم يقوم المحكمون الأربعة باختيار محكم خامس [٢١]. وبالرغم من أن الخارجية البريطانية قبلت الاقتراح الفرنسي الأخير إلا أنها أضافت أن يتم اختيار المحكم الخامس بتبادل المذكرات بين الحكومتين [٢٢]. وأبت وزارة الخارجية الفرنسية إلا أن تشترط بدورها أن يتم تعيين المحكم الرئيس بواسطة حكومة ثالثة تقوم الحكومتان الفرنسية والبريطانية باختيارها [٢٣]. وأخيراً قبلت الحكومة البريطانية ذلك وأعربت بتاريخ الحادي عشر من يونيو ١٩١٤م ، عن استعدادها لإبرام اتفاقية التحكيم [٢٤] .

لقد تمت أحداث هامة في غضون تبادل تلك المراسلات الدبلوماسية المطولة بين الخارجيتين البريطانية والفرنسية ، فقد ذهب {سلاطين} الخبير العلامة **بحدود السودان الغربية وحل محله {ماكمايكل} المفتون بتاريخ العرب والقبائل في السودان [٢٥] . ومن جانب آخر قامت حكومة السودان باحتلال دارفور وقتل علي دينار في نوفمبر ١٩١٦م[٢٦]. وتم تعيين (ونجت) حاكم عام السودان ، مفوضاً سامياً لبريطانيا في القاهرة . وجاء بدلاً عنه السير {لي ستاك} حاكماً عاماً للسودان** . وكما كان متوقعاً فقد

---

(١٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Pichou to Bertie, 1/4/1914.

(٢٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Grey to Pichou, 13/4/1914.

(٢١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/180, Pichou to Gery, 24/4/1914.

(٢٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/181, Grey to Pichou, 7/5/1914.

(٢٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/181, Pichou to Grey, 29/5/1914.

(٢٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/181, Grey to Pichou, 11/6/1914.

(٢٥) عمل ماكمايكل ضابطاً سياسياً واستخبارات في الحملة التي انتهت بسقوط دارفور واحتلال حكومة السودان لها .

(٢٦) لقد قتل السلطان علي دينار في مكان يقع حوالي ٢٠ ميلا شمالي زالنجي وعلى بعد ٧١ ميلا من حدود أفريقيا الاستوائية الفرنسية – راجع:

Sandes, The Royal Engineers In Egypt and the Sudan, chatham, 1937,p.336.

ألقت تلك الفترة من التطورات بظلالها على اسلوب التعامل مع حدود السودان الغربيـــة . وتحديداً فقد خضعت التطورات اللاحقة بشأن حدود دارفور إلـــى حـد كبـير لأسـلوب وعقلية{ماكمايكل} . ولعل أبلغ دليل على ذلك أن حكومة السودان بـــادرت بـــإبلاغ وزارة الخارجية البريطانية بأنها تفضل سحب النزاع مع فرنسا من التحكيـم وعلـى أن يكـون البديل تكوين لجنة إنجليزية فرنسية مشتركة (لتعيين) الحـــدود . **كمـا اقـترحت حكومـة السودان ضم {دار تاما} إلى فرنسا على أن يتم بالمقابل ضم {دار مساليت} و {دار قمر} إلى السودان**[٢٧]. ويلاحظ أن وزارة الخارجية البريطانية ودون الدخول في تفصيل أقـرت تأجيل الموضوع برمته بحجة أن تتم معالجته في إطار التسويات الإقليمية الشـاملة التـي ستتم بعد نهاية الحرب [٢٨] .

مع استمرار الحرب العالمية الأولى دخل موضوع تسوية الحدود الغربية للسـودان مع أفريقيا الإستوائية الفرنسية مرحلة من السكوت . في تلك الأثناء أعد ماكمـايكل الـذي أصبح مديراً لمديرية دارفور بالإنابة ، تقريراً مطولاً عن دار مسـاليت ، وقـد ورد فيـه بالنسبة للحدود الغربية لدار مساليت :**{لقد كانت حدود دار مساليت حتى قبل سبع سـنوات تمتد تجاه الشرق من ايفين التي بالقرب من نوفورنتج وسميت في الخريطة موقورتي ثم تمتد إلى تيقيري وسميت في الخريطة تيقوري ثم إلى وولي وسميت في الخريطة ويلـي حتى تصل على حدود تاما بالقرب من آندا وكان الفرنسيون قد ضمـوا كـل المنطقـة الواقعة بين هذا الخـط وبين وادي اسونقا و وادي كاجا – كوم – أسونقا فـي وداي . وقد تم ذلك بالرغم من أن السكان مساليت وبصرف النظر عن إعلان مارس الإنجلـيزي الفرنسي ١٨٩٩م . ومنذ ذلك التاريخ استمروا في إدارته وجمع الضرائب ، وقاموا فـي ١٩١٧م بإنشاء نقطة في تلك المنطقة في أدري . وعندما كنـا نسـمع أن الفرنسـيين أقاموا نقاطاً في دار مساليت أو أخذوا جزية من دار مساليت فإن الإشارة كـانت لتلـك المنطقة}** [٢٩] **ويضيف التقرير وبالتالي فإن الحدود الغربية لـدار مسـاليت إذا حذفنـا المنطقة التي ذكرناها ، تكون هي وادي كاجا ابتداءً من ايفين وإلى الجنوب منها إلى أن تصل على ملتقى كاجا وأسونقا وتمتد من هناك في اتجاه الشـمال علـى امتـداد وادي**

---

(٢٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/182, Grost to Foreign Office, 17/3/1916.

(٢٨) أرشيف وزارة لخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/182, Foreign Office to Grey, 3/4/1916.

(٢٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/182, Enclosure (in) Grost to Foreign Office, 17/3/1916.

أسوقنا إلى أن تصل إلى حدود تاما . وفي إيجاز تحد دار مساليت مـــن ناحيــة الغــرب بوديان أسونقا وكاجا ، وتحــد من الشرق بوادي باري . ولـــم يمــارس ســلطان دار مساليت أية سلطة إلى الغرب من أسونقا – كم – كاجا كما أنه لم يمارس سلطة شـــرقي باري. إن أياً من هذه الوديان يمكن أن تكون حدوداً مثالية حيث إنها وديـــان عريضـــة وموضحة توضيحاً جيداً بسهول رملية غير صالحة للزراعــة . إن أيــاً مــن الطرفيــن يستطيع أن يحفر آباره فيها بدون مضايقات من الطرف الآخر} [٣٠].

وهكذا بدأ ماكمايكل في وضع بصماته الأولية على ما قد ستكون عليه الحدود بين دارفور ووداي الفرنسية في مرحــلة تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى .

***

(٣٠) نفس المرجع السابق.

الباب الثامن

معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية
والبدء في تخطيط الحدود

١ــ الاتفاق على اعتبار معاهدة ١٩١٩م ملحقاً لإعلان مارس ١٨٩٩م .

٢ــ تأكيد المعاهدة لحقوق السعي والحقوق المكتسبة للقبائل على جانبي خط الحدود.

٣ــ المعاهدة تؤكد تبعية آبار النطرون و طور البيداي وبئر البيدي للسودان

٤ــ الفرنسيون يحتلون جزءاً من إقليم التعايشة ويرفعون العلم الفرنسي في أم دافوق.

٥ــ استاك يرى ضرورة إبرام ملحق جديد لمعاهدة ١٩١٩م .

٦ــ تكوين لجنة بريطانية فرنسية لتخطيط الحدود على الطبيعة .

بعد أن أصبح استاك حاكماً عاماً للسودان وقفز ماكمايكل ، الذي كان المسؤول السياسي وضابط الاستخبارات في حملة احتلال دارفور، إلى قمة إدارة مديرية دارفور اقتنعت وزارة الخارجية البريطانية بفكرة سحب النزاع من التحكيم . والواقع أن الحرب العالمية الأولى هي التي لعبت الدور الأساسي في تجميد التحكيم بل وفي صرف النظر عنه تماماً من جانب الطرفين البريطاني والفرنسي . وقرأنا في الفصل السابق عن التقرير المطول الذي أعده ماكمايكل عن دار المساليت وإشارته إلى أن الفرنسيين كانوا قد ضموا جزءاً من إقليمهم إلى أفريقيا الاستوائية الفرنسية ، بالرغم من أن سكانه مساليت وأن ذلك تم بصرف النظر عن إعلان مارس ١٨٩٩م . وذكر ماكمايكل أن الفرنسيين قاموا في ١٩١٧م بإنشاء نقطة في تلك المنطقة في أدري . ومع نهاية الحرب العالمية الأولى اتجه المنتصرون نحو مفاوضات مطولة لتسوية , اقتسام ما تمخضت عن الحرب ، حيث عقدت

سلسلة من المؤتمرات وأبرمت العديد من المعاهدات والاتفاقيات . والذي مثل فيه ماكمايكل حكومة السودان . في إطار ما سمي بمؤتمر باريس للسلام ١٩١٩م .

في إطار ذلك المؤتمر أبرمت السلطات البريطانية والفرنسية معاهدة الثامن من سبتمبر ١٩١٩م بشأن حيازاتهما في شمالي وأواسط أفريقيا . واتفقت الدولتان على أن تكون تلك المعاهدة {ملحقاً} Supplementary لإعلان مارس ١٨٩٩م ومعاهدة يونيو ١٨٩٨م . وبالتالي فقد اكتسبت معاهدة ١٩١٩م ومنذ البدء أهمية بالغة بالنسبة لحدود السودان الغربية مع جمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد من ناحية وحدود السودان الشمالية الغربية مع ليبيا من ناحية أخرى [١] .

بداية أكدت معاهدة الثامن من سبتمبر ١٩١٩م، فيما يتصل بحدود السودان مع كل من أفريقيا الوسطى وتشاد ، على نقطة البداية التي نص عليها إعلان مارس ١٨٩٩م . ومن ثم اتفقت الدولتان على أن {**يتابع خط الحدود ، من حيث المبدأ فاصل المياه بين خط تقسم المياه في حوضي النيل والكنغو حتى تقاطعه مع خط عرض ١١ درجة شمال**} وطبقاً للمعاهدة يجب {**رسم الحدود من تلك النقطة بحيث تفصل من حيث المبدأ مناطق** دار كوتي ودار سيلا ووداي ودار تاما من **مناطق التعايشة والقبائل الأخرى الخاضعة إلى دار فور ودار مساليت ودار قمر** } . وتعزيزاً لذلك المبدأ {**يجب أن تجري الحدود إلى ملتقى وادي أزوم مع وادي كاجا . ومن ثم تتابع من هناك وادي كاجا حتى تقاطعه مع وادي أسونقا ومن ثم يجب أن تتابع الحدود من هناك وادي أسونقا إلى نقطة تقع شمال جبل كودير ، تقوم لجنة الحدود بتحديدها وتجري الحدود من تلك النقطة نحو الشمال بحيث تتابع الحدود بين تاما ومساليت ، ثم تتابع الحدود من هناك الحدود الشرقية لدار تاما حتى تصل إلى أقصى نقطة التقاء شمالية بين دار تاما ودار قمر . وتجري الحدود من هناك شمالاً حتى وادي هور . ويجب ترسيم الحدود في كل هذا الجزء من الخط على نحو يفصل من حيث المبدأ دار تاما والإقليم الذي يقطنه فرع من قبيلة الزغاوة كوبي الخاضعة بالفعل للسلطة الفرنسية ، من منطقة قبائل الزغاوة الأخرى**} .

واشترطت المعاهدة وجوب توفر السقي للقبائل التي على جانبي الحدود . كما ترك للجنة الحدود المزمع قيامها تحديد مواقع المياه ، على أن تكون ابار (**آوربا**) عند التحديد

---

(١) أنظر: United Kingdom Treaty Series, No. 6(1921) Command.

على الجانب الفرنسي من الحدود . أما عن وصف خط الحدود بعد أن يصل إلى {وادي هور}فقد نصت المعاهدة على أن **{تتابع الحدود ذلك الوادي ، من حيث المبدأ في اتجاه الشرق حتى تصل إلى الحد الشرقي لمنطقة النفوذ الفرنسي ، وبالتحديد خط طول ٢٤ شرقي غرينتش ، وبحيث تفصل من حيث المبدأ أراضي قبائل البديات والقرعان إلى الشمال من أراضي الزغاوة الذين إلى الجنوب}** (٢).

وأكدت الفقرتان {٥-٦} من المعاهدة بأنه ، **قد بات مفهوماً أن وصف الحدود بأنها تتابع {وادٍ} فإن ذلك يعني عدم الإضرار بحقوق مسقى السكان على جانبي الوادي.** كما أكدت الفقرتان أيضاً أنه عند ما يتم وصف الحدود بأنها تجري من نقطة إلى أخرى بحيث تفصل من حيث المبدأ منطقة قبيلة من منطقة قبيلة أخرى فإن ذلك يعني وجوب مراعاة الحقوق القائمة على جانبي الحدود بقدر الإمكان (٣). واللافت حقاً أن بريطانيا اعترفت ، بموجب المعاهدة ، وبغرض تمكين السلطات الفرنسية من ممارسة سيطرة فاعلة على قبائل البديات والقرعان ، بأنه ربما يكون من الضروري بالنسبة إلى فرنسا أن تمد نفوذها شرقاً إلى ما بعد خط طول ٢٤ درجة شرق وإلى الشمال من **{وادي هور}** . بالرغم من أن المعاهدة اشترطت عدم امتداد السيطرة الفرنسية إلى ما وراء حدود المنطقة المأهولة بالقبيلتين المذكورتين . كما أنه لا يجوز للسيطرة الفرنسية التعدي على الحقوق القائمة الكاملة الخاصة بالحكومة البريطانية على بئر **{النطرون}** وبئر **{طور البيداي}** وبئر **{البيدي}** والتي تقع جميعها على الجانب السوداني من الحدود وخارج المناطق التي تسكنها قبيلتا البديات والقرعان . وبالرغم من أن التحديد النهائي لهذا الامتداد من الحدود قد تُرك للجنة الحدود ، إلا أن المعاهدة اشترطت **{وجوب ألا تتجاوز الحدود في كل الأحوال خط طول ٢٤ درجة و ٣٠ دقيقة شرقي غرينتش}** (٤) .

لقد ذكرنا سلفاً أن معاهدة ١٩١٩م نصت على أنها ملحق للإعلان المبرم في لندن في الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م ، لمعاهدة الرابع عشر من يونيو ١٨٩٨م التي نظمت الحدود بين الحيازات الاستعمارية البريطانية والفرنسية ومناطق النفوذ التي تقع غربي وشرقي نهر النيجر. ونضيف هنا أن معاهدة ١٩١٩م قد نصت في بندها الأخير

---

(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) نفس المصدر السابق.

على : {**أنه من المفهوم أنه لا يوجد في هذه المعاهدة ما يخل بتفسير إعـــلان الحـــادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م ، والذي طبقاً له أن كلمات المادة (٣) التي تقـــرأ ...... ومن ثم يجب أن تجري الحدود إلى الجنـــوب شرق حتى تلتقي مع خط طول ٢٤ درجـــة شرقي غرينتش قد تم قبولها بحيث تعني : يجب أن تجري في اتجاه جنوب شرق حتـــى تلتقي مع خط طول ٢٤ درجة شرقي غرينتش عند تقاطع تلك الدرجة من خط الطول مـــع خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً**} [٥] .

لا شك أن تغيير {**سلاطين**} الخبير بحدود السودان الغربية بـــ {**ماكمايكل**} قد ســـهل الوصول إلى تسوية سريعة للصراع الطويل على تلك الحدود . لكـــن مرونـــة ماكمـــايكل جعلت السودان يفقد مساحات واسعة من الأراضي , فقد وافق ماكمايكل على سبيل المثـــال أن يحتفـــظ الفرنسيـــون ليس فقط بدار تاما ولكن أيضاً بـــ {**حجار توكي**} بـــالرغم مـــن أنهم من الزغاوة . ذلك بالإضافة إلى احتفاظ الفرنسيين بالبديات والقرعان . لقـــد اعتـــبر ماكمايكل أن تلك التسوية مقنعة وأنه {**حصل على كل ما كانت يمكن التغلـــب عليـــه**} [٦].
يضاف إلى ذلك أن المعاهدة افتقرت للتفصيل الجغرافي مما يعني أن الفقرتين{٤-٥} مـــن المعاهدة قد ألقتا على عاتق لجنة الحدود ، المزمع قيامها بمهام ثقيلة . خاصة وأن الحـــدود إلى الجنوب من خط عرض١٢ درجة شمالاً لم يتم ترسيمها خرائطياً. كما أن قبول خـــط عرض باعتباره حدوداً إلى الشمال من وداي هور {**خط عرض ١٥ درجة و ٤٠ دقيقـــة**} قد اعتبر إجراءً مؤقتاً اقتضاه الافتقار للمعلومة الجغرافية ، مما يعني أن على لجنة الحـــدود المزمع قيامها أن تحدد على وجه الدقة حـــدود المنـــاطق التـــي تقطنـــها قبـــائل البديـــات والقرعان.

لقد لخص {**استاك**} حاكم عام السودان في رسالة منه ، بتاريخ الرابع من ديســـمبر ١٩١٩م ، إلى {**اللنبي**} Allenby المندوب السامي البريطاني في القاهرة الوضع بقولـــه : {**أرى أننا بحاجة إلى اتفاق آخر ملحق بعد أن تستكمل لجنة الحدود مهمتها ، ويـــهدف الاتفاق الجديد إلى أمرين. الأول أن يعّرف على وجه الدقة كل الخط الحـــدودي وبصفـــة خاصة في المنطقة التي تقع إلى الجنوب من خط عرض ٩ درجة شمال ، والأمر الثـــاني**

---

(٥) سنعرض لأهمية هذا النص في القسم الثاني من هذا الكتاب الخاص بحدود السودان مع ليبيا .
(٦) انظر: Wingate Papers, No.46, MacMichael to Wingate, 29/5/1919.

استبدال خط طول ٢٤ درجة الواقع إلى الشمال من وادي هور بحـــدود جديـدة يمنـــح بموجبها إلى الحكومة الفرنسية كل المنطقة التي يقطنها القرعان والبديات ، وذلك بـدلا عن السماح لها بتمديد منطقة نفوذها كإجراء مؤقت كلما اقتضت الضرورة إلى مـا وراء حدودها الشرقية الفعلية كما ورد في معاهدة ١٩١٩} (٧) .

لم تقف ملاحظات إستاك ، حاكم عام السودان ، عند ذلك التلخيص ، بـــل ألحقـه بمذكرة أخرى ، يبدو أنها من إعداد ماكمايكل ، أشارت بوضوح إلى أن الحـدود القريبـة على امتداد طولها تحتاج إلى مسح وتعيين . وقد ركزت المذكرة على وجــه الخصــوص على قطاعين من امتداد الحدود الغربية يحتاجان إلى مسح وتسوية وتخطيط بصفة عاجلـة. الأول وهو الأهم ، هو القطاع الحدودي الذي يبدأ من أقصى نقطة اتصال شمالية بيـن دار تاما ودار قمر **خط طول ١٤ درجة و ٤٠ دقيقة بالتقريب إلى** وادي هور وعلــى امتـداد ذلك الوادي إلى خط طول ٢٤ درجة . وقد برر حاكم عام السودان أهمية هذا القطاع بأنــه غير معرَّف وأن من الصعوبة بمكان بسط السيطرة الإدارية على القاطنين في تلك المنطقـة سواء بالنسبة لحكومة السودان أو للسلطات الفرنسية .

وتأسيساً على ذلك اقترحت حكومة السودان تكوين لجنة مشتركة خاصـــة بصفـة عاجلة لتقوم بـ **{بتعيين}** و **{تخطيط}** ذلك القطاع ، وبحيث يكون تقريرها نــافذاً مباشــرة بعد قبوله من قبل الحاكم العام والسلطات الفرنسية المحلية . وعلى أن ينشر ذلك التقريـــر كملحق لمعاهدة ١٩١٩م . وكخيار آخر اقترحت حكومة السودان قبـــول تقريـر اللجنـة المذكورة بصفة مؤقتة إلى حين إكمال التعيين الوارد في معـاهدة ١٩١٩م . أمـا القطـاع الثاني الذي بحاجة ماسة إلى **{مسح وتسوية}** لأنه لم يمسح إطلاقاً من قبل ، فهو الحـدود التي تتابع خط عرض ١٢ درجة شمالاً. وحيث إن المنطقة المعينة غـير معروفـة تقريبـاً للسلطات المحلية لعدم ترسيمها خرائطياً من قبل ، فقد اقترحت حكومـة السـودان أيضـاً تكوين لجنة مسح مشتركة لمسح تلك المنطقة بصفة عاجلة إلى أن تتـم التسـوية النهائيـة **{بتعيين}** الحدود (٨) .

---

(٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/185, Governor-General to Allenby, 4/12/1919.

(٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/185, Enclosure No. (2)

لقد ختم حاكم عام السودان منكرته إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة بالتساؤل عما إذا كان من الممكن له أن يبدأ اتصالات لاسلكية مع المسؤول الإداري الفرنسي في مركز تشاد عن طريق أبشي بغرض نقل تلك المقترحات إليه . كما تساءل أيضاً عما إذا كان مناسباً إبلاغ المسؤول الفرنسي أيضاً بنية حكومة السودان بوضع قوات كافية بالإضافة إلى تعيين بريطاني يقيم في دار مساليت ودار قمر يكون مسئولاً عن النظام وعن توجيه السلاطين المحليين في الأمور الإدارية (٩) . في هذه الأثناء ، وقبيل نقل مقترحات حاكم عام السودان إلى الخارجية البريطانية ، قامت قوات فرنسية باحتلال جزء من الإقليم الذي تقطنه قبيلة التعايشة ، كما قاموا برفع العلم الفرنسي في {أم دافوق} وكما جاء في رسالة {اللنبي} المندوب السامي البريطاني في القاهرة بتاريخ التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩١٩م ، إلى {كيرزون} Curzon وزير الخارجية البريطانية ، أن الفرنسيين يفترضون أن {أم دافوق} تقع جنوب خط عرض ١٢ درجة شمال وغربي خط تقسيم المياه بين حوضي النيل وشاري . كما أنهم يجادلون بأنه لا يوجد خط لتقسيم المياه بين النيل والكنغو شمالي حدود مديرية بحر الغزال (١٠) . واعترف {اللنبي} بأنه من المستحيل بالنسبة لحكومة السودان أن تجزم في تلك المرحلة ، ما إذا كانت المنطقة التي قام الفرنسيون باحتلالها ستؤول إلى فرنسا أم إلى السودان ما لم يتم تعيين الحدود بوضوح. وتأسيساً على ذلك اقترح {اللنبي} على وزارة الخارجية البريطانية {وجوب ألا تقوم فرنسا باحتلال أي منطقة لم تكن تحت احتلالها عندما بدأت المفاوضات التي أفضت إلى معاهدة ١٩١٩م وذلك حتى يتم التوصل إلى تسوية نهائية للحدود} (١١) .

بالرغم من مرور شهرين لم ترد وزارة الخارجية البريطانية على رسالة {اللنبي}. ولعل لذلك السبب جددت حكومة السودان ملاحقتها لموضوع الحدود الغربية مع السلطات البريطانية في لندن . فقد اقترح {اللنبي} المندوب السامي البريطاني في القاهرة . بإيعاز من حكومة السودان على وزارة الخارجية البريطانية ، في الثامن والعشرين من فبراير ١٩٢٠م ، وجوب إبلاغ فرنسا برغبة حكومة السودان ، القيام باحتلال دار مساليت ودار قمر بصفة عاجلة خاصة ، وأن تينك الدارين لا تمثلان صعوبات مثل المشاكل الناشئة

---

(٩) نفس المصدر السابق .

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/186. Allenby to Curzon. 22/2/1920.

(١١) نفس المصدر السابق .

جنوبياً [١٢]. وقد وجد اقتراح حكومة السودان قبولاً لدى السلطات البريطانية في لندن . فقد نقلت إلى السلطات الفرنسية رغبة حكومة السودان باحتلال الإقليم الذي أصبح جزءاً من السودان ، بموجب معاهدة الحدود بين دارفور ووداي ، أي دار مساليت ودار قُمر [١٣] .

يبدو أن السلطات الفرنسية وإن كانت قد وافقت على المقترح البريطاني ، بأن تقوم السلطات الفرنسية والبريطانية المحلية بتعيين الحدود ، إلا أنها أعربت عن رغبتها بوقف أي عمليات تفضي إلى احتلال إقليم جديد ، حتى يتم التصديق على معاهدة ١٩١٩م ، من قبل البرلمان الفرنسي [١٤] . لكن إلحاح المندوب السامي البريطاني في القاهرة بمتابعة الموضوع ، فرض على الخارجية البريطانية إبلاغ السلطات الفرنسية بتاريخ الثامن من مارس ١٩٢٠م ، أهمية قيام حكومة السودان بالمضي قدماً باحتلال الإقليم الذي تم ضمه نهائياً للسودان [١٥]. وفي محاولة لإقناع السلطات الفرنسية بذلك التوجه ، أعربت وزارة الخارجية البريطانية ، بأنها لن تثير بالمقابل أي اعتراض من جانبها ، إذا قامت فرنسا باحتلال الإقليم الواقع على الجانب الآخر من الحدود التي أرستها معاهدة ١٩١٩م . إضافة إلى ذلك أشارت الخارجية البريطانية بأنها لا تمانع بأن يكون ذلك الإجراء مؤقتاً حتى يتم تعيين الحدود على نحو دقيق بموجب معاهدة ١٩١٩ [١٦] .

بالرغم من أن فرنسا وافقت منذ مارس ١٩٢٠م ، بأن يتم تعيين الحدود بواسطة السلطات المحلية ، إلا أن الشروع في ذلك لم يبدأ حتى مارس ١٩٢١م ، عندما صدق البرلمان الفرنسي على معاهدة ١٩١٩م . وعلى أثر علمه بالتصديق سارع {كيرزون} وزير الخارجية البريطانية ، بإرسال مذكرة إلى رصيفه الفرنسي ، بتاريخ الأول من أبريل ١٩٢١م ، شرح فيها رؤاه حول الإجراءات التي يجب اتباعها في القيام {بالتعيين الفعلي للحدود} [١٧]. لقد نوه {كيروزن} في مذكرته إلى أن الحدود الغربية طويلة جداً ، الأمر الذي يصعب على لجنة واحدة القيام بالمهمة كلها . وتأسيساً على ذلك فقد اقترح

---

(١٢) أرشيف وزار ة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/186. Allenby to Curzon, 22/2/1920.

(١٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/186. Curzon to Cambon, 4/3/1920.

(١٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/186, Curzon to Allenby , 6/3/1920.

(١٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/186, Curzon to Cambon, 8/3/1920.

(١٦) نفس المصدر السابق .

(١٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/186, Curzon to Auhaire, 1/4/1921.

تقسيم المنطقة المراد تعيينها إلى أربعة قطاعات ، وأن يوكل كل قطاع إلى لجنة خاصة به، والقطاعات الأربعة هي : -

١. الإقليم الذي يقع إلى الجنوب من خط عرض ١٢ درجة شمالاً .

٢. الإقليم الذي يقع بين خط عرض ١٢ درجة و٣٠ دقيقة شمالاً بالتقريب إلى أقصى نقطة اتصال شمالية بين دار تاما ودار قمر .

٣. الإقليم الذي يقع إلى الشمال من خط عرض ١٤ درجة و٤٠ دقيقة شمالاً إلى تقاطع وادي هور مع خط طول ٢٤ درجة شرقي غرينتش .

٤. الإقليم الذي يقع شمال وادي هور .

ركز **{كيرزون}** في مذكرته للسلطات الفرنسية على أن القطاعين الأول والثاني يحتاجان لأسباب إدارية ، إلى تسوية فورية . ولذلك اقترح البدء في عمليتي **{التعيين والتخطيط}** Delimitation and Demacation لها في شتاء عامي ١٩٢١-١٩٢٢ وعلى أن يتم تأجيل (تعيين وتخطيط) القطاعين الثاني والرابع . وكسباً للزمن اقتراح **{كيرزون}** على رصيفه الفرنسي ، منح السلطة للممثلين الفرنسيين في أفريقيا الاستوائية الفرنسية ، للقيام بالترتيبات الضرورية للتعاون مع حكومة السودان في شأن أعمال المساحة وتسوية و (تخطيط الحدود) [(١٨)] .

بعد جدل حول عدد الموظفين الذي اقترحته المذكرة البريطانية تم الاتفاق على أن يوكل إلى لجنة مركزية مشتركة بالإضافة إلى لجنتين فرعيتين بمهمة **{تعيين}** كل الحدود. وقد مثل حكومة السودان في اللجنة المركزية المستر **{بيرسون}** Pearson مدير مصلحة المساحة ومثل حكومة فرنسا الكولونيل **{جروسارد}** Grossard. وتنفيذاً لما تم الاتفاق عليه

---

(١٨) نفس المصدر السابق ، ويلاحظ أن الإجراء الذي اقترحه وزير الخارجية البريطانية إلى رصيفه الفرنسي ، كان قد أعده حاكم عام السودان في فبراير ١٩٢١م كما يلاحظ أن تلك المرة الأولى التي وردت فيها كلمة (تخطيط) انظر:

F.O./407/188, Governor General of the Sudan to the High Commissioner, 24/2/1921.

فقد اجتمعت اللجنة المركزية المشتركة في مدينة الفاشر في نوفمبر ١٩٢١م ، وبدأت اللجان الفرعية أعمالها في بداية فبراير ١٩٢٢م [١٩] .

بالرغم مما اقترن بمعاهدة ١٩١٩م من إشكاليات تتعلق بتفسيرها مقروءة مع إعلان ١٨٩٩م ، ومن جوانب قصور وإبهام ساد وصف الحدود في بعض قطاعاتها إلا أنها حسمت بوضوح تبعية القبائل والديار والآبار والجبال سواء كان بالنسبة للسودان أو بالنسبة لأفريقيا الاستوائية الفرنسية ، كما اشترطت صراحة وجوب توافر المسقى من الوديان للقبائل على جانبيها ، وكذلك وجوب مراعاة الحقوق المكتسبة على جانبي الحدود بقدر الإمكان في حالة وصف الحدود بأنها تجري من نقطة إلى أخرى بحيث تفصل من حيث المبدأ منطقة قبيلة من منطقة قبيلة أخرى . يضاف إلى كل ذلك مسألة هامة وهي أن المعاهدة نصت على تكوين لجنة لتقوم **(بتحديد)** الحدود تارة و **{مسح}** الحدود تارة ثانية **{وترسيمها خرائطياً}** تارة ثالثة . وكما نرى أن المقصود من كل ذلك هو **{تخطيط}** الحدود. ولعل مما يؤكد ذلك على نحو حاسم أن كيرزون وزير الخارجية البريطانية ، قد أكد في رسالته، بتاريخ الثامن من مارس ١٩٢٠م ، إلى وزير الخارجية الفرنسية ، والتي أشرنا لها سلفاً ، أكد أن القطاعين الأول والثالث {A and C } يحتاجان إلى تسوية بصفة عاجلة ، وانطلاقا من ذلك اقترح كيرزون البدء في **{تعيين وتخطيط}** تلك القطاعات في شتاء ١٩٢١-١٩٢٢م . والثابت أن السلطات الفرنسية لم ترفض عبارة **{تعيين وتخطيط}** الحدود ، بل وافقت على ذلك وبدأت اللجان أعمالها على الطبيعة في بداية فبراير ١٩٢٢م على ذلك مما يؤكد أن نية الطرفين متجهة نحو تخطيط الحدود .

***

---

(١٩) انظر:

P.K.Boulnois, (On the Western Frontier of the Sudan) Geographical Journal, Vol.3 (1924) p.465.

الباب التاسع

إشكاليات تفسير معاهدات الحدود على الطبيعة

١ــ هل وسَّعت معاهدة ١٩١٩م إعلان مارس ١٨٩٩م أم وضحته أم عدلته ؟ .

٢ــ تمسك حكومة السودان بأراضي التعايشة .

٣ــ مشكلة تحديد موقع آبار الطينة ونتوء كلبس

٤ــ وفاة مدير مصلحة المساحة السودانية أثناء مسح الحدود في أم دافوق .

وصلنا في الباب الثامن إلى أن السلطات البريطانية والفرنسية شكلتا لجنة مركزية لترجمة الحدود بين السودان وما كان يعرف بأفريقيا الاستوائية الفرنسية على الطبيعة وقد اجتمعت تلك اللجنة بالفعل في مدينة الفاشر في العاشر من نوفمبر ١٩٢١م، وأن اللجنتين الفرعيتين شرعتا في مهامها مع بداية فبراير ١٩٩٢م .

لقد أفرزت مهمة {تخطيط} الحدود ومنذ البدء بعض الصعوبات ، فقد واجهت اللجنة المركزية ، المكونة من {بيرسون} مدير مصلحة المساحة السودانية والكولونيل {جروسارد} ممثل الحكومة الفرنسية ، مشكلتان تتعلقان بتفسير نصوص معاهدة ١٩١٩م على الطبيعة ، أي ترجمة الحدود على الأرض .

كانت المشكلة الأولى تتعلق بالفقرة الثانية من معاهدة ١٩١٩م الملحقة بمعاهدة الرابع عشر من يونيو ١٨٩٨م وإعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م . لقد لاحظ {بيرسون} بحق في مذكرة أرسلها إلى حاكم عام السودان ، بتاريخ الخامس عشر من أبريل ١٩٢٢م ، أن النص الإنجليزي لمعاهدة ١٩١٩م يشير إلى أن المادتين الثانية

والثالثة من إعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م قد تم **{توسيعها}** Amplified بينما يشير النص الفرنسي لذات المعاهدة إلـــى أن المـــادتين المعنيتيـــن قـــد تـــم **{تعديلـــهما}** Modified[(١)].

إن أهمية هذا الاختلاف بين النصيـــن الإنجلـــيزي والفرنســـي ، تعـــود إلـــى أن **{جروسارد}** ممثل فرنسا في اللجنة المركزية قد جادل بأن المادة الثانية من إعلان مـــارس ١٨٩٩م قد تم تعديلها وبالتالي فإن ذلك يعني أن الفقرة الأخيرة من تلك المـــادة لـــم تعـــد ملزمة . ولكيما تتضح الفكرة نعيد للأذهان أن الفقرة المعنية هي التي تقـــرأ **{ولا ينبغـــي ترسيم الخط بأي حال إلى الغرب بحيث يتجاوز خط طول ٢١ درجة شرقي غرينتـــش أو ترسيمه إلى الشرق بحيث يتجاوز خط طول ٢٣ درجة شرقي غرينتش}**. وبالتـــالي فـــإن فحوى التفسير الفرنسي هو أن خطي طول ٢١ درجة و ٢٣ درجة لـــم يعـــودا يعـــاملان باعتبارهما يمثلان النطاق الذي يجب أن يجري خط الحدود ، الواقع في القطاع الذي يقـــع بين خطي عرض ١١ درجة شمالاً و ١٥ درجة شـــمالاً، فـــي إطارهمـــا ، وبحيـــث لا يتعداهما . ومن ناحية أخرى جادل **{بيرسون}** ممثل حكومة السودان في اللجنة المركزيـــة، بأن حدود النطاق المنصوص عليه ، أي التي ما بين خط طول ٢١ و ٢٣ درجة ، ملزمـــة من حيث المبدأ للطرفين وأن إعلان مارس ١٨٩٩م سواء كان قد تم توسيعه أو تم تعديلـــه يظل ساري المفعول طالما أنه لم يتم تعديله صراحة أو حتى بالاستدلال الضـــروري بمـــا هو ليس معاهدة جديدة بل مجرد ملحق . وذهب بيرسون إلى أن الجملـــة الأخـــيرة مـــن المادة(٢) في إعلان مارس ١٨٩٩م لم يتم إلغاؤها سواء كـــان ذلـــك صراحـــة أو حتـــى بمقتضى الاستدلال اللازم [(٢)] .

أما المشكلة الثانية التي واجهت اللجنة المركزية ، وهي بصـــدد ترجمـــة معـــاهدة ١٩١٩م على الطبيعة ، فهي وثيقة الصلة بالمشكلة الأولى . فقد نصت الفقرة رقم (٣) مـــن معاهدة ١٩١٩م الملحقة بإعلان مارس ١٨٩٩م ، على أن {يبدأ خط الحدود مـــن النقطـــة التي تلتقي عندها الحدود بين الكنغو البلجيكي وأفريقيا الإستوائية الفرنسية مع خط تقســـيم المياه الذي بين حوضي النيل وحوض نهر الكنغو ، وسوف يتابع الخط من حيـــث المبـــدأ

---

(١) دار الوثائق القومية (مخابرات) :

R.S.C.A.Intelligence, 1/1-9, Pearson to the Governor General, 15/2/1922.

(٢) نفس المصدر السابق .

فاصل المياه المذكور حتى يصل إلى تقاطعه مع خط عرض ١١ درجة شمالاً، ومن تلك النقطة يتم ترسيم الخط بحيث يفصل من حيث المبدأ أراضي التعايشة والقبائل الأخرى الخاضعة إلى دارفور عن الأراضي التابعة لدار مساليت ودار قُمر} .

ويتبدى من هذا النص أن الطرفين المتعاقدين، في ١٨٩٩م وكذلك في ١٩١٩م قد ارتكبا خطأين ينمان عن جهل بالحقائق الطبيعية باتفاقهما عليه . ففي المقام الأول لقد استند اتفاقهما على فرضية أن خط تقسيم المياه بين حوضي النيل والكنغو يمتد شمالاً حتى يصل إلى خط عرض١١درجة شمالاً، غير أن استكشافات لاحقة أبانت أن الخط المذكور لا يذهب إلى أبعد من خط عرض ٩ درجة و ٤٥ دقيقة شمالاً. أما الخطأ الثاني فهو أن الأطراف المتعاقدة ، افترضت أيضاً أن التعايشة يقطنون إلى الشمال من خط عرض ١١ درجة شمال بينما أغلبية القبيلة تعيش في الواقع إلى الجنوب من النقطة المذكورة . وهكذا فإن النتيجة المترتبة عن تلك الافتراضات هي عدم وجود قاعدة محددة يمكن أن تهتدي بها اللجنة عند قيامها بتسوية الحدود بين خطي عرض ١٠ درجة و ١١ درجة شمال [٣] .

في سياق البحث عن معالجة للإشكال الذي واجه اللجنة المركزية ، جادل الجانب الفرنسي بوجوب أن تتابع الحدود، ابتداءً من نهاية خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو وحتى خط عرض ١١ درجة شمالاً، خط تقسيم المياه بين **نهري النيل وشاري**. ومن ثم تكون القاعدة التي يستهدى بها بعد ذلك الحد ، هي الحدود القبلية.

إن المغزى العملي للمجادلة الفرنسية هو أن جزءاً كبيراً من دارفور ، وهو القطاع الذي يقع مباشرة إلى الشمال من خط عرض١٠ درجات شمالاً سيذهب إلى الفرنسيين. ذلك أن كل الوديان التي في تلك المنطقة تجري نحو الجنوب الغربي بحيث تصب في **نهر شاري** وليس في حوض النيل كما هو موضح في الخرائط القديمة . أما بيرسون ،ممثل السودان في اللجنة فقد ركز في رده على أن القصد البديهي للأطراف المتعاقدة هو أن تتبنى اللجنة بمجرد انتهاء خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو القاعدة القبلية . وأشار بيرسون إلى حقيقة هامة وهي أن أراضي قبيلة التعايشة المحددة في معاهدة ١٩١٩م ، باعتبارها خاضعة إلى دارفور ، تمتد من حيث الواقع إلى الجنوب من خط عرض ١١ درجة إلى مسافة مقدرة . عزز بيرسون نقده للطرح الفرنسي بعدم وجود أي

---

(٣) نفس المصدر السابق .

نكر لخط تقسيم المياه بين نهري النيل وشاري سـواء فـي إعـلان ١٨٩٩م أو معـاهدة ١٩١٩م [٤] .

بعد التشاور مع مستشاريه نصح {استاك}Stack حاكم عام السودان بيرسـون عـبر اللاسلكي كما ورد في مذكرته إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، بتاريخ الثـاني من مارس ١٩٢٢م ، بأن الرأي القانوني يؤيد رأيه بأن النطاق المذكور فـي المـادة (٢) من إعلان ١٨٩٩م ، أي أن خطي ٢١ و ٢٣ درجة شرقي غرينتش ، ما زال مفعولـهما سارياً بين خطي العرض ١١ و ١٥ درجة شمالاً، وأن وجهة النظـر القانونيـة ترفـض أيضاً الزعم الفرنسي بشأن خط تقسيم مياه نهر شاري . وعليه يجب علـى بيرسـون ألا يقبل امتداد النفوذ الفرنسي إلى الشرق من خط طول ٢٣ درجة . ولكـن إذا رأي أنـه لا يوجد ضرر في ترك الفرنسيين يمتدون على أسس قبلية ، وأن ذلـك مناسـب للسـلطات السودانية المحلية ، فإن عليه رفع الأمر في شي مـن التحديـد ، ونـوه {اسـتاك} إلـى {بيرسون} بالتروي حتى يصل إليه {كوليشستر}، جيولوجي الحكومة الذي غادر الخرطـوم في الخامس والعشرين من فبراير للانضمام إلـى جانبـه تحسـباً لاحتمـال أن يتخلـى {بيرسون} عن مناطق غنية بالمعادن تقع إلى الشرق من خط طـول ٢٣ درجـة شـرقي غرينتش [٥] .

ويلاحظ أن حاكم عام السودان التمس في رسالته التي وجهها إلى المندوب السـامي البريطاني في القاهرة ، الحصول على قرار بشأن ما إذا كانت رؤيته بأن الحدود الـواردة في الجملة الأخيرة من المادة الثانية من إعلان ١٨٩٩م ما زالت سارية المفعـول وأن مـا ذهب إليه في هذا الشأن صحيح . كما تساءل الحاكم العام فيما إذا كان ممكناً له أن يسـمح للفرنسيين بأرض إلى الشرق من خط طول ٢٣ درجة إذا ظهر أن تلك الفرضية معقولـة دون انتهاك خطير للحقوق القبلية . وتساءل أيضاً ما إذا كانت حكومة صـاحب الجلالـة سوف تعترض إذا ما قام بذلك بالرغم من القيود المبينة في المـادة الثانيـة مـن إعـلان ١٨٩٩م [٦] .

---

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) أرشيف وزار ة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/7748, Governor of the Sudan to High Commissioner for Egypt and the Sudan, 12/3/1922

(٦) نفس المصدر السابق .

لقد رفع المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، وجهات نظر السلطات السودانية والفرنسية المتباينة حول تفسير معاهدة ١٩١٩م على الأرض ،بتاريخ العشرين من مارس ١٩٢٢م ، إلى السلطات البريطانية في لندن [٧]. وكما يبدو من رد وزارة الخارجية البريطانية ، بتاريخ السادس من أبريل ١٩٢٢م إلى (اللنبي) المفوض السامي في القاهرة عدم رغبتها في إثارة خلاف أو جدل مع الحكومة الفرنسية . فقد وجهت حكومة السودان بعدم الاعتراض على تمديد الحدود إلى الشرق من خط طول ٢٣ درجة شرقي غرينتش إذا كان ذلك متفقاً مع الأوضاع المحلية . **{إن واجب المفوضين بشأن الحدود هو تقفي الخط المعرف في المعاهدة كلما كان ذلك ممكناً أما إذا ثبت أن من المستحيل تقفي هذا الخط طبقاً للتعريف الوارد في المعاهدة ودون أن يقع الخط إلى الغرب من خط طول ٢١ درجة أو إلى الشرق من خط طول ٢٣ درجة ، وذلك في القطاع الواقع بين خطي عرض ١١ درجة و ١٥ درجة شمالاً فإنه ينبغي اعتبار إعلان ١٨٩٩م ، قد تم تعديله إلى ذلك المدى ، بينما إذا وقع الخط الذي تم تقفيه في داخل نطاق القيود المذكورة أعلاه ، فإن الإعلان قد تم توسيعه فقط بموجب معاهدة ١٩١٩ }** [٨] .

لم تكن تلك هي الصعوبة الوحيدة التي واجهت لجنة الحدود ، فقد برزت مشكلة بشأن **{آبار الطينة}** التي وضعت بموجب معاهدة ١٩١٩م في جانب السودان من الحدود ، بيد أن الفرنسين ، تأسيساً على حقيقة أنهم قد سبق أن غزوا منطقة الآبار في ١٩١٢م واستمروا في إدارتها ، ادعوا تبعية الآبار لهم . وتمسك جانب حكومة السودان بتبعية الآبار للسودان تأسيساً على حجتين . الأولى أن **{آبار الطينة}** كانت تخضع لرعايا سودانيين في السنتين السابقتين لإبرام معاهدة ١٩١٩م ، والثانية أن تلك الآبار تشكل مصدر المياه الثابت لقبلية **{زغاوة كوبي}** التابعة للسودان [٩]. ولم تقف مفارقات معاهدة ١٩١٩م عند ذلك. فقد تبين أنها وضعت مجموعة تتكون من ٣٨ قرية، تقع بالقرب من

---

(٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O/371/7748, High Commissioner to Curzon, 20/3/1922.

(٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/7748, Foreign Office to Alleneby, 6/4/1922.

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/8977, Extracts from Sudan Annual Report , 1922

خط عرض ٩ درجة و ٤٥ دقيقة ، وهي مأهولة بعناصر من قبيلة الداجو ومدارة من قبل الفرنسيين ، في داخل جانب السودان من الحدود . وحدث ذات الأمر بالنسبة على قرى في {دار سينيار} وقرى أخرى بالقرب من {كودي} فقد تم وضعها بموجب معاهدة ١٩١٩م إلى جانب السودان من الحدود بالرغم من أنها كانت تحت الإدارة الفرنسية ، من جانب آخر فإن المنطقة المعروفة بـ {نتوء كُلبس} قد تَم وصفها بموجب معاهدة ١٩١٩م، في الجانب الفرنسي من الحدود ، بالرغم من أن بعض قراها تبين أنها تحت إدارة حكومة السودان [١١] .

على أثر إكمال لجان الحدود الفرعية المرحلة الأولى لمسح الحدود على الطبيعة في يوليو ١٩٢٢م ،عقد المندوبان الرئيسان ، **بيرسون وجروسارد** ، سلسلة اجتماعات في الأسبوع الأخير من أغسطس ١٩٢٢م ، دون الوصول لاتفاق ، وقد حاول {بيرسون} وفي ذهنه تعليمات الخارجية البريطانية ، فتح الطريق المسدود في رسالته إلى {جروسارد} بتاريخ الثامن من سبتمبر ١٩٢٢م [١١]. فقد أكد على أهمية استمرار التفاوض بين الطرفين دون حاجة إلى اللجوء إلى تحكيم ، ونوه في ذلك السياق بأن حكومة السودان تتمسك بأراضي التعايشة بسبب رابطة هذه القبيلة الطويلة مع حكومة السودان ، وانطلاقاً من رؤيته بأن ذلك النوع من الحدود لا يمكن تسويته إلا بإجراء تبادل في الأراضي ، فقد اقترح بيرسون بأن تأخذ السلطات الفرنسية المجموعة الكبيرة من قرى الداجو ، وكذلك القرى التي تقع داخل جانب السودان ، بموجب اتفاقية خط معاهدة ١٩١٩م ، وهي الواقعة في {دار سنيار} وإلى الشمال من جبل كودي . وبالمقابل يأخذ السودان (**نتوء كُلبس) وإقليم التعايشة** [١٢]. لكن {جروسارد} المندوب الفرنسي، لم يكن بأي حال مفاوضاً مرناً، فقد أكد في رده بتاريخ الثاني عشر من سبتمبر ١٩٢٢م بأن صلاحياته تقتصر على تطبيق نص المعاهدة على الطبيعة بعد فحصها وليس إقحام نفسه في مناقشة تسوية ، وكما قال في رده إن مقترحات {بيرسون} تخرج عن نطاق صلاحياته [١٣] .

---

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./371/8976, Extracts from S.I.R, November, 1922

(١١) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A.Intellence, 1/1-9, Pearson to Grossard, 8/9/1922..

(١٢) نفس المصدر السابق.

(١٣) دار الوثائق القومية: R.S.C.A.Intellence, 1/1-9, Grossard to Pearson, 12/9/

بالرغم مما انطوى عليه الرد الفرنسي من تشدد واضح ، استمر بيرسون في بـــذل جهوده مع الجانب الفرنسي حتى آخر أيام حياته ، فقد عرض في آخر رسالة منه بتـــاريخ الثلاثين من نوفمبر ١٩٢٢م ، أي قبيل شهر واحد من وفاته في أم دافوق فـــي ديســمبر ١٩٢٢م [١٤] ، إمكانية تقديم تنازل آخر بهدف التوصل لاتفاق مع السلطات الفرنسية يثبـت لنا ذلك من استعداده بتعديل {ترسيم} خط الحدود مسافة ٤٠ كيلو متر نحو الشرق ما يعنـي بالضرورة تعديل تمسكه الأساسي الخاص بإقليم التعايشة، أمـــــا بالنسبة لـ ما عـــرف {نتوء كلبس} فقد تمسك بيرسون برؤيته السابقة بعدم تقديم أي تنازل ، واقترح إحالة تلـك المسألة إلى الحكومتين للتقرير بشأنها [١٥]. بقي أن نسجل بـأن وفـاة {بيرسـون} مديـر مصلحة المساحة وممثل السودان في اللجنة المشتركة {لتخطيط} الحدود في أم دافوق ، فـي الثاني والعشرين من ديسمبر ١٩٢٢م ، قد حال دون تحقيق اتفـاق مسـبق للالتقـاء مـع {جروسارد} في يناير ١٩٢٣م بهدف إعداد البرتوكول النـهائي لتوصياتـها بشـــأن حدود السودان مع أفريقيا الاستوائية الفرنسية [١٦] .

خلف {بويسى} Boyce الذي كان رئيساً لجانب حكومة السودان في اللجنة الفرعيـــة المسئولة عن تخطيط الجزء الجنوبي من الحدود ، الراحل مدير المساحة السودانية المسـتر {بيرسون} في اللجنة المركزية . وقام {بويسى} بدوره بمحاولات لكسر الجمود الذي كـان سائداً بين الطرفين ولكن دون جدوى . وبالمقابل اكتفى الطرفان فـــي اللجنـــة المركزيـــة المشتركة بإبرام بروتوكول قدم وصفاً للحدود بين السودان وأفريقيا الإستوائية الفرنسية فـي القطاع الممتد ما بين خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً و{نزيلي} Nzili الواقعـــة على بعد أميال قليلة جنوبي خط عرض ١١ درجة شمالاً، وقد تم التوقيع على ذلـــك فـــي

---

(١٤) دار الوثائق القومية: R.S.C.A,Intelligence, 1/1-9, Pearson to Grossard, 30/10/1922.

(١٥) نفس المصدر السابق .

(١٦) دار الوثائق القومية (مخابرات): R.S.C.A.Intelligence, 1/1-9, Pearson to Symes, 13/10/1922

لقد تم تعيين (بيرسون) مدير مصلحة المساحة السودانية في ١٩٠٥م وعمل رئيسا للجنة التي مسحت قطاع اللادو في جنوب السودان عام ١٩١٠م وعين خلال الحرب العالمية في وظائف مختلفة مـــن بينها الحاكم العسكري في يافا والقدس ، وبعد نهاية الحرب عاد لوظيفة مديرا لمصلحـــة المســاحة السودانية ، وعين في أكتوبر ١٩٢١م الممثل البريطاني في اللجنة المشتركة لتخطيط الحـدود بيـن السودان ووداي ، وكانت تلك المهمة تتويجا لـ ١٨ سنة من الخدمة في السودان ، وقد توفي في (أم دافوق) وهو في المراحل النهائية لتخطيط الحدود الغربية .

موقع يسمى {بولاية عبد الله} وذلك في العاشر من مارس ١٩٢٣م [١٧] لكن الطرفين فشلا في الوصول إلى اتفاق بشأن الخلاف المتعلق بمنطقة {آبار الطينة} وقد سجل كل جانب موقفه في هذا الخصوص . وافترض الطرفان عدم وجود صعوبة بشأن الحدود عند نهايتها الجنوبية أي من خط عرض ٥ درجة وخط عرض ٩ درجة و ٤٥ دقيقة شمالاً تقريباً ، وبرر افتراضهما على أساس أن الحدود محكومة في ذلك القطاع بقاعدة خط تقسيم المياه بين حوضي النيل والكونغو ، أما بالنسبة للمسألة الأكثر إثارة للجدل ، وهي إقليم التعايشة فقد اتفق الطرفان ليتم تسويتها على مستوى الدولتين ، بريطانيا وفرنسا في أوروبا [١٨] .

لقد لخص {استاك} حاكم عام السودان المحصلة النهائية لما تم إنجازه على الطبيعة، في رسالة إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، بتاريخ الثامن والعشرين من أبريل ١٩٢٣م بقوله : **{بالرغم من أن كل منطقة الحدود قد تم مسحها وترسيمها خرائطياً ، وبالرغم من كل ماقدمناه من تنازلات من جانبنا يمكن أن تكون قد تجاوزت نصوص معاهدة ١٩١٩م إلا أن موقف المفاوض الفرنسي كان غير معقول ، بحيث أدى لاستحالة الوصول لاتفاق بالنسبة لقطاعات معينة من الحدود . لقد كان الكولونيل بيرسون آملاً في اجتماعه الأخير مع لكولونيل جروسارد في تحقيق تسوية حتى الساعة الأخيرة ، لكن وفاته حالت دون تلك الإمكانية ويبدو لي بكل أسف قد تبقى للحكومتين البريطانية والفرنسية تسوية نقاط الخلاف في لندن أو باريس انطلاقاً من المادة الكثيرة التي ستكون متوفرة أمامها}** [١٩] .

***

---

(١٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./407/199, Eztract from Sudan Annual Report, 28/4/1923.

(١٨) نفس المصدر السابق .

(١٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/196,Stack to Allenby, 28/4/1923.

الباب العاشر

مفاوضات لندن وإبرام بروتوكول يناير ١٩٢٤ الإنجليزي الفرنسي بشأن تخطيط الحدود الغربية

١ـ فشل خطة وزارة الخارجية البريطانية بالمراوغة في مؤتمر لندن .

٢ـ السودان يكسب حدوداً معقولة للتعايشة ويخسر نقاطاً أخرى لصالح الفرنسيين .

٣ـ الصحافة المصرية تشن هجوماً على بروتوكول ١٩٢٤م .

٤ـ مفتش زالنجي يوافق شفوياً على تعديل في الحدود ويضع بركة نزيلى على الجانب الفرنسي من الحدود .

٥ـ أم خشينة تثير إشكالاً بين التعايشة والكارا .

٦ـ بروتوكول ١٩٢٤م يقرر حجية النص على الخريطة في حالة عدم التطابق .

لقد تمكنت لجنة الحدود المشتركة – كما قرأنا سلفاً من القيام بمسح كل منطقة الحدود وترسيمها خرائطياً مع تحديد المناطق والمسائل التي لم يتم الاتفاق بشأنها . وعلى أثر المكاتبات التي دارت بين حاكم عام السودان والمندوب السامي البريطاني في القاهرة في ذلك الخصوص ، اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على عقد اجتماع في لندن في نوفمبر ١٩٢٣م لمناقشة المسائل التي لم تتم تسويتها [١] . وكما كان متوقعاً فقد مثل

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):
F.O./407/196, The Foreign Office to the French Ministry of Foreign Affairs, 12/5/1923.

حكومة السودان {**ماكمايكل**} بالإضافة إلى {**بويسي**} ممثل حكومة السودان في لجنة الحدود المشتركة .

لقد اتفق ماكمايكل مع الجانب الفرنسي على {ترسيم} الحدود في منطقة التعايشة إلى الشرق بمسافة تمتد إلى ٤٠ كيلو متر من الخط الذي دافعت عنه حكومة السودان ابتداءً . وبالرغم من أن ذلك الطرح قد حافظ على الجزء الأكبر من أراضي التعايشة ، إلا أنه قد تنازل عن مناطق كانت تتبع تاريخياً لهم . وأقر الجانبان اتفاقا مؤقتاً بشأن {آبار **الطينة**} استجاب في مجمله لوجهة النظر الفرنسية .وبالرغم من تلك المرونة من الجانب البريطاني ، فقد طالب الجانب الفرنسي ، بقرى الداجو كشرط مسبق لقبول الاتفاق المؤقت الخاص بـ {**آبار الطينة**} قبولاً نهائياً . بالمقابل تمسك ماكمايكل بضرورة حصول السودان على {**نتوء كُلبس**} إلا أن الجانب الفرنسي رفض ذلك بحجة أن صلاحياته لا تسمح له بقبول مثل ذلك التبادل . عند ذلك الحد تأجل الاجتماع ، واستدعت الحكومة الفرنسية ممثلها {**جروستارد**} إلى باريس للمزيد من المشاورات [٢].

عندما عقد الاجتماع مرة ثانية في الرابع عشر من ديسمبر ١٩٢٣م في لندن أكد الجانب الفرنسي على موقفه السابق بإمكانية قبول تسوية بشأن **الطينة** في الشمال **والتعايشة** في الجنوب شريطة ضم قرى الداجو إليه . وبخلاف ذلك أعرب الجانب الفرنسي عن عدم استعداده للموافقة على أي تسوية أخرى على الحدود . الجانب البريطاني ، انطلاقا من تعليمات صادرة من وزارة الخارجية بمحاولة المراوغة وتبني خط متشدد في المفاوضات ، اقترح أنه من الأفضل الوقوف عند ذلك الحد وإعداد بروتوكول لكل الحدود ابتداءً من خط عرض ٥ درجة شمالاً إلى خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ دقيقة شمال . مؤدى ذلك أن ينطوي البروتوكول على عدم اتفاق بالنسبة للقطاع الواقع ما بين خطي عرض ١٠ درجة و ١١ درجة في المنطقة الجنوبية من الحدود وكذلك على اتفاق بالنسبة لمنطقة الطينة في الشمال [٣].

---

(٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/196, Note from Mc Michael to the Governor - General Enclosure in No.226, dated, 6/12/1923.

(٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/197, Foreign Office, Memorandum, By Mr. Muray, 14/12/1923.

لقد قدرت وزارة الخارجية البريطانية ، طبقاً لخطتها ، أن صياغة البروتوكول كاملاً سوف تستغرق عدة أيام يقوم خلالها المفاوض البريطاني المستر {بويسي} بمحاولة التأكد من مدى إمكانية أن يقدم الجانب الفرنسي تنازلات بالنسبة للمناطق المتنازع عليها . فإذا تمسك الجانب الفرنسي بموقفه السابق ، يكون على المفاوض البريطاني ، طبقاً للخطة أن يعبر عن أسفه بأن يترك الجانبان شوائب حدودية في حدود كان يمكن أن تكون مقنعة بالنسبة للدولتين . والأمر الثاني أن يقوم الجانب البريطاني في ذات الوقت بإعلان استعداد حكومة صاحبة الجلالة بالتنازل عن مطلبها الخاص بـ {نتوء كُلبس} والموافقة على التسوية التي تريدها الحكومة الفرنسية بالنسبة لمنطقة التعايشة وقرى الداجو والطينة ، شريطة أن تأخذ التسوية الشكل الذي تم الاتفاق عليه خلال المفاوضات التي سبقت زيارة جروستارد إلى باريس (٤).

يبدو أن خطة المرواغة كما أطلقت عليها وزارة الخارجية تلك التسمية لم تحظ بالنجاح . ولعل نظرة متأنية لبروتوكول الحدود المبرم بين الحكومتين البريطانية والفرنسية في العاشر من يناير ١٩٢٤م ، بشأن الحدود بين السودان وأفريقيا الإستوائية الفرنسية ، توضح بجلاء أن الحدود قد تمت تسويتها لصالح المطالب الفرنسية . صحيح أن السودان كسب حدوداً معقولة للتعايشة ولكنه خسر نقاطاً عدة لصالح الجانب الفرنسي . وكما كان متوقعاً فقد شنت الصحافة المصرية هجوماً قوياً ضد بروتوكول يناير ١٩٢٤م . واتهمت الحكومة البريطانية بالتصرف في أراض سودانية دون استشارة مصر (٥).

بالرغم من أهمية بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م القصوى باعتباره الوثيقة التي أرست تخطيط الحدود بين السودان ، وأفريقيا الوسطى من جانب والسودان وتشاد من جانب آخر ، على الطبيعة ، أي وضع علامات حدود على الأرض ، إلا أن ذلك لم يكن نهاية المطاف في التطور الدبلوماسي والقانوني لحدود السودان الغربية . فبعد وقت ليس بالطويل من تصديق الدولتين على البروتوكول أخذت المشكلات الحدودية تطل برأسها بسبب عدم الدقة في بعض بنوده ، وكذلك بسبب عدم وضع علامات على الحد ذاته. فقد اكتفت اللجنة بمسح الحدود ورسمها خرائطياً مع وضع أكوام من الحجارة، كما

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O.707/201, No.130 Acting Governor-General of the Sudan to High Commissioner, 22/6/1925.

حدث بالنسبة لوصف الحدود في القطاع الجنوبي وجزء من القطاع الأوسط . فقد اقتنعت اللجنة بوصف الحدود على أساس متابعتها لخط تقسيم المياه بين حوض نهر النيل وحوض نهر الكونغو .

وأما بالنسبة لعدم الدقة الواردة في بعض بنود البروتوكول فنشير إلى أن القسم الثاني منه قد نص ، من بين أمور أخرى ، في الفقرات {E,F,G} على أن : **{خط الحدود يجري في خط مستقيم في اتجاه شمالي غربي حتى يصل إلى مكان السقي الرئيسي الواقع على الجانب الشرقي لمنخفض أم دافوق . ويجري الخط من هناك في اتجاه الشمال الغربي إلى الطريق الذي يمر من أم دافوق إلى بحيرة تيزي عبر رهد دهن أو دهين ورهد سهبايا ورهد سومو ورهد كو جوفا اوكودوفا ورهد بورينج أوبوريت إلى نقطة تقع على مسافة كيلومتر واحد إلى الشرق من الطرف الشرقي لبحيرة تيزي . وتجري الحدود من تلك النقطة في خط مستقيم إلى نقطة إرشاد على جبل كيلي . ومن ثم تجري الحدود في خط مستقيم إلى بركة نزيلي . ويكون للقبائل أو الأفراد التابعين للسودان الحق في السقي من الرهود الواقعة على امتداد الطريق السابق ذكره وحتى بحيرة تيزي}** كما نشير أيضاً إلى أن الفقرة {A}من القسم الثالث من البروتوكول تنص على : **{تجري الحدود لدى مغادرتها بركة نزيلي في خط مستقيم في اتجاه شمال شرق إلى جبل صغير يقع على بعد ٦ كيلومترات إلى الشرق لعلامة إرشاد تم مسحها بالتثليث على جبل لاجا}** .

إن القراءة المتأنية للنصوص المذكورة أعلاه تكشف بوضوح ما انطوت عليه من عدم دقة . فالرهود العديدة المذكورة لم تشمل **{بركة نزيلي}** حيث إنها لا تقع في الطريق بين **{أم دافوق}** و **{تيزي}** المشار إليها في الفقرة {E} . ولم توضح الفقرة {G} الوضع بالنسبة لحقوق القبائل على جانبي الحدود في السقي وصيد السمك ، مع ملاحظة أنه قد تم النص صراحة في الفقرة {H} من القسم الثاني على حق القبائل والأفراد التابعين للسودان في الرهود الواقعة على امتداد الطريق وحتى بحيرة تيزي . لقد جرت محاولة لتسوية الأمر في اجتماع عقد في السابع والعشرين من يناير ١٩٢٧م بين الكولونيل **{جريج}** Grigg مفتش مركز زالنجي والكابتن **{ماسي}** قائد منطقة دار سيلا التابعة إلى وداي . لقد وافق الكولونيل**{جريج}** شفوياً بأن الحدود تجري في خط مستقيم من**{جبل كيلي}** إلى جبل يقع على بعد ٦ كيلومترات شرقي **{جبل لاجا}** الذي تمت تسميته خطأ **{بجبل سلطان}**

في النسخة الفرنسية من خريطة البروتوكول . وقد ترتب عن ذلك الخطأ أن أصبحت كـل بركة نزيلي في الجانب الفرنسي من الحدود . ونتيجة لذلـك تـم لاحقـاً منـع الرعايـا السودانيين من صيد السمك في البركة المذكورة . وبالرغم من أن ذلك الخطأ لـم يشـكل صعوبات بالغة للرعايا السودانيين ، حيث كان متاحاً لهم صيد السمك في أعالي وادي {مـا قولا} ، إلا أنه ظل مصدراً لمشاجرات سنوية بين القبائل على جانبي الحدود . ولا شـك أن موافقة الكولونيل {جريج} وإن كانت شفوية إلا أنها كشـفت عـن عـدم إلمامـه الكـامل بنصوص بروتوكول ١٩٢٤م . ذلك أن البروتوكول ينص في {نصوصه العامة} على أنـه إذا ظهر أن الخريطة غير متطابقة على وجه الدقة مع كلمات الـبروتوكول فإنـه ينبغـي إعمال كلمات البروتوكول وليس الخريطة (٦) .

وفي سبيل تسوية مشكلة منع الرعايا السودانيين من الصيد فـي بركـة {نزيلـي} وسعياً للوصول لحدود مقنعة للطرفين ، عقد مفتش مركز زالنجي اجتماعـا لاحقـاً مـع الجانب الفرنسي في ١٩٣١م تمخض عن عدة اتفاقيات وتسويات على المستوى المحلـي . لقد نصت الفقرة {G}مع القسم الثاني من البروتوكول على أن تجري الحـدود مـن جبـل {كيلي} في خط مستقيم إلى بركة {كيلي} . وقد عولجت مسألة حقوق الصيد بالاتفاق علـى أن تجري الحدود في خط مستقيم من علامة الإرشاد التي تم مسحها بحساب المثلثات علـى جبل {وهي شجرة وحيدة} إلى {شجرة كول} على الشاطئ الشمالي للبركة ، أي أن الحـدود تقسم بالتقريب البركة إلى نصفين . ونصت الفقـرة {H} من القسم الثاني على حق القبـائل والأفراد التابعين للسودان في السقي من الرهود الواقعة على امتداد الطريق وحتى بحـيرة تيزي . وقد اتفق على تعديل هذا النص بحيث يكون حق السقي مكفولاً لرعايا البلدين علـى جانبي الحدود وكذلك حق صيد الأسماك على أن يكون محكوماً بخط الحدود الـذي قسـم البركة إلى نصفين بالتقريب . وقد تم ذلك الاتفاق والتسويات بحضـور المَكـوك هـارون خاطر وآدم بوجوك واثنين من موظفي المراكز المعنية والذين تم لهم شرح ما تم الاتفـاق عليه على الطبيعة . كما تم أيضاً تنبيه الموظفين لمنع إقامة قرى في نطاق دائـرة نصـف قطرها خمسة كيلومترات من الحدود (٧).

---

(٦) الداخلية ، الحدود بين السودان وتشاد:

District Commissioner of Zalingei to Governor of Darfur Province, No. ZD/SCR/93.B.L,31/1/1931

(٧) الداخلية ، الحدود بين السودان وتشاد:

Governor of Darfur Province to Civil Secretary, No.SCR/39-11,9/2/1931

لقد أثار الغموض الذي انطوت عليه بعض فقرات بروتوكـــول ١٩٢٤م صعوبـــات أخرى ما بين عامي ١٩٣٧ – ١٩٣٩م . فكما جاء في مذكرة أعدها المســـتر **{نـــاتينجيل}** Nightingale مفتش مركز البقارة ، بتاريخ السابع والعشـــرين مـــن مـــارس ١٩٣٧م ، إن وصف الحدود طبقاً للفقرتيـــن{E–D} مـــن القسم الثاني من البروتوكول تـــجـــري عـــبر مكان السقي الرئيسي على الجانب الشرقي من منخفض أم دافوق ، وتذهـــب مـــن تلـــك النقطة في اتجاه شمالي غربي لمسافة كيلومتر واحد إلى الشرق وبالتوازي للطريق الـــذي يمر **من أم دافوق إلى بحيرة تيزى عبر رهد دهن** . هذه الحدود التي تتطابق مع الحـــدود المرسومة في الخريطة لم تكن هي ذاتها التـــي وضحـــها وشـــرحها القـــادة الفرنســـيون المتتاليون للسكان في تلك المنطقة . ولعل ذلك يعود إلى أن الحدود وصفت بأنـــها تجـــري عبر مكان السقي الرئيسي على الجانب الشرقي من منخفض أم دافوق دون تحديد واضـــح عما إذا كان المقصود بالجانب الشرقـــي طرفه أم وسطه ، الأمر الذي تسبب فـــي خلـــق العديد من المشاكل للقبائل التي تعتمد على السقي من ذلـــك المنخفـــض ، عندمـــا قـــامت السلطات الفرنسية من منعها من الرعي بالقرب من منخفض أم دافوق ، بحجة أن المنطقـــة المحيطة بالمنخفض قد تم حجزها كمنطقة صيد مقفولة. وبالتالي فقد تم تحديدها، من قِبـــل السلطات الفرنسية ، بوضع علامات على الأرض ، كان بعضها على بعد كيلومتر واحـــد جنوب غرب {**أم خشينة**} انطلاقا من الادعاء بأن {**أم خشينة**} تقع على الحدود المشـــتركة. وقد ساهم كل ذلك في تأزيم الأوضاع الحدودية في تلك المنطقة [٨] .

وكما حدث في عام ١٩٣١م في **{نزيلي}** فقد عقد اجتماع في الســـابع مـــن فـــبراير ١٩٣٩م بين مفتش مركز جنوب دارفور وناظر قبيلة التعايشة من جـــانب وقـــائد مركـــز باراو وسلطات قبيلة الكارا من جانب آخر . لقد قام الجانبان بزيارة ميدانية لتحديد موقـــع {**أم خشينة**} . وقد تبين للجانبين أنها تقع على خط مستقيم إلى الشمال من **{مكـــان الســـقي الرئيسي}** في أم دافوق وعلى مسافة حوالي تسعة كيلومترات منها. وبالتالي فقد تأكد أنـــها تقع داخل الأراضي السودانية وعلى بعد ثمانية أو تسعة كيلومترات من الحدود المبينة فـــي الخريطة والبروتوكول . ويلاحظ أن أم خشينة التي تم تحديدها على الطبيعة لم تكن مبينـــة في خريطة السودان مقاس (١) لـــ {٢٥٠,٠٠٠} طبعة ١٩٣٢م وكذلك في خريطة أفريقيـــا

---

(٨) الداخلية ، الحدود بين السودان وتشاد:

Note on Um Dafog Boundary by E.H.Nightingale, District Commissioner, Baggara,dated, 27/3/1937.

الإستوائية الفرنسية المحلية مقـــاس (١) لـ {٥٠٠,٠٠}. وبالرغم من اعتراف الجـــانب الفرنسي بأن {أم خشينة} بالإضافة إلى جزء من حدود حظيرة الصيد يقع داخل السـودان ، إلا أنه لم يوافق على ما ثبت على الطبيعة بحجة أنه لا يملك الصلاحية للإقرار بمثل ذلـك الوضع في اتفاق موثق [٩].

في تلك الأثناء كانت بريطانيا وفرنسا بل وكل العالم قد انشغل بـــالحرب العالميــة الثانية . ودخل موضوع حدود السودان الغربية مع أفريقيا الإستوائية الفرنسية مرحلة مـــن مراحل السكون الطويل . إذ لم يبرز الموضوع مرة أخرى إلى الســطح طــوال العقديــن التاليين ، أي من ١٩٣٩م وحتى خروج المستعمر من أفريقيا ، ممـــا **يعنــي أن الدولتيــن المعنيتين ، بريطانيا وفرنسا ، سلمتا بأن الحدود مكرسة على الطبيعة طبقـــاً للترســيم الخرائطي والمسح الطوبغرافي على الأرض الذي تّم وصفه في بروتوكول العاشـــر مــن يناير ١٩٢٤م .**

***

(٩) الداخلية ، الحدود بين السودان وتشاد:

Report on Meeting of District Commissioner, Southern Darfur with Chad de la Sub-division de Berao, held at Um Dafog, 7/2/1939.

الباب الحادي عشر

أثر الاستقلال على الحدود الموروثة من الاستعمار في القانون الدولي

١ــ الحالات التي تنشأ عنها الخلافة الدولية .

٢ــ عدم تأثير الخلافة الدولية على الحدود المقررة بمعاهدة .

٣ــ قاعدة بقدر ما تحوز الدولة عند استقلالها يجوز لها أن تحوز .

٤ــ السودان من الدول السباقة في قبول الحدود الموروثة .

٥ــ ماذا يعني مبدأ التحررية الوحدوية بالنسبة للحدود ؟ .

٦ــ تشاد وأفريقيا الوسطى ورثتا حدوداً إدارية بينهما .

٧ــ اعتراف تشاد وأفريقيا الوسطى ضمناً وصراحة ببروتوكول ١٩٢٤م .

باندلاع الحرب العالمية الثانية في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين وتأسيس منظمة الأمم المتحدة بمقتضى ميثاقها في ١٩٤٥م ، انشغل العالم بالآثار القانونية والسياسية للحرب من ناحية وللميثاق من ناحية أخرى . وبالتالي لم تشكل الحدود بين السودان وأفريقيا الاستوائية الفرنسية شيئاً مذكوراً بالنسبة لبريطانيا وفرنسا على حد سواء. فهذه الحدود بصفة خاصة مقارنة بمجمل الحدود في القارة الأفريقية تعتبر من الحدود القليلة التي حظيت بالتعيين وبقدر من {التخطيط} على عهد الاستعمار في أفريقيا . فقد تم تعيينها منذ إعلان مارس ١٨٩٩م مروراً بمعاهدة ١٩١٩ التي جعلها الطرفان المتعاقدان ، بريطانيا وفرنسا ، ملحقاً لإعلان مارس ١٨٩٩م . كما تم ترسيمها خرائطياً وتخطيطها على الأرض ، بموجب بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤ الإنجليزي

الفرنسي ، ولكن مع إعلان استقلال السودان في الأول من ينـــاير ١٩٥٦دخلـت حـدود السودان المشتركة مع أفريقيا الإستوائية الفرنسية مرحلة جديدة من مراحل تاريخ تطورهـا القانوني . فبعد أن كانت الحدود تفصل بين مستعمرات ، أصبحت ومنذ ينـــاير ١٩٥٦م ، حدوداً فاصلة بين دولة مستقلة من ناحية وأقاليم ما زالت ترزح تحـــت نـير الاسـتعمار الفرنسي من ناحية أخرى .

وهكذا أضحى السودان باعتباره الدولة التي بـــادرت بتحقيــق اسـتقلالها مقارنــة بعشرات الدول الأفريقية الأخرى أمام خيارين بالغي الحساسية بالنسبة للأوضاع القانونيـــة لحدوده الدولية المشتركة مع ثماني دول . **الخيار الأول** أن يلتزم بمبدأ التوارث الدولـــي أو الاستخلاف الدولي State Succession [1]. وينشأ الاستخلاف الدولي من عدد من الظــروف التي تعكس الطرق التي يتم بها الحصول أو الاستيلاء على السيادة الدولية . مثال ذلـك إذا تحرر الكيان الإقليمي القائم من الاستعمار ، أو إذا تحرر جزء من ذلك الكيان الإقليمـــي أو إذا تفتت دولة قائمة سلفاً ، أو إذا انفصلت دولة عن أخرى أو ضمت دولـــة إلـــى أخـرى وهكذا [2]. لقد برزت كل هذه الأوضاع منذ نهاية الحرب العالمية الثانيـــة ، ومـــع بـزوغ أكثر من مائة دولة جديدة ، كان لأفريقيا فيها نصيب وافر . صحيح أنه وتأسيساً على مبـدأ الخلافة الدولية تبدأ الدولة المكونة حديثاً ، والتي لا يمكن أن يقال بأنها تتضمن اســـتمراراً سياسياً بالنسبة لأية دولة سابقة ، تبدأ حياتها وهي مبرأة من أية التزامات تعاهدية . إلا أنــه يوجد بالنسبة لهذا المبدأ العام استثناء هام هو المعاهدات الخاصة بالالتزامات{**العينية**} Real أو التي تسمى أحياناً {**بالموضعية**}local . ويقصد بذلك المعاهدات التـــي تنظـم الحـدود الإقليمية وكذلك الالتزامات المنشئة لنظم إقليمية مثل النظم النهرية . والخلاصـــة هـــي أن خلافة الدول لا تؤثر في حد ذاتها علـــى {**الحـدود المقـررة بمعـاهدة ، أو الالتزامـات والحقوق المقررة بمعاهدة والمتعلقة بنظام حدود**} [3].

أما الخيار الثاني فهو تبني مبدأ {التحررية الوحدوية} وهو المعـروف فـي إطـار النزاعات الإقليمية والحدودية بمبدأ Irredentist . ومؤدى هذا الخيار هو عدم القبول بـالأمر

---

(١) انظر: D.P.Oconnell, The Law of State Succession, London, 1956.

(٢) انظر: McNair, Law of Treaties, 1961,p.601.

(٣) المادة (١١) من اتفاقية فيينا ١٩٧٨م في شأن خلافة الدول على المعاهدات .

الواقع Status-Que عند إعلان الاستقلال أو في تاريخ معين آخر . وينطوي هـذا الخيـار على المطالبة بتعديل الحدود الموروثة لإعادة إثبات أرض واستردادها إلى داخل حظـيرة الدولة التي تطالب بالتعديل .

لقد اختار السودان الخيار الأول وهو الالتزام بمبدأ الخلافة الدولية . وبتعبير آخـر قررت الدولة الجديدة الاعتراف رسمياً بالحدود التي رسمها الاستعمار ، بصـرف النظـر عما إذا كانت هي الحـدود الأمثل على امتداد حدوده مع ثمـاني دول أفريقيـة والبـالغ طولها حوالي {٤٨٧٠} ميلاً . وبذلك القرار الحكيم تخلى السـودان عـن أي مطـالب أو ادعاءات مستقبلية بحجة أن الاستعمار اقتطع منه أرضاً أو بحجيـة قـاعدة عنصريـة أو لغوية أو دينية أو إثنية . وبإيجاز اكتفى السودان ، الدولة المستقلة الجديدة ، بقاعدة {بقـدر ما تحـوز يجوزله بالتالي أن يحوز} وهي القاعدة المعروفة فـي القـانون بـ Uti-Posseditus [٤] . وبذا يكون السودان من أوائل الدول الأفريقية التي أرست قـاعدة القبـول {بالوضع الراهن} Stuts- Que في تاريخ إعلان استقلاله [٥].

من جانب آخر انبعثت عن مستعمرة إفريقيا الاستوائية الفرنسية دولتـان مسـتقلتان جديدتان في سنة ١٩٦٠م، هما تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى. وما كان لتينك الدولتيـن غير التسليم الكامل بالحدود الموروثة من الاستعمار الفرنسي والقبول بالتالي بقـاعدة ألـ Uti-Posseditus . وتعود هذه القاعدة في أصلها إلى تبني دول أمريكـا اللاتينيـة للحـدود

---

(٤) انظر:

BoggsS.W, International Boundaries, A study of Boundary Functions and Problems, New Yourk, pp.79-80.

وكذلك :

Hill,N, Claims to Territory in International Law and Relations , Oxford, 1945, pp.154-46.

وكان أول من أخذ بهذا المبدأ ، انطلاقاً من قاعدة الملاءمة والجدوى ، كأساس لحدودها هي الـدول الجديدة في أمريكا اللاتينية . إذ قبلت بالتقسيمات الإدارية التي وضعتها الدولة الأم التي كانت قائمـة في تاريخ اندلاع حركة الاستقلال . وكان التاريخ الحرج في حالة الدول الأمريكية الجنوبية هو بصفة عامة ١٨١٠م وفي حالة أمريكا الوسطى ١٨٢١م .

(٥) كان السودان في مقدمة الدول التي ساهمت في استصدار منظمة الوحدة الأفريقية قرارها المشـهور بشأن الحدود في القاهرة عام ١٩٦٤م . والذي أعلن فيه رؤساء الدول والحكومات الأفريقية إصرارهم وتعهدهم باحترام الحدود القائمة عند تحقيق دولهم لاستقلالها الوطني .

الإدارية للمحافظات الإسبانية التي انبعثت منها الدول الجديدة. وتلك الحالة تنطبــق تمامــاً على جمهوريتي تشاد وأفريقيا الوسطى اللتين انبعثتا عـــن مســتعمرة فرنســية واحــدة . فالحدود بين تشاد وأفريقيا الوسطى على سبيل المثال ترجع فـــي جذورهـــا لحـــدود بيـــن مديريتين تابعتين إلى مستعمرة فرنسية واحدة هي أفريقيا الإستوائية الفرنسية. لقد اســـتقلت الدولتان في إطار الحدود التي رسمتها لهما سلفاً الدولة الأم وهي فرنسا . وبالتـــالي فـــإن قبول جمهوريتي تشاد وأفريقيا الوسطى لحدودهما المشتركة يعنـــي بـــالضرورة قبولـــهما للحدود التي أبرمتها فرنسا مع بريطانيا بشأن حدودهما المشتركة مع الســـودان وغـــيره . وقد تأكد كل ذلك في أن الدولتين سكتتا عند إعلان استقلالهما في ١٩٦٠م ، عن إثـــارة أي نزاع حول البروتوكول والمعاهدات التي تحكم حدودهما مع السودان . وكما سنرى لاحقـــاً فقد أعلنت الدولتان المذكورتان قبولهما بالحدود الموروثة صراحـــة وضمنـــاً ، وبـــالتحديد اعترفتا ببروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤باعتباره الوثيقة التي تحكـــم الحـــدود بينـــهما والسودان . ولعل أبلغ دليل على ذلك أن عملية تخطيط الحدود بين السودان وتشاد قد تمـت على أساس بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م والذي على أساسه وبمقتضاه تمت عمليـــة إعادة تخطيط الحدود بين السودان وتشاد بوضع علاماتها على الطبيعة باتفاق الدولتيـــن . كما أن جمهورية أفريقيا الوسطى قد أقرت قبولها بذات البروتوكول كما سنقرأ ذلك لاحقاً.

***

الباب الثاني عشر

الأوضــاع علــى الحــدود المشتركــة بعــد الاستقلال
بين السودان وتشاد : ١٩٦٠ - يونيو ١٩٨٩م
ومدى أثرها على المركز القانوني للحدود

١ــ أول نزاع حدودي بين البلدين بشأن منطقتي أنياتا وأنديبوكا ١٩٦١م .

٢ــ هدوء الأوضاع الحدودية على عهد حكم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م - أكتوبر ١٩٦٤م .

٣ــ تدهور الأوضاع الحدودية على عهد حكم ثورة أكتوبر بسبب سياستها الخارجية.

٤ــ بروز الحدود كمسألة أمنية على عهد الديمقراطية الثالثة في السودان وعهد تمبــل باي في تشاد .

٥ــ الرئيس نميري يطرح نفسه صانعاً للسلام ويجمع هبري وفيلكــس فــي الخرطــوم ١٩٧٨م.

٦ــ السودان يلعب دوراً نشطاً لتحقيق الوحدة الوطنية في تشاد على شتى المستويات .

٧ــ حكومة الديمقراطية الثالثة تعجز عن التصدي للتدخلات الأجنبية عبر الحدود الغربية للسودان .

٨ــ الدولتان تحترمان الحدود الموروثة من الاستعمار .

بالرغم من أن كل الدول الأفريقية تقريباً قد سلمت بقبــول الحــدود الدوليــة التــي رسمتها الدول الاستعمارية بينها على الورق وخططت بعضها على الطبيعة ، إلا أن ذلــك لا ينفي أن الحدود الموروثة من الاستعمار قد قسمت مجموعات عرقيــة أو إثنيــة علــى

جانبي الحدود في أغلب أنحاء القارة الأفريقية. وتأسيساً على ذلك فقد نشـأت بـالضرورة جنسيات جديدة مختلفة لذات المجموعة العرقية أو الاثنية . ولم تكن الحدود بين السـوذان وتشاد استثناءً من ذلك . فقبيلة الزغاوة ، على سبيل المثال ، منقسمة على جانبي الحـدود بين السودان وتشاد [١] وقد ترتب عن ذلك آثار سالبة ذات أبعاد أمنيـة معقـدة بالنسـبة للدولتين على حد سواء ، منذ السنوات الأولى لتحقيق الاستقلال وحتى الزمن المعاصر[٢].

برز أول نزاع على الحدود بين السودان وتشاد ، بعد الاستقلال ، مع بدايـة عـام ١٩٦١م ، بشأن الشريط الحدودي في منطقة {أنياتا} بين قبيلة الداجو التابعة لمركز قـوز بيضة التشادي من ناحية وقبيلة المساليت التابعة لمركز الجنينة السـوداني مـن ناحيـة أخرى كان النزاع متعلقاً بتفسير القسم الرابع من بروتوكول العاشر مـن ينـاير ١٩٢٤م. فطبقاً لوصف البروتوكول للحدود في هذا القسـم : **{تجري الحدود من الموقع السـابق ، أي من قمة جبل الباص ، في اتجاه الشمال الغربي في خط مستقيم إلى القمة الشـرقية لجبل تارى والموضح في الخريطة بارتفاع ٣٥٣ . ومن ثم تجري فـي اتجـاه الشـمال الغربي في خط مستقيم إلى نقطة تقع على بعد خمسة كيلومترات بالضبط نحو الشـمال من تثليث نقطة الإشعار التي على جبل أرارا أو أنياتي . ومن هذه النقطة تجري الحـدود مستقيمة إلى نقطة الإشعار المذكورة . ومن هناك تجري الحدود في خط مسـتقيم فـي اتجاه الجنوب الغربي إلى نقطة تقع في منتصف الطريق بيـن قريـة بـاردي التابعـة للمساليت وقرية أم دقل التابعة للداجو . ومن تلك النقطة تجـري الحـدود فـي اتجـاه الجنوب الغربي في خط مستقيم إلى نقطة تقع بالضبط على بعد كيلومترين ونصف شمال تثليث نقطة الإشعار التي على جبل هونجار أو (هانجار) . وتستمر الحدود على امتـداد ذات الخط المستقيم حتى تقاطع وادي كاجا على بعد كيلومترين إلى الشمال مـن قريـة أندارا ، التي تقع في الإقليم الفرنسي }** [٣] .

---

(١) توجد عدة قبائل أخرى مشتركة بين السودان وتشاد مثل البديات والزيادية والسلامات والفلاتة والبرنو والداجو .

(٢) لقد عانت تشاد من هذه الآثار منذ السنوات الأولى لاستقلالها وحتى نهاية القرن العشـرين . ومـن جانب آخر بدأ السودان يعاني من هذه الآثار الأمنية السالبة وبخاصة في منذ ٢٠٠٣م .

(٣) انظر :

Minutes of the Meeting to Consider the Border Dispute between Goz Beida of Chad and Geneina District of the Sudan, Feb.27.1961.

لقد سارع الطرفان لمعالجة ذلك النزاع على مستوى الإداريين المحليين في الجنينة وقوز بيضة . وفي ذلك السياق اتضح أن خريطة السودان المطبقة رقم ٥٣ {sheet-53-0} المؤرخة ١٩٢٤م ومصححة في أكتوبر ١٩٣٠م ، لا توضح معلومات محددة حتى تاريخ النزاع {١٩٦١} بالنسبة للطرق والجبال والوديان . من جانب آخر كانت الخريطة الفرنسية {مونجورورو رقم ND-43-7} والمؤرخة ١٩٥٩م ، توضح معلومات حتى تاريخ النزاع بالنسبة لتلك المنطقة من الحدود . وتأسيساً على ذلك تمسك المندوب الفرنسي بأن منطقة {أنياتا} المتنازع عليها هي أرض تشادية . ورفض المندوب السوداني قبول الادعاء التشادي وبالتالي فشلا في الوصول لقرار بشأن تثبيت الحدود . وهكذا أقر الاجتماع تأجيل الموضوع وإحالته لسلطات البلدين العليا لترتيب فريق من المساحين يقوم بوضع الحدود على الطبيعة في تلك المنطقة .

وحاول ذات الاجتماع بحث نزاع آخر بالقرب من ذات المنطقة كان متعلقاً بموقع قرية انديبوكا على بعد عشرة كيلومترات إلى الجنوب شرق من آرارا ، وكان النزاع منصباً حول تحديد ما إذا كانت في الأرض السودانية أو التشادية . لقد انتهى الاجتماع بالاتفاق على احترام الوضع الراهن حتى يتم تثبيت الحدود بعد إجراء مسح المنطقة . ويلاحظ أن تشاد قبلت ذلك على أساس أن يتم تثبيت موضع الحدود في غضون ثلاثة أشهر [٤].

وحرصاً من الدولتين على الحفاظ على علاقات طيبة بادرت وزارة الخارجية السودانية برفع مذكرة بتاريخ الرابع من أكتوبر ١٩٦١م ، إلى سفارة تشاد في الخرطوم لمعالجة الموضوع على المستوى الدبلوماسي . لقد أكدت المذكرة على استعداد السودان لتسوية أي خلافات بين البلدين بطريقة ودية ، وأعربت عن استعدادها لإرسال مساح سوداني ليشارك في إعادة تخطيط الحدود مع مساح من تشاد . ويلاحظ في هذا السياق أمران . الأول أن مذكرة الخارجية السودانية استعملت كلمة {إعادة تخطيط} Re-demarcation . والأمر الثاني أن المذكرة تحدثت عن طرف في فريق يتكون من مساحين . وما تبنته صياغة مذكرة الخارجية السودانية يهدف للتأكيد ضمنياً بأن الحدود قد سبق أن

(٤) نفس المصدر السابق .

تم تخطيطها في ١٩٢٤م وأن الذي كان مطلوباً في ذلك الوقت هو إعـــادة التخطيــط فـــي منطقة محدودة [٥] .

لقد قبلت الحكومة التشادية الاقتراح السوداني ، وتم على أثر ذلك إرسال مســـاحين اثنين واحد من كل دولة ، حيث قاما ببحث الأمر على الطبيعة علـــى ضـــوء بروتوكـــول ١٩٢٤م ، وقاما برفع تقريريهما بذلك الخصوص لحكومتيهما . {**وشهد منتصـــف فـبراير ١٩٦٢م ، اجتماعاً للجنة الحدود المشتركة في مدينة الجنينـــة الســـودانية ، اعتمـــدت اللجنة فيه تقرير المساحين والوصف الحدودي الذي ورد فيه**}. ويلاحظ أن تقرير المســح كشف عن أن أغلب أشجار الفاكهة الخاصة بالمساليت هي في واقع الأمر علـــى الجـــانب التشادي من الحدود . أما بالنسبة للنزاع على موضع قرية {**أنديبوكا**} فقد نجح المســـاحان في إعادة تخطيط الخط الفاصل بين قرية {**ياردي**} التابعة إلى المساليت وقريـــة {**أم دقـــل**} التي تتبع إلى الداجو . وقد قرر الاجتماع بناء سبعة أعمدة من الخرسانة لتوضيح الحـــدود ثلاثة منها في منطقة {**أنياتا**} ، وأربعة في الحد الفاصل بيـــن قريـــة {**شـــكوني**} التابعـــة للمساليت و {**انديبوكا**} التابعة إلى الداجو على أن تحمل حـــرف الـــ {S} مـــن الناحيـــة المواجهة للسودان وحرف الـــ {T} من الناحية المواجهة لتشاد . من جانب آخـــر قضـــى الاجتماع بالسماح للمزارعين السودانيين الذين لهم {**جنائن**} فاكهـــة أو خضـــروات داخـــل منطقة {**أنياتا**} التشادية بالاستمرار في زراعة تلك الجنائن بشـــرط عـــدم التوســـع فيـــها والالتزام بدفع الضرائب المقررة إلى حكومة تشاد. كما تم الاتفـــاق بـــأن يُســـمح لورثـــة أصحاب تلك الجنائن بالاستمرار بنفس الشروط المذكورة . وبالمقابل يســـمح للمزارعيـــن التشاديين الذين لديهم مزارع داخل منطقة {**انديبوكا**} السودانية بالاستمرار فـــي الزراعـــة بنفس الشروط التي تطبق على المزارعين السودانيين [٦].

مما سبق يلاحظ أن الحكومتين تعاملتا مع ذلك الخلاف باعتبـــاره أمـــراً محليـــا معزولاً نشأ أساساً بسبب عدم وضوح تخطيط الحدود أو لاندثار معالم التخطيـــط. ولذلـــك

---

(٥) الداخلية ، ملفات الحدود بين السودان وتشاد :

Boundary Agreement between the Boundary Strips of Aniata and Andeboka, 18/2/1962.

(٦) الداخلية ، ملفات الحدود بين السودان وتشاد :

Boundary Agreement between the Sudan and Chad concerning the Boundary Strips of Aniata and Andeboka, 18/2/1962.

اقتصر الموضوع على إجراء عملية مسح محدودة وتجديد إعـادة تخطيـط الحـدود فـي المنطقتين المذكورتين . من جانب آخر فإن ما توصلت إليه لجنة الحدود يتفق في مجملـه على مراعاة الحقوق المكتسبة للقبائل على جانبي الحدود التـي نصـت عليـها معـاهدة ١٩١٩م ، وكذلك بروتوكول ١٩٢٤م ، كما قرأنا سلفاً . وأخيراً فإن ما تم علـى مسـتوى فريق المساحين المشترك وما انتهت إليه لجنة الحدود المشتركة في اجتماع مدينة الجنينـة في ١٩٦٢م ينهض دليلاً على أن أياً من الجانبين لم ينازع إطلاقاً في مسـألة أن الحـدود محكومة ببروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م الإنجليزي الفرنسي .

لهذا يمكن القول إن الأربع سنوات الأولى من استقلال تشاد ، والتي تطـابقت مـع عهد حكومة انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م العسكرية التـي انتـهت فـي أكتوبـر ١٩٦٤م اتسمت في مجملها بمعالجات هادئة واحترام للوضع القانوني للحدود من قبـل الدولتيـن . لكن الأوضاع الحدودية للسودان سرعان ما تغيرت تماماً على عهد حكومة ثورة أكتوبـر ١٩٦٤م في السودان . وبصفة خاصة الأوضاع على حدود السودان مع كل مـن إثيوبيـا وتشاد [٧]. فقد تبنت تلك الحكومة ما أسمته بدعم الحركات التحررية دون مراعاة لمصـالح السودان الحيوية . وفيما يتصل بالجارة تشاد لقد غضت الحكومة الطرف إن لم يكن قـد ساعدت في تهيئة الظروف للجبهات التشادية المختلفة للشروع في التوحد عـام ١٩٦٥م[٨]. وعلى أثر ذلك قامت الحركات المناوئة لنظام الحكم القائم في تشاد بأعمال تخريبيـة فـي داخل تشاد انطلاقاً من الأراضي السودانية المتاخمة للحدود المشتركة من تشاد . ولا شـك أن تقسيم الحدود لمجموعات ذات جذور عرقية مشتركة على جانبي الخـط الحـدودي، مثل الزغاوة وغيرها، قد ساهم مساهمة فاعلة في تسهيل تلك الاختراقـات عـبر الحـدود

---

(٧) راجع :

مؤلفنا : حدود السودان الشرقية مع إثيوبيا وإريتريا ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، ٢٠٠٠م الصفحـات من ١٣٦-١٤٠.

(٨) انظر :

تم تأسيس الجبهة الوطنية لتحرير تشاد (الفرولينا) في مدينة نيالا في غرب السودان فـي ٢٢ يونيـو ١٩٦٦م. وذلك بتوحيد ماكان يسمى بـ جبهة تحرير تشاد مع الاتحاد الوطني التشادي . وقد لعـب إبراهيم أباتشا ومناصروه من القرعان دوراً رئيسياً في تكوين تلك الجبهة . راجع :

V.Thompson and Adloff, Conflict in Chad, California, 1981,p.51 and p.85.

المشتركة . وقد انعكس كل ذلك سلباً على علاقات السودان الخارجية مما أدى إلى تدهـور كبير في علاقاته مع تشاد .

إن ما حدث بين السودان وتشاد من تدهور مريع في علاقاتـهما ، فـي منتصـف ستينيات القرن الماضي ، يؤكد أن عدداً من النزاعات الحدودية قد تنشأ عـن خصومـات سياسية بين الحكومات ، وأن تلك الخصومة قد تعود في أصولها لأسباب لا علاقـة لـها بالوضع القانوني للحدود بين الدولتين المعنيتين . ولك عندما تبدأ العلاقات عبر الحدود فـي التدهور ، وتشرع الحكومات في النظر إلى بعضها نظرة عدائية ، تبدأ النزاعات بما فـي ذلك النزاعات بشأن الوضع القانوني للحدود في البروز من حين إلى آخر [٩].

ولعل من حسن حظ السودان أن حكومة أكتوبر لم تعمـر طويـلاً . فقـد جـرت انتخابات عامة أتت بحكومة منتخبة . وكان من أولى اهتمامـات تلـك الحكومـة ترميـم وإصلاح أوضاع علاقات السودان مع الدول المجاورة . وقد تمخض ذلك الاهتمام بالنسـبة لحدود السودان الغربية ، عن انعقاد أول لجنة وزارية مشتركة مع تشاد في يونيـو ١٩٦٥م في فورتلامي عاصمة تشاد . وفيما يختص بالحدود فقد أوصت تلك اللجنـة بـأن تتخـذ الحكومتان التدابير اللازمة لضمان صون النظام والأمن ، كما تم الاتفاق على تكوين لجنـة خاصة بالحدود المشتركة [١٠]. وقد عقدت تلك اللجنة الخاصة بالحدود أول اجتماع لها فـي العشرين من ديسمبر ١٩٦٥م ، أي بعد شهور قليلة من اجتماع اللجنة الوزارية في مدينـة الجنينة السودانية . وقد انتهت اللجنة إلى الاتفاق على تشديد الرقابة على الحدود ، واتخـاذ إجراءات مشددة ضد التهريب عبر الحدود ، بالإضافة إلى تقرير الاجتمـاع مرتيـن فـي العام ، وعلى أن يكون الاجتماع القادم في أبشي التشادية . وكما هو واضح من مقـررات

---

(٩) انظر :

Touval,S,(The Sources of Status Quo and Irredentist Policies) in African Boundary problems,W.I, Uppsala. 1969, edited by C.Widstrand, at p.122.

(١٠) انظر :

I.W.Zartman, (the Foreign and Military Politics of African Boundary problems) in African problems,95

ذلك الاجتماع أن أياً من الطرفين لم يثر أية مسألة بشأن الوضـــع القـــانوني للحـــدود بـــل انصرف الأمر نجو القضايا الأمنية مما يعني ضمنياً ترسيخاً لبروتوكول ١٩٢٤م [١١].

في ذلك الأثناء ساهم تأسيس الجبهة الوطنية لتحرير تشاد **{الفرولينات}** في مدينـــة نيالا السودانية في ١٩٦٦م و ما بدأت تقوم به من اختراقات عـــبر الحـــدود إلـــى داخـــل الأراضي التشادية ، كل ذلك ساهم في تدهور العلاقات بين البلديـــن ممـــا أنـــذر بنشـــوء مواجهة بين الحكومتين إن لم تكن حرباً بين الدولتين . فقد اتهم الرئيس التشـــــادي **{تمبـــل باي}** السلطات السودانية بتوفير السلاح والتدريب العسكري لأعضاء **{حكومـــــة المنفـــى}** Government in Exile التشادية القائمة بالخرطوم ، والتي هدفها كما صـــرح **{تمبـــل بـــاي}** تحويل تشاد إلى جمهورية إسلامية تحت سيطرة الجزء الشمالي المسلم في تشاد . وطـــالب تمبل باي الحكومة السودانية بإبعاد العناصر المخربة وفي عدم حصول ذلك ، وهدد بطـــرد كل السودانيين المقيمين في تشاد ، وإغلاق الحدود بين بلده والسودان [١٢].

لقد أنكر السودان تلك الاتهامات وعزا ما يحدث من اختراقات عبر الحـــــدود إلـــى طول الحدود السودانية التشادية البالغة حوالي **{٨٤٥}** ميلاً ، بالإضافة إلى التداخل القبلـــي على امتداد الحدود بين البلدين . وبالرغم من ذلك فقد صعدت تشاد في تدهـــور العلاقـــات باعتداء قواتها على قرية **{أم ديسه}** السودانية . في تلك الأثناء لعـــب الرئيـــس **{هامـــاني ديوري}** رئيس جمهورية النيجر دوراً هاماً ومقدراً في تهدئة الأحوال بين السودان وتشـــاد. وبصفته وسيطاً أصدر بياناً في السادس عشر من أكتوبر ١٩٦٦م أكد فيه أهميـــــة حســـن

---

(١١) اشترك مؤلف هذا الكتاب فيذلك الاجتماع بصفته مساعدا لسكرتير لجنة الحدود الدولية السودانية . وكانت تلك هي تجربتنا العملية الأولى في الدخول في هذا المجال . أمـــا لجنـــة {الحـــدود الدوليـــة السودانية} فترجع فكرة إنشائها للأستاذ / أحمد خير ، عندما كان وزيراً للخارجية في ١٩٥٨م علـــى عهد حكومة الفريق إبراهيم عبود . فقد أثار مع وزير الداخلية آنذاك الأميرالاي المقبول الأمين الحاج مسألة وجود جهة محددة يتم الرجوع لها بالنسبة لمشاكل الحدود . و تبنى وزير الداخلية الفكرة حيث أصدر مجلس الوزراء قراراً بتكوينها في ١٩٦٢م . وتكونت في الأساس برئاسة وكيل وزارة الداخلية وعضوية القائد العام أو من ينوب عنه ووكلاء الخارجية والحكومات المحلية والنائب العام ومدير عام البوليس ومدير عام مصلحة المساحة وعلى أن يكون سكرتيرها من وزارة . وقد عمل مؤلـــف هـــذا الكتاب سكرتيراً لها ثم أصبح في زمن لاحق رئيساً لها في عام ١٩٨٠م بصفته وكيل وزارة الشـــؤون الداخلية .

(١٢) راجع: V.Thompson, Conflict in Chad. California, 1981,p.117.

الجوار كما نص بيانه على توسيع لجنة الحدود المشتركة بين البلدين من حيث تكوينها واختصاصاتها لتشمل كل الموضوعات المتعلقة بالحدود [١٣] .

وتنفيذاً لذلك البيان عقدت لجنة الحدود المشتركة اجتماعها الثاني في ديسمبر ١٩٦٦م في فورتلامي . وكما كان متوقعاً فقد كرس الجانب التشادي كل الاجتماع للأوضاع الأمنية على الحدود المشتركة . وعزا عدم الاستقرار على الحدود إلى وجود المتمردين والمخربين في دارفور ، الذين يجدون فيها الدعم والملجأ من ذويهم من أهل دارفور . وهكذا ترسخت قضية الحدود في العلاقات السودانية التشادية باعتبارها مسألة أمنية محضة ، وليست نزاعاً على الوضع القانوني للحدود [١٤] .

وبالرغم من الوساطات التي ظل يقوم بها الرئيس هاماني ديوري ، فقد ظلت العلاقات بين السودان وتشاد في تذبذب وعدم استقرار دائمين . ومع بداية حكم مايو على أثر انقلاب عسكري في ١٩٦٩م ، أخذت العلاقات في تحسن نسبي . فقد نجح الرئيس {**جعفر نميري**} في عام ١٩٧٠م من إقناع الرئيس {**تمبل باي**} بأن السودان لن يساعد الجبهة الوطنية لتحرير تشاد {**الفرولينات**} وأنه أوقف أي دعم كانت تقدمه الحكومات السابقة للمتمردين التشاديين . واتجهت الحكومتان بدلاً من المواجهة نحو إبراز جوانب التعاون الاقتصادي والتجاري . ويعود الفضل في تحسين العلاقات مرة أخرى للرئيس هامان ديوري رئيس النيجر الذي لعب دوراً لافتاً في ذلك السياق [١٥].

أما فيما يتعلق بالوضع القانوني للحدود فقد نشأ في أوائل سبعينيات القرن الماضي التباس أوشك أن يتطور لنزاع في منطقة الحدود المعروفة بـ {**نتوء كُلبس**} . فقد أبلغ مفتش الحكومة المحلية لدار مساليت ، في الثاني عشر من مارس ١٩٧١م ، محافظ دارفور بأن سلطات مديرية {**بلتن**} التابعة إلى تشاد ، شيدت معسكراً على مقربة من قرية {**كُلبس**} السودانية . وبالتالي فقد طلب المفتش تكليف فريق من المساحين لتوضيح الحدود على الطبيعة للتأكد من وضع المعسكر أسوة بما تم في ١٩٦٠ ولعل من المفارقة أن ذلك الطلب كشف عن عدم وجود قرية سودانية باسم {كلبس} في {**الخرائط السودانية**}

---

(١٣) نفس المصدر السابق .

(١٤) شارك المؤلف في هذا الاجتماع بصفته سكرتيراً للجنة الحدود الدولية السودانية .

(١٥) انظر: Thompson .op.cit., p.108.

المرسومة في ١٩٢٤م والمصححة في ١٩٣٢م ، وأن {كلبس} المبينة في تلك الخريطة تقع داخل الحدود التشادية ! وكما ذكر مدير المساحة في رسالة له بتاريخ الثامن عشر من أبريل موجهة إلى محافظ دارفور ، أن مدير مديرية دارفور كان قد أفاد مصلحة المساحة في ١٩٣٩م بأن **{كُلبس}** التشادية قد هجرت وأن قرية أخرى باسم **{كُلبس}** قد أنشئت داخل حدود السودان . وبناء على ذلك قامت مصلحة المساحة بتصحيح الخريطة بإدخال القرية السودانية وحذف القرية التشادية . كما قامت مصلحة المساحة في ١٩٦٦م بإعادة طبع تلك الخريطة وهي توضح قرية **{كُلبس}** القريبة جداً من الحدود المشتركة [١٦].

يبدو أن الالتباس التاريخي الذي أحاط بمنطقة **{كُلبس}** وموقعها القريب جداً من خط الحدود ، فرض على محافظ دارفور في ١٩٧١م التحرك بهدف توضيح الحدود على الطبيعة بواسطة فرقة مسح مشتركة من البلدين إسوة بما حدث في عام ١٩٦١م بالنسبة لمنطقتي **{أنياتا}** و **{انديبوكا}** . وقد سعت وزارة الخارجية السودانية لتحقيق تلك الغاية بتاريخ السادس من يونيو ١٩٧١م . بيد أن السلطات التشادية لم تبد حماساً لتلك الفكرة مما جعل السلطات السودانية هي الأخرى أن تعتبر الأمر منتهياً عند ذلك الحد ، استصحاباً للظروف الأمنية التي كانت سائدة في داخل تشاد في تلك المرحلة .

وشكل الانقلاب على حكم **{تمبل باي}** في ١٩٧٥م في تشاد ، مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات السودانية التشادية . فبالرغم من أن الرئيس التشادي الجديد **{فيلكس مالوم}** لم يوجه أولوية اهتمامه نحو السودان منذ الوهلة الأولى ، إلا أنه لم يكن بوسع أي حكومة في الخرطوم تجاهل أهمية الأوضاع على حدود السودان الغربية . فهناك الأعداد المقدرة من التشاديين داخل السودان ، وهناك التداخل القبلي على جانبي الحدود المشتركة بين البلدين ، وهناك عدم الاستقرار داخل تشاد ذاتها ، وأخيراً وليس آخراً هناك العلاقات المتردية بين السودان وليبيا . لكل تلك الأسباب وغيرها سعت حكومة السودان بأساليب وطرق مختلفة نحو دعم العوامل الهادفة لتحقيق الوحدة في تشاد .

وعندما أصبح الرئيس جعفر نميري رئيساً لمنظمة الوحدة الأفريقية في ١٩٧٨م سعى لطرح نفسه**{صانعاً للسلام}** Peace-maker انطلاقاً من الذي تحقق على عهده بموجب

---

(١٦) ملف مصلحة المساحة رقم ٦٣/د/١/٤/مجلد ٢ .

اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢م بشأن السلام في جنوب السودان [١٧]. فقد ساهم السودان بجدية في مختلف الأطر والمستويات في المحاولات الرامية لتسوية الحرب الأهلية في تشاد. وفي سبيل ذلك اشترك السودان ، على مستوى النائب الأول لرئيس الجمهورية ، في مؤتمرات الوحدة الوطنية التي عقدت في سبها وطرابلس وبنغازي بالرغم من تردي العلاقات السودانية الليبية في تلك الفترة .

من جانب آخر نجح الرئيس نميري في ترتيب اجتماع بين {**حسين حبري**} قائد قوات جيش الشمال المعروفة بـ {**فان**} والرئيس التشادي {**فيلكس مالوم**} في الخرطوم في ١٩٧٧م [١٧]. وبحضور مراقبين من السودان أبرم الخصمان التشاديان {**حبري وفيلكس**} في منتصف ١٩٧٨م ما سمى بـ مبادئ الميثاق الأساسي الذي بدأ نفاذه في أغسطس ١٩٧٨م . وعندما أخذت بوادر التفتت تظهر مرة أخرى فيما عرف بالحكومة التشادية الموحدة ، بذل السودان محاولات لرأب الصدع . وباندلاع الحرب الأهلية مرة أخرى في تشاد ، وجه السودان جهوده لدعم سلسلة المؤتمرات التي نظمها رئيس نيجريا {**اوباسانجي**} بين القادة التشاديين المتحاربين [١٩] . كما بذل السودان جهداً في إقناع قادة ورؤساء دول منظمة الوحدة الأفريقية في يوليو ١٩٧٩م في نيروبي لرعاية المؤتمر الرابع بشأن الوحدة التشادية في لاغوس في نيجريا ، وهو المؤتمر الذي تمخض عنه ما عرف بحكومة الوحدة الوطنية .

بالرغم من الأحداث المتلاحقة في تشاد فقد حرص السودان على الحفاظ على علاقات متوازنة مع الحكومات التشادية . فقد زار {**جوكوني وداي**} رئيس حكومة الاتحاد الوطني الانتقالية السودان في يناير ١٩٨٢م . وأكد البيان المشترك الصادر عقب تلك الزيارة تضامن السودان الكامل مع الحكومة التشادية ودعمه لشعب تشاد في تصميمه على {تحقيق الوحدة الوطنية وخلق مجتمع يسوده السلام والاستقرار دعماً وتأكيداً لما نص عليه مؤتمر القمة الأفريقي في نيروبي ١٩٨١م} [٢٠] . كما أكد السودان عدم مساعدته لأية قوات تعمل ضد الحكومة الشرعية في تشاد وبخاصة ما عرف بـ {**قوات الشمال**} .

---

(١٧) انظر: Thompson, op.cit.,p.117.

(١٨) نفس المصدر السابق .

(١٩) نفس المصدر السابق .

(٢٠) نفس المصدر السابق .

ويهمنا أن نشير إلى أن البيان المشترك نص على أمرين هامين يتعلقان بـالحدود . الأمـر الأول أن البيان أكد على التزام الدولتين بخلق ظروف أفضل للتفـاهم المشـترك والثقـة المتبادلة من أجل قيام تعاون بينهما على أسس الاحترام المتبادل لسيادة ووحـدة وسـلامة أراضي الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل منهما . وأما الأمر الثاني فهو اتفـاق الدولتين على تشكيل لجنة مشتركة على المستوى الوزاري يناط بها بحث كل المسـائل ذات المصلحة المشتركة ، ويكون لها الصلاحيات لتكوين لجان فرعية فنية حسـب الحاجـة . وتحقيقاً لذلك {**قررت الدولتان تشكيل لجنة فرعية لمسائل الحـدود والأمـن باعتبارهمـا مسألتين ذاتي أهمية بالغة** } (٢١).

لقد تزامن حكم نظام مايو ١٩٦٩م وحتى سقوطه في أبريل ١٩٨٥م ، مـع فـترة حافلة بالحروب الأهلية في تشاد . وكما قرأنا فإن السودان لم يكن بمعزل عما كان يجـري على أو بالقرب من حدوده الغربية . فلقد ساهم بأشكال وصور شتى في كل الـذي كـان يجري داخل تشاد من صراعات . كما أنه لعب دوراً بارزاً في المساعي الحميدة العديـدة التي بذلت لتسوية الحرب الأهلية التشادية ،سواء كان ذلك في داخل السودان أو في ليبيـا أو نيجريا أو في مؤتمرات القمة الأفريقية . والثابت أنه مع كل الذي كان يـدور ويجـري بالقرب وعبر الحدود المشتركة ، فإن ذلك لم يثر أي تنازع على المركز القانوني للحـدود الدولية . فقد ظلت الحدود راسخة على ما هي عليه أصلاً ، محكومة بـبرتوكول العاشـر من يناير ١٩٢٤م .

أما فترة ما عرف بفترة الديمقراطية الثالثة قصـيرة العمر {أبريـل ٨٥-يونيـو ١٩٨٩م} فقد شهدت اجتماعاً واحداً للجنة الوزارية المشتركة فـي أكتوبـر ١٩٨٦م فـي الخرطوم . وفيما يتصل بالحدود يبدو أن الجانبين قصدا التسليم بما هو مسلم به سلفاً . فقـد اكتفت اللجنة كما جاء في البيان المشترك بالتوصية بأن {**يضع الجانبـان فـي الاعتبـار العلاقات الوطيدة بين البلدين ويجددان التزامهما بالمواثيق الدولية والمعاهدات الخاصـة بالحدود . وقد اتفقا على تكوين لجنة فرعية فنية مشتركة للمحافظة على معالم الحـدود في المدى القريب**} . ومن المهم ملاحظة أن الجانبين جـددا ، بموجـب تلـك التوصيـة اعترافهما بأن الحدود المشتركة قد تم تخطيطها من قبل وأن المطلـوب والمرغـوب هـو

---

(٢١) انظر : pp.low

المحافظة على معالم الحدود على الطبيعة . ولا شك أن تلك المطالبة بالمحافظة على العلامات الحدودية تنطوي ضمناً على إمكانية إعادة تجديد ما اندثر منها بمرور الزمن أو بفعل فاعل .

وإذا كان ما تمت التوصية به في اجتماع اللجنة الوزارية المشتركة يعتبر خطوة إيجابية ، إلا أن ذلك لا ينفي أن فترة حكم الديمقراطية الثالثة قد شهدت من ناحية أخرى جوانب سالبة بالنسبة للأوضاع على الحدود الغربية للسودان . فلقد بلغ عدم الاستقرار السياسي في داخل تشاد ، في أواخر عقد الثمانينيات من القرن الماضي مبلغاً بعيداً . وامتدت آثار الحرب الأهلية والتدخلات الليبية في تلك الحرب إلى داخل الأراضي السودانية (٢٢). وقد انعكس كل ذلك في تواجد قوات معارضة للنظام الحاكم في تشاد مثل تلك التي كانت بقيادة {أدريس دبي} في إقليم دارفور . وقد استغل النظام الذي كان حاكماً في إنجمينا برئاسة حسين حبري في ذلك الوقت ، استغل تلك الأوضاع لتبرير دخول قوات من نظامه إلى منطقة {قايا} السودانية في١٩٨٨م بحجة ملاحقة القوات المعارضة. كما انعكس أيضاً في تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين التشاديين في مناطق مختلفة من إقليم دارفور . وقد ساهم كل ذلك في انتشار تجارة السلاح والتهريب والنهب المسلح فضلاً عن الظروف الطبيعية التي اجتاحت كل المنطقة من جفاف وتصحر . ويؤخذ على حكومة السودان علي عهد الديمقراطية الثالثة أنها كانت عاجزة عن مواجهة كل تلك المهددات التي شكلت تحدياً سافراً للأمن الوطني بل ولسيادة الدولة على أراضيها .

***

---

(٢٢) انظر :
بدأ تدهور العلاقات الليبية مع الأنظمة الحاكمة في أنجمينا منذ أن قطع تمبل باي علاقاته مع ليبيا في ١٩٧١م . ومن ثم تبنت ليبيا عدداً من القادة التشاديين المعارضين للحكم في أنجمينا . ولا شك أن النزاع الحدودي الليبي التشادي قد ساهم في تصعيد الصراع الليبي التشادي . وقد سكتت السلطات السودانية على مرور الدعم الليبي بأشكاله المختلفة عبر الأراضي السودانية خلال تلك المرحلة .

الباب الثالث عشر

الأوضـــاع علـــى الحـــدود المشتركة بعد الاستقلال بين السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى ١٩٦٠- ٢٠٠٣م ومدى أثرها على المركز القانوني للحدود

١ــ أفريقيا الوسطى تثير مسألة أم دافوق بعد عامين من استقلالها .

٢ــ دراسة سودانية لبناء سد بالقرب من منخفض أم دافوق .

٣ــ الهاجس الدائم لأفريقيا الوسطى هو الرعي الجائر والصيد غـــير المشـــروع عـــبر الحدود .

٤ــ اتفاق الطرفين على إعادة وضع علامات تخطيط الحدود دون تفعليها .

٥ــ الدولتان تحترمان الحدود الموروثة من الاستعمار .

ذكرنا سلفاً أن جمهورية أفريقيا الوسطى كانت جزءاً من مســتعمرة فرنســية هــي أفريقيا الاستوائية الفرنسية حتى ١٩٦٠ . وعندما دخلت مرحلة الاســتقلال الوطنــي فــي ١٩٦٠م ، مثل توأمتها تشاد ، سلمت بقبول الحدود التي رسمتها الدول الاستعمارية علـــى الورق وخططتها على الطبيعة . مؤدى ذلك الاعتراف بــبروتوكول العاشــر مــن ينــاير ١٩٢٤م باعتباره الوثيقة الحاكمة للحدود بين جمهورية أفريقيا الوسطى و السودان .

لقد برزت ، على أثر استقلال جمهورية أفريقيا الوســطى بوقــت ليــس بــالطويل مشكلة {أم دافوق} المزمنة على السطح مرة أخرى . فقد أرسلت وزارة خارجية أفريقيـــا

الوسطى ، بتاريخ السابع عشر من أكتوبر ١٩٦٢م ، مذكرة للسودان ، نوهت فيها بوجود بعض المشكلات التي تواجه السكان على جانبي الحدود بين البلدين وخاصة في منطقة أم دافوق ، واقترحت المذكرة عقد اجتماع في {بانقي} عاصمة جمهورية أفريقيا الوسطى لحسم هذه المشكلة المتجددة ، وكذلك الشروع في وضع تحديد دقيق للحدود الفاصلة بين البلدين . ولم تشكل مذكرة حكومة أفريقيا الوسطى مفاجأة بالنسبة للسلطات السودانية. فكما قرأنا سلفاً في الباب الثامن ، أن لجنة الحدود المشتركة **{لجنة بيرسون – جروسارد}** البريطانية الفرنسية التي كلفت بمسح وتخطيط الحدود وترسيمها خرائطياً في ١٩٢٢م ، قد اكتشفت خطأين بالنسبة لتعيين الحدود الوارد في إعلان ١٨٩٩م ومعاهدة ١٩١٩م ، في القطاع الجنوبي للحدود بين السودان وأفريقيا الإستوائية الفرنسية ، أي الحدود الحالية بين السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى الحالية . الخطأ الأول هو أن الإعلان والمعاهدة افترضتا أن خط تقسيم المياه بين حوضي النيل والكونغو يمتد شمالاً حتى يصل إلى خط عرض ١١ درجة شمالاً. والصحيح أن خط تقسيم المياه المذكور لا يذهب أبعد من خط عرض ٩ درجة و ٤٥ دقيقة شمال . والخطأ الثاني أن معاهدة ١٩١٩م افترضت أن التعايشة يقيمون إلى الشمال من خط عرض ١١ درجة والصحيح أن أغلبية هذه القبيلة تعيش إلى الجنوب من الخط المذكور. وأن هناك مشكلة أم دافوق المزمنة .

وكما قرأنا في الباب العاشر فقد اكتفى بروتوكول ١٩٢٤م ، بوصف الحدود في القطاع الجنوبي على أساس متابعته لخط تقسيم المياه بين حوضي النيل والكونغو وترسيمه على ضوء ذلك الوصف الجغرافي غير الدقيق خرائطياً . لذلك كانت إثارة الموضوع بالنسبة لمنخفض أم دافوق والدعوة لتوضيح الحدود على وجه الدقة بين البلدين في ذلك القطاع الحدودي أمراً مفهوماً في حد ذاته . لكن الشيء غير المناسب بالنسبة للسلطات السودانية هو إثارته في ذلك التوقيت . فقد كانت حكومة السودان مشغولة في بداية الستينيات بمشاكل أكثر أهمية من مشكلة **{أم دافوق}** حيث كانت الحرب الأهلية في جنوب السودان قد بلغت مبلغاً بعيداً . وكما أن الحال بالنسبة لحدود السودان الشرقية[1]، لم تشأ الحكومة فتح جبهة حدودية من الناحية الغربية. يضاف إلى ذلك أن معظم حدود

---

(١) بالرغم من علم السلطات السودانية بالتسلل الأثيوبي داخل الأراضي السودانية في أواخر عقد الخمسينيات من القرن الماضي إلا أن الحكومة لم تشأ فتح ملف مع أثيوبيا بشأن الحدود نتيجة لانشغالها بتدهور الأوضاع الأمنية في جنوب السودان في أوائل الستينيات .

السودان المشتركة مع أفريقيا الوسطى متاخمة لمديرية بحر الغزال . وبالتالي لم يكن أمام السودان غير الاعتذار عن قبول دعوة وزارة خارجية أفريقيا الوسطى لفتح ملف الحدود المشتركة معها في ذلك التوقيت . وبذا يمكن القول إن الحدود بين البلدين شهدت هدوءً نسبياً في السنوات الأولى لاستقلال البلدين .

لكن السياسة الخارجية التي تبنتها حكومة أكتوبر ١٩٦٤م ألقت بظلالها على علاقات السودان مع جمهورية أفريقيا الوسطى أيضاً . وسبق التنويه بالجهد الذي بذلته حكومة الديمقراطية الثانية لإصلاح وترميم علاقات السودان مع دول الجوار . في ذلك الإطار انعقد أول اجتماع للجنة الوزارية المشتركة بين السودان وأفريقيا الوسطى في يناير ١٩٦٧م ، في بانقي عاصمة أفريقيا الوسطى . وطبقاً للبيان المشترك فقد ناقشت اللجنة عدة مسائل مع التركيز بصفة أساسية على مسألة اللاجئين السودانيين في أفريقيا الوسطى. واللافت أن ذلك الاجتماع لم يتطرق لأية مسألة تتعلق بالوضع القانوني على الحدود [٢]. وانعقد الاجتماع الثاني للجنة الوزارية المشتركة في فبراير ١٩٨٢م في الخرطوم على عهد حكم مايو ، وركز البيان المشترك الصادر عن ذلك الاجتماع على تعزيز الأمن على الحدود والتعاون لإيقاف {النشاطات الهدامة} مثل الصيد غير المشروع والتهريب وتجارة الأسلحة غير المرخصة .... وقد وقع الجانبان اتفاقية لمحاربة الصيد غير المشروع والمحافظة على الحياة البرية إيماناً منهما بأهمية تلك الثروات القومية وضرورة التصدي للأخطار التي تهددها . ومرة أخرى لم تتطرق اللجنة للمركز القانوني للحدود مما يعني بالضرورة تسليم الجانبين بالوضع الراهن الناشئ عن بروتوكول يناير ١٩٢٤م [٣]. ويمكن القول بأن العلاقات بين السودان وأفريقيا الوسطى ، على عهد حكومة مايو ١٩٦٩م ، شهدت استقراراً وتعاوناً وتفاهماً كبيراً . وقد انعكس كل ذلك إيجاباً على الوضع القانوني للحدود ، كما انعكس إيجاباً على كيفية تسوية ما قد ينشأ من خلاف يتعلق بالوضع القانوني للحدود . يثبت ذلك من الطريقة التي عالج بها وزير خارجية أفريقيا الوسطى مع سفير السودان في بانقي موضوعاً هاماً مثل منخفض المياه في {أم دافوق}.

---

(٢) لقد ناقشت اللجنة بالإضافة إلى موضوع اللاجئين السودانيين العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ومسائل أخرى كفتح طرق وفتح خط جوي بين البلدين وإنشاء اتصالات لاسلكية بينهما .

(٣) البيان المشترك الصادر عقب اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة بين السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى في يناير ١٩٨٢م .

فقد برزت المشكلة للسطح مرة أخرى عندما استدعى الوزير الأفروسطي سفير السودان في يونيو ١٩٨٤م ، وأبلغه انزعاج حكومته من قيام السلطات السودانية في دارفور بعمليات حفر في مجاري المياه وفيما أسماه الوزير {ببحيرة الوادي} الأمر الذي أدى لحجب تدفق المياه في {منخفض أم دافوق} الذي يستغله السكان على جانبي الحدود . وتساءل الوزير الأفروسطي عما إذا كان لدى السفير علم بما يجري في منطقة أم دافوق. وقد نفى السفير السوداني أي علم له بذلك ، وشرح للوزير مضمون كلمة {واد} في المفهوم السوداني باعتبارها تعريفاً جغرافياً عاماً لمنطقة واسعة ليست اسماً لمنطقة . وكما أكد السفير في مذكرة إلى وزارة الخارجية أن الاجتماع كان ودياً [٤] .

بالرغم من أن الموضوع الذي أثاره وزير خارجية أفريقيا الوسطى لم يشكل مشكلة بين البلدين إلا أن سفارة السودان في بانقي ووزارة الخارجية أضفتا اهتماماً بالموضوع مع الجهات المختصة داخل السودان . وقد تبين بالفعل وجود دراسة قامت بها إدارة المياه الريفية بجنوب دارفور هدفت لإنشاء خزان بالقرب من منخفض {أم دافوق} الذي يقع داخل الأراضي السودانية . وطبقاً لتلك الدراسة فإن وادي {أم دافوق} يوفر حوالي {٨٠} مليون متر مكعب في موسم الأمطار . ويهدف الخزان أو السد المقترح إلى نشر المياه بحيث تمتلئ المستنقعات الكبيرة والمنخفضات على مساحة شاسعة. وبالتالي يتسنى توفير المياه لقبائل البقارة مما يغنيها عن عبور الحدود والدخول في أراضي أفريقيا الوسطى بحثاً عن الماء والكلأ . علماً بأن تلك القبائل تدفع ضرائب عالية لسلطات أفريقيا الوسطى كما أن الرعاة السودانيين كثيراً ما تعرضوا لمعاملة قاسية وصلت إلى حوادث القتل . ويرمي المشروع أيضاً لتأمين الثروة القومية من الأمراض والأوبئة الحيوانية . خلاصة القول أن المشروع يستهدف توفير المياه في موسم الصيف كبداية لتوطين العرب الرحل . وهو يأتي في مجمله في إطار مشروع أكبر للتنمية الريفية تسعى الحكومة في ذلك الوقت لإنشائه [٥] .

---

(٤) ملفات وزارة الخارجية (الإدارية الأفريقية /ملف رقم : وخ/ أفريقي/١٢/٣/٣(الحدود بين السودان وأفريقيا الوسطى).

(٥) نفس المصدر السابق .

وقبيل سقوط حكومة مايو بشهور ثلاثة في أبريل ١٩٨٥م ، عقدت اللجنة الوزارية المشتركة اجتماعها الثالث في يناير ١٩٨٥م في بانقي . وطبقاً للبيان المشترك ومحضر الاجتماع ناقشت اللجنة عدة موضوعات من بينها الأمور المتعلقة بأمن الحدود. وقد طرح الجانب السوداني موضوع وضع علامات ثابتة على الحدود ، إلا أن الجانب الأفرووسطي أكد عدم وجود خلاف على الحدود ، وبالتالي لم ير مبرراً لإثارة ذلك الموضوع . وانتهى الأمر عند ذلك الحد . ولعل من اللافت أن الجانب الأفرووسطى لم يتطرق لموضوع قيام السلطات السودانية في دارفور بعمليات حفر في مجاري المياه الذي سبق أن أثاره وزير خارجية أفريقيا الوسطى مع السفير السوداني في يونيو ١٩٨٤م [٦].

وعلى عهد ما عرف في السودان بالديمقراطية الثالثة قصيرة العمر {١٩٨٦ - ١٩٨٩م} عقدت اللجنة الوزارية المشتركة اجتماعها الرابع في فبراير ١٩٨٦م في الخرطوم . وطبقاً للبيان المشترك ومحضر الاجتماعات ناقشت اللجنة العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك . ويلاحظ أن الجانب السوداني اقترح تكوين لجنة حدود مشتركة تكون مهمتها الاتفاق على {وصف الحدود} بين البلدين على ضوء المعاهدات والاتفاقيات السابقة . وكان رد الجانب الأفرووسطي كما سبق هو أن الإطار القانوني الخاص بوصف الحدود لم يكن مثار خلاف بين البلدين [٧]. وانتهى الأمر عند ذلك الحد . غير أننا نأخذ على الجانب السوداني طرح ذلك الاقتراح بتلك الصيغة . ذلك أن الحدود بين البلدين معينة وموصوفة وليست بحاجة إلى وصف . وبالتالي فإن المطلوب هو وضع معالم ثابتة على امتداد وصف الحدود القائم أصلاً على الجغرافية الطبيعية . أي إعادة تحديد نقاط إشعار ثابتة ووضع علامات على امتداد خط تقسيم المياه بين حوضي النيل والكونغو حتى الملتقى الثلاثي للحدود بين السودان وتشاد وأفريقيا الوسطى .

يلاحظ أنه بعد انقطاع طويل عقدت اللجنة الوزارية المشتركة أول اجتماع لها في عهد ما عرف بـ {حكم الإنقاذ} في السادس والعشرين من مارس ١٩٩١م في الخرطوم.

---

(٦) البيان المشترك الصادر عقب اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة بين السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى الصادر في الثالث من يناير ١٩٨٥م في بانقي.

(٧) البيان المشترك الصادر عقب اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة بين السودان وأفريقيا الوسطى الصادر في الرابع من فبراير ١٩٨٦م في الخرطوم.

لقد ناقشت اللجنة ، طبقاً لمحضر الاجتماع ، العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك مثل الأمن على الحدود والتعاون الاقتصادي والفني والثقافي والاجتماعي . وقد ركز الجانب الأفروۆوسطي على أعمال النهب والتسلل عبر أراضيه وعلى موضوعي الصيد غير المشروع والرعي الجائر . أما الجانب السوداني فقد كان مهتماً بموضوع توضيح الحدود المشتركة بين البلدين . وعلى ضوء ذلك اتفق الجانبان على تنظيم دخول وخروج مواطني البلدين ، بمقتضى أوراق ثبوتية ، وعلى تكوين لجنة فنية مشتركة لمكافحة الصيد غير المشروع على أن تجتمع اللجنة في النصف الأول من مايو ١٩٩١م في {بيرواي} في جمهورية أفريقيا الوسطى . والتزم الجانب الأفروۆوسطي بإرسال مشروع لاتفاق بشأن معالجة مشكلة الرعي الجائر الذي تقوم به قبائل سودانية داخل أراضي أفريقيا الوسطى . **كما تم الاتفاق على أهمية توضيح الحدود على الأرض وفقاً لبروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م وعلى تكوين لجنة مختصة بتوضيح علامات ومعالم الحدود** [٨].

في تلك الأثناء عقدت اللجنة الفنية المشتركة الخاصة بأمن الحدود التي اتفق عليها في اجتماع ١٩٨٦م اجتماعاً في يناير ١٩٩٢م في بانقي . وبغرض مواجهة مسألة التهريب والصيد غير المشروع وهي الشكوى الأفروۆوسطية الثابتة ، اقترح الجانب السوداني قيام أطواف مشتركة على امتداد الحدود التي بين البلدين مع تزويدها بما تحتاج إليه الأطواف من أجهزة وآليات . لكن الجانب الأفروۆوسطي لم يوافق على ذلك الاقتراح.

وشهد عام ١٩٩٤م انعقاد الاجتماع الثاني للجنة الوزارية المشتركة على عهد الإنقاذ في {بيراوي} في جمهورية أفريقيا الوسطى. وقد أمن الجانبان على ضرورة إعادة وضع معالم الحدود وفقاً لبروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م . وفي سبيل تحقيق ذلك عقدت لجنة خبراء الأمن والحدود التي اتفق عليها في اجتماع ١٩٩١م ، اجتماعاً في يونيو ١٩٩٥م في نيالا في السودان . وقد تمخض الاجتماع عن تكوين قوات مراقبة مشتركة متحركة على طول الحدود لمحاربة ظاهرة الصيد غير المشروع الذي يشكل هاجساً دائماً لحكومة أفريقيا الوسطى . بيد أنه ليس في الوثائق ما يشير إلى تنفيذ تكوين

---

(٨) البيان المشترك الصادر عقب اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة في التاسع والعشرين من مارس ١٩٩١م في الخرطوم.

تلك القوة . ويلاحظ أن الجانب السوداني أثار بالمقابل مسألة التعاون في مجـــال مكافحــة التهريب وخاصة الصنمغ العربي إلى داخل الأراضي الأفرووسطية . أما بالنسبة للحـــدود فقد أوصت اللجنة إعطاء الأسبقية في {الترسيم} للجزء الشمالي الذي يبدأ من منطقة {يارا} مروراً بمنخفض أم دافوق وحتى الملتقى الثلاثي مع تشاد . وبالرغم من أن اللجنة قــررت الاجتماع مرة ثانية في أغسطس ١٩٩٥م في بانقي ، وعلى أن تبدأ عملية إعادة التخطيــط في ديسمبر ١٩٩٥م ، إلا أن كل ذلك لم يحدث بسبب اعتذار الجانب الأفرووسطي [٩].

لقد شهدت بانقي في الأول من فبراير ١٩٩٦م اجتماع قمة ثلاثيـــاً ضــم رؤســاء السودان وأفريقيا الوسطى وتشاد . وبالرغم من الطابع السياسي الواضح لذلك اللقــاء إلا أن المسائل المتعلقة بالأوضاع على الحدود المشتركة بين دولهم لم تكن غائبة . ولعـــل أبلــغ دليل على ذلك أن وزير الداخلية السوداني بادر على أثر اجتماع القمــة بدعــوة الــوزراء المسئولين عن الأمن والحدود في أفريقيا الوسطى للاجتماع في السودان في الثـــالث مــن مارس ١٩٩٦م أي بعد وقت قصير جداً من لقاء الرؤساء الثلاثـــة فــي بــانقي . وطبقــاً لمحضر اللجنة الخاصة بمسائل الأمن والحدود بين جمهورية السودان وجمهورية أفريقيـــا الوسطى ، المنبثقة عن اجتماع الوزراء ، فقد تم الاتفاق على اعتماد اتفاق نيـــالا وتقريــر اللجنة الفنية السودانية الأفرووسطية بشأن مسائل الحدود بالإضافة إلى توجيهات اجتمــــاع القمة الثلاثية وثائق أساسية . وتأسيساً على ذلك تم الاتفاق على مكافحة التهريب والنــهب المسلح وتنظيم حركة الأفراد والممتلكات والشاحنات **بالإضافة إلى إعادة وضع العلامـــات الحدودية** . بيد أنه ليس هناك ما يثبت أن ما تم الاتفاق عليه قد وضع موضع التنفيذ منـــذ آخر اجتماع عقد في الخرطوم للجنة الوزارية المشتركة في ١٩٩٦م . ولعل ذلـــك يعــود لعدم الاستقرار السياسي والأمني في داخل جمهورية أفريقيا الوسطى . ويبدو أن حراكاً قــد أصاب العلاقات السودانية والأفرووســطية مؤخــراً . فقــد زار الرئيــس الأفرووســطي الخرطوم في منتصف ديسمبر ٢٠٠٣م . ومن المتوقع أن يلقي هذا الحراك السياسي علـــى مستوى القمة بظلاله على موضوع إعادة تجديد معالم ووضع علامات الحدود المحكومــــة في جزئها الأكبر بوصف جغرافي هو خط تقسيم المياه بين حوضي النيل والكونغو.

***

(٩) محضر اجتماع الخبراء السودانيين والأفرووسطيين في مجالي الأمن وترسيم الحدود ، نيــالا ، ٢٧-٢٩ يونيو ١٩٩٥.

الباب الرابع عشر

تخطيط الحدود الدولية
في القانون والتطبيق

١ـ التفرقة والتمييز بين تعيين الحدود وتخطيط الحدود .

٢ـ واجبات المخططين وسلطات وأساليب لجان التخطيط .

٣ـ عملية التخطيط تكشف عناصر الضعف في اتفاقيات تعيين الحدود .

٤ـ عدم حماس الدول الأفريقية للولوج في عملية تخطيط الحدود بسبب ما تنطوي عليه من نفقات وتعقيدات .

٥ـ الفرق بين تخطيط الحدود وإعادة وضع علامات تخطيط الحدود وعملية تكثيف الحدود.

لما كانت حدود السودان الغربية وبصفة خاصة حدوده مع تشاد ، هي الحدود الوحيدة التي سبق أن خططت على الطبيعة [(١)] على عهد الاستعمار ثم تمت إعادة وضع علامات تخطيطها ، بعد الاستقلال ، فإن من الضروري قبل النظر فيما تم بشأنها مؤخراً الوقوف أولاً عند مفهوم {تخطيط} الحدود في القانون .

---

(١) لقد سادت في السنوات الأخيرة ترجمة كلمة Demarcation بـ (ترسيم) وهي ترجمة غير صحيحة . فكلمة ترسيم تطابقها في اللغة الإنجليزية كلمة Drawing . والترسيم يكون عادة في الورق وبالنسبة للحدود يكون بالخرائط . أما إذا كان المطلوب أن يتم نقل الحدود المرسومة في الورق إلى سطح الأرض فإن الذي يتم هو (تخطيطها) أي تعليمها بعلامات محسوسة وبارزة للاستهداء بها .

كان الوضع السائد في القرن التاسع عشر وحتى الثلث الأول من القرن العشرين هو عدم التفرقة أو التمييز بين مصطلح {تعيين} Delimitation الحدود ومصطلح {تخطيط} Demarcation الحدود . والعديد من المعاهدات التي أبرمت والمراسلات الدبلوماسية التي تبودلت في ذلك الزمان جرت على استعمال المصطلحين باعتبار أنهما مترادفان يؤديان لذات المعنى .

على سبيل المثال ، تعهدت بريطانيا وفرنسا ، بموجب المادة الرابعة من إعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م بشأن مناطق نفوذهما في السودان وأفريقيا الوسطى، بتكوين لجنة مشتركة للقيام بـ **{تعيين الخط الحدودي في موضعه طبقاً للموجهات المذكورة في المادة الثالثة من هذا الإعلان . وعلى المفوضين رفع حصيلة عملهم للموافقة عليها من قبل الحكومتين }** (٢) .

فإذا أدركنا أن {تعيين} الحدود المعنية قد تم سلفاً بموجب المادتين الثانية والثالثة من الإعلان المشار إليه ، وأن المطلوب من اللجنة المشتركة هو **{تعيين الخط الحدودي في موضعه}** To be fix on the spot ، فإن مؤدى ذلك منطقياً أنه لم يعد للجنة من مهمة أخرى تقوم بتأديتها غير ترجمة ما تم الاتفاق عليه من وصف للحدود بموجب المادتين الثانية والثالثة ، وتنفيذ ما هو منصوص عليه بتخطيطه على الأرض . وتأسيساً على ذلك ذهبنا في الباب الأول إلى أن استعمال كلمة {تعيين} في المادة الرابعة تنطوي على أن المقصود منها هو {تخطيط} الحدود أو على الأقل {تحديدها} على الطبيعة .

لقد كان أول من لفت النظر للتفرقة بين دلالة كلمة {تعيين} من ناحية وكلمة {تخطيط} من ناحية أخرى ، هو الكولونيل هنري ماكماهون Mac-Mahon خلال محاضرة قدمها في المعهد الملكي البريطاني في نهاية القرن التاسع عشر (٣) . وجاء بعده اللورد {كيرزون} Curzon بعد عشر سنوات {١٩٠٧} ليذكر المهتمين بأمور الحدود في محاضرة له بما نوه به الكولونيل ماكماهون . فقد أكد كيرزون أن الممثلين الدبلوماسيين والوثائق والمراسلات جرت على الخلط بين معنى الكلمتين باستعمالهما وكأنهما قابلتان للتبادل

---

(٢) انظر: Hertslet, The Map of Africa By Treaty, Third edition, Vol.3, London,p.785.

(٣) للاطلاع على أصل المحاضرة راجع : محاضرة وقائع المعهد الملكي البريطاني ، المجلد الرابع والعشرون ، لسنة ١٩٨٦م ، الصفحة ٢٢٤.

بحيث يمكن وضع إحداهما مكانة الأخرى . وكما قال {إن الأمر ليس كذلك . إن **التعيين يدل ويشير إلى كل العمليات المبكرة لتحديد حدود وإلى أن يتم تجسيدها في معاهدة أو اتفاقية . ولكن عندما ينصرف المفوضون المحليون للعمل ، فإن الموضوع ليس تعييناً بل هو انهماك في تخطيط}** (٤).

وبعد عشر سنوات لاحقة رأى **{فاوسيت}** Fawcett في ١٩١٨م **{إن ثمة اتفاقاً عاماً قد تبدى وهو أن التعيين هو عملية تعريف حدود في خريطة وأدوات قانونية. أما التخطيط فهو عملية تعليم الحدود على الأرض}** (٥) .

وعندما لاحظ **{السير}** هنري ماكماهون أن الخطأ مازال شائعاً في العديد من الاتفاقيات والمراسلات الدبلوماسية نشر مقالاً بعنوان **{الحدود الدولية}** في مجلة الجمعية الأفريقية الملكية عام ١٩٣٥م ، ورد فيه من بين أمور أخرى : **{لقد أخذت كلمة** Delimitation **لتشمل تحديد الحدود بواسطة معاهدة أو أي أداة قانونية مشابهة بالإضافة إلى تعريفها كتابة أو شفاهة . وأخذت كلمة** Demarcation **لتشمل الوضع الفعلي لتخطيط الحدود على الأرض وتعريف ذلك بواسطة أعمدة أو أية وسائل محسوسة أخرى }** (٦) .

لقد عرف قاموس القانون الإنجليزي **{الحدود}**Boundary بأنها{الخط الوهمي الذي يقسم قطعتين من الأرض واحدة من الأخرى} . واكتفى قاموس أوكسفورد الموجز بتعريفها بأنها **{خط الحد الأقصى}** . وعرفتها الموسوعة البريطانية بأنها **{أي شيء محسوس يؤدي إلى توضيح الحد الأقصى أو لتوضيح التخوم }** وأما الفصة {اوبيناهايم} Oppenheim فقد قال: {إن حدود إقليم الدولة..هي خط وهمي على سطح الأرض يفصل بين إقليم دولة ودولة أخرى ....} (٧) . لكن من المهم التذكير بأن تعيين هذا الخط وحده في الورق لا يحقق في كل الحالات عنصري الاستقرار والنهائية Stability and Finality

---

(٤) انظر: Curzon of Kedleston (lord). Frontier, The Romance Lecture, Oxford, 1907,p.51

(٥) انظر: Fawcett,C.B, Frontier. A Study in Political Geography, Oxford, 1918,p.6.

(٦) انظر:

MCMahon,A.(International Boundaries) The Journal of the Royal African Society , Vol.84(1935) p.4

(٧) انظر: Oppenheim. L.International Law. Vol.1.8th ed.London, 1955,p.530

اللذين ينبغي أن يكونا الهدف الأساسي من الحدود الدولية (٨) . وبالتالي فقد أضحى من الضروري تثبيت موضع الخط بتعريف أكثر على الأرض بحيث يكون مكملاً للتعريف المكتوب في الورق . وبهذا المعنى يمكن أن يقال بأن خط الحدود قد تم **{تخطيطه}** Demarcated .

إن تخطيط الحدود وطبقاً للموسوعة البريطانية تخطيط الحدود هو **{عملية تطبيق تعريف الحدود الموثق على سطح الأرض}** . مؤدى هذا أن يتطابق العمل الميداني كقاعدة عامة ، مع بنود التعريف الوثائقي . وإذا كان تعيين الحدود هو عمل دبلوماسي قانوني سياسي ، فإن تخطيط الحدود هو عمل ميداني صرف فهو ينطوي على القيام بعملية ذات طابع فني تتطلب فريقاً من مهندسي المساحة والإداريين والمسؤولين المحليين بحيث يشكلون لجنة حدود مشتركة من الأطراف المتعاقدة ، وإن كان من الجائز أن تتكون اللجنة من أعضاء محايدين يقوم الجانبان بتعيينهم لأداء تلك المهمة (٩). وتنص اتفاقية تعيين الحدود في أغلب الأحيان على تكوين لجنة لتخطيط الحدود بما في ذلك **سلطاتها ومرجعياتها** (١٠) . وقد تمنح اللجنة في أحوال معينة سلطات تقديرية discretionary powers تجيز لها أن تنحرف عن أحكام اتفاقية الحدود إذا كان من شأن الظروف المحلية ومصلحة الطرفين أن تجعل من الانحراف عن التعيين أمراً مرغوباً ومطلوباً (١١) . لكن القاعدة العامة تظل هي أن يلتزم المخططون بأحكام اتفاقية التحكيم إلا إذا منحوا سلطات تقديرية صراحة أو ضمناً .

---

(٨) راجع في هذا الخصوص قضية النزاع على الحدود بين كمبوديا وتايلاند التي فصلت فيها محكمة العدل الدولية في ١٩٦١وهي من السوابق القضائية الهامة في منازعات الحدود وقد اشتهرت بقضية المعبد أو قضية معبد برية فايهير .

Case Concerning the Temple of Preah Vihear, Merits, International Court of Justice Reports, 1962,p.6.

(٩) في حالة تخطيط الحدود بين الكويت والعراق وتخطيط الحدود بين إريتريا وأثيوبيا تولت الأمم المتحدة هذه المهمة بقرارات صادرة من مجلس الأمن . ولا شك أن الحربين اللتين إشتعلتا بين تلك الدول بسبب الحدود في ١٩٩٠م – ٢٠٠٠ على التوالي هي التي فرضت ذلك الإجراء الاستثنائي.

(١٠) انظر: Jones, S.B, Boundary- Making Columbia, 1945, p. 190.

(١١) لقد تضمنت اتفاقية ١٨٩٠م بين بريطانيا العظمى وألمانيا بشأن الحدود بين بحيرة نيازا وتانجانيقا نصاً لتصحيح الحدود وطبقاً للمتطلبات المحلية انظر: Hertslet, op.cit.p.899.

وإذا كان على المخططين الالتزام بأحكام اتفاقية تعيين الحدود ، فـــإن عليـــهم أولا مراعاة مطابقة وملاءمة خط الحدود بقدر ما يكون ممكناً مع تشكيل الأرض . كما يجـــب عليهم ثانياً تحديد المواقع الصحيحة للأعمدة وعلامات الحـــدود الاصطناعيـــة الأخـــرى. ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة إذا كانت ثمة معالم أخرى في وضع متقـــاطع أو عـــابر للحدود . وأما الواجب الثالث الذي ينبغي على المخططين القيام به عنـــد اكتمـــال عمـــل التخطيط فهو إعداد وصف عام تفصيلي لخط الحدود وللظروف الطويغرافية لكل علامـــات الحدود ونقاط الإرشاد . ويشمل ذلك وصف نوعياتها وأشكالها وأبعادها وألوانها . وتقـــوم لجنة تخطيط الحدود بتضمين الوصف التفصيلي في محضر أو بروتوكـــول كمـــا جـــرت العادة (١٢). ويكتسب هذا المحضر أو البروتوكول أهمية بالغة إذ من شأنه طـــرح صـــورة دقيقة وواقعية للحدود المعنية . كما أن هذا الوصف يحول دون ضياع المعلومـــات التـــي تكتسب أهمية بالغة بالنسبة لأي مساحين أو لجان يناط بها مهمـــة صيانـــة أو إصـــلاح أو إعادة تجديد العلامات الحدودية . وغني عن التذكير بأن تلك المعلومات لازمة ومســـاعدة لأي عمل من أعمال المسح أو الجيوديسيا .

وتختلف طرق ووسائل تنفيذ تخطيط الحدود على ضوء طبيعة الأقليم الذي يتم فيـــه التخطيط والوسائل المتاحة للمخططين . فقد يكون المطلوب منهم على سبيل المثال تثبيـــت الحدود الموصوفة في المعاهدة بطريقة التثليث Triangulation كلما كان ذلك ممكنـــاً . وإذا كانت هذه الطريقة غير عملية لأسباب تتعلق بطبيعة المنطقة أو لاعتبارات تتعلق بـــالزمن والنفقات ، فقد تتم إقامة الحدود على أساس مناطق سيطرة مثبتـــة فلكيـــاً علـــى مســـافات معقولة . وفي كل الأحوال من المهم أن تتفق اللجنة المشتركة المكلفـــة بمهمـــة التخطيـــط بادئ ذي بدء على موضع نقطة الانطلاق في التخطيط ، ذلك أن بقية تخطيط الحدود إنمـــا يتم بالارتكاز عليها . **{والمطلوب هو الموضع الإحداثي المشترك الدقيق في خط العـــرض وخط الطول لنقطة ما على سطح الأرض تكون مشتركة بالنسبة للبلدين المعنيـــن ، وأن**

---

(١٢)نسبة لأن وصف تخطيط الحدود بين السودان وأفريقيا الاستوائية الفرنسية في ١٩٢٤م قد ضمن في بروتوكول وهو بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م البريطاني الفرنسيK فقد تم تضمين وصـــف إعادة وضع علامات تخطيط الحدود بين السودان وتشاد الذي أنجز في ١٩٩٥م قد تم تضمينه فـــي (محضر) .

يكون المدلول الدقيق للإحداثي المشترك قد تم تحديده على نحو علمي من قبل الطرفين بحيث يكون الاتفاق المترتب مقنعاً} [13].

لا شك أن عملية تخطيط الحدود تنطوي في كثير من الأحيان على مسائل حيوية وأساسية تتطلب الحسم السريع ، وقد تقتضي في بعض الحالات تأجيل التخطيط في بعض المواقع حتى يتم حسم الأمر بواسطة الطرفين المتعاقدين . ذلك أنه في هذه العملية تظهر النزاعات عادة ، ويتم اكتشاف عناصر الضعف في معاهدات واتفاقيات تعيين الحدود . بجلاء كامل . فقد توجد معالم هامة في مواضع غير متوقعة ، كما قد تبرز على نحو غير متوقع مئات النقاط ذات الأهمية المحلية والتي لم تؤخذ في الاعتبار خلال التعيين . وعلى سبيل المثال لقد عرّفت اتفاقية ١٨٩٤م بين بريطانيا العظمى والملك ليوبولد ملك دولة الكونغو المستقلة ، الحدود بين الكونغو البلجيكي وروديسيا الشمالية بأنها { **منتصف مجرى نهر لوبولا إلى أن يصل إلى منبعه من بحيرة بانجولو}** [14]. لقد وجدت لجنة الحدود المشتركة التي تم تعيينها في ١٩٢٧م لتخطيط خط الحدود على الطبيعة {**أن نهر لوبولا لا ينساب من بحيرة بانجولو على الإطلاق بل هو مماثل لنهر زمبيزي الذي ينبع من منطقة مجاورة لنهر أبيركون ويأخذ اسم لوبولا بعد أن يعبر المستنقعات جنوبي بحيرة بانجولو** } [15] . وتأسيسا على ما اكتشفته لجنة **تخطيط الحدود تم وصف ذلك القطاع في بروتوكول ملحق بمذكرات متبادلة في الرابع من أبريل والثالث من مايو ١٩٢٧م . وطبقاً للمادة الثانية من البروتوكول لقد تم الاتفاق بالنسبة لذلك القطاع على حقيقة أن نهر لوبولا لا ينبع من بحيرة بانجولو حيث إن اتجاهه قد تغير تغيراً حاداً بواسطة ذروة جبل مابانتا جنوبي البحيرة}**. وعلى ضوء ذلك تم تصحيح خط الحدود بحيث يتابع {**منتصف نهر لوبولا حتى مصبه في بحيرة مويرو}** .

إن مثل هذه المفارقات ليست قليلة في القارة الأفريقية ، فالحدود أو بالأحرى مناطق النفوذ التي تم تقسيمها أو توزيعها بين القوى العظمى بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤-

---

(١٣) انظر: Holdich, Politicial Frontiers and Boundary Making,, London, 1916,p. 220.

(١٤) انظر: Hertslet, op.cit..p.578.

(١٥) انظر: Boggs.S.W, Intenational Boundaries, A Study of Boundary Functions and Problems, New Yourk, 1940,p.

١٨٨٥م ، قد رسمت في الورق على ضوء جغرافيا افتراضية أو جغرافيا غـــير دقيقــة . فالخرائط التي أعدتها قلة من المكتشفين الذين تسنى لهم زيارة داخل أفريقيا ، أعد بعضـــهم خرائط غير صحيحة أو غير دقيقة لعدم توافر الآليـــات والمعـدات الدقيقـة والظـروف الطبيعية غير المواتية . ويضاف إلى ذلك أن البعض من المكتشفين لم يكن متــأكداً حتـى عن الذي زعم اكتشافه [١٦] ، فلقد تدافعت القوى الأوربية لتحديد مناطق نفوذ لها في قـارة كانت بالنسبة لها لا تعني أكثر من {القارة الداكنة} ! وهل هناك أبلغ من شهادة أحد دهاقنـة الاستعمار الأوربي للقارة الأفريقية ، وهو اللورد {ساليسبوري} Salisbury رئيس الـوزراء ووزير خارجية بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر . لقد صرح بذلـك اللـورد عقـب إبرام المعاهدة الإنجليزية الفرنسية في ١٨٩٠ التي وضعـت الأسـاس للحـدود الدوليـة المعاصرة بين دول نيجريا وداهومي والنيجر وتشـاد، وهو يقف أمـام قصـر الرئاسـة بقوله: **{لقد كنا منشغلين في رسم خطوط على خرائط لأماكن لم تطأها قدم رجـل أبيـض ألبتة . كنا نهب جبالاً وأنهاراً وبحيرات لبعضنا الآخر . ولم يكن ثمة عائق صغير يمنعنا من ذلك لأننا لم نكن نعلم إطلاقاً أين هي تلك الجبال والأنهار والبحيرات بالضبط }** [١٧].

يتبدى مما سبق شرحه أن عملية تخطيط الحـدود عمليـة بالغـة التعقيـد باهظـة التكاليف، وقد تكون سبباً لإثارة عدم الاستقرار أثناء تفعيلها . ولربما لتفادي كل هذا لم تبـد الكثير من الدول في أفريقيا حماساً للدخول في عملية تخطيط حدودهـا ، واتجـهت نحـو التركيز على ترسيخ مفهوم الاعتراف بالأمر الواقع Status Quo واحترامه أي الاكتفاء بـأن حدودها معينة . بدأ هذا التوجه بقبول الحدود الموروثة من عهد الاستعمار . وكمـا قـال رئيس وزراء ملاقاسي في مؤتمر القمة التأسيسي لمنظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابـا في ١٩٦٣م **{لم يعد ممكناً بل وليس مرغوباً أن نعدل حدود أمم بحجية قاعدة عنصريـة أو دينية أو لغوية . وللحقيقة أنه إذا اعتمدنا العنصر أو الدين أو اللغة قـاعدة لوضـع حدودنا فإن عدداً من الدول الحاضرة ستختفي من الخريطة }** [١٨]. وقد أدت تلك النظـرة

---

(١٦) لقد طعن المكتشف (بيرتون) في نظرية (اسبيك) المتعلقة باكتشاف مصدر النيل ، انظر:

Perham and Simons, African Discovery, 1954,p. 57

(١٧) انظر: Mac Michael, H., The Sudan, London, 1954,p. 67.

(١٨) انظر:

Proceeding of the Summit Conference of Independent Africa States, May, 1963,Vol (1) Section (2) CIAS/GEN/INF.

الواقعية نحو القبول بالحدود التي استقلت الدول داخل أطرهـــا [١٩] إلـــى صـــدور قـــرار المنظمة المشهور ، بشأن الحدود في القاهرة عام ١٩٦٤م ، فقـــد قطـــع رؤســـاء الـــدول والحكومات الأفريقية بموجب ذلك القرار عهداً نيابة عن دولهم باحترام الحدود القائمة عنـــد تحقيق استقلالها الوطني .

والأصل أن يتولى الطرفان المعنيان بالتخطيط تحمل نفقات التخطيط . حيث يتولـــى كل طرف نفقاته بأن يوفر لجانبه في اللجنة المشتركة عادة المعـــدات والآليـــات والمـــواد الضرورية واللازمة للقيام بالخدمات الطويغرافية والفلكية والتي لا غنى عنها لتنفيذ اللجنـــة لمهمتها . أما بالنسبة للقيمة الكلية للمنصرفات مثل العمل والمواد ووسائل النقـــل والمـــؤن التي يقتضيها بناء نقاط الإرشاد للحدود والعلامات ، فإن العـــادة جـــرت علـــى أن يقـــوم الطرفان باقتسامها ، مع العلم بأن كل طرف يتحمل بداهة مرتبات وأجور ونفقات المعيشـــة لموظفيه وعماله وحراسه . في إيجاز تتحمل كل دولة نفقاتها ونصف تكلفة العمـــل العـــام للتخطيط [٢٠] .

ويمكن القول أنه حتى بالنسبة لبعض الدول التي حدثت منازعات بينها بسبب عـــدم تخطيط الحدود المشتركة ، لم تتجه مباشرة لخيار الولوج في عملية تخطيط تلك الحـــدود ، بل لجأت إلى تدبير آخر لا يرقى إلى مرتبة تخطيط كل الحدود . فقد اكتفت بالاتفاق علـــى إرسال فريق مشترك من المساحين يقوم بتوضيح الحدود على الطبيعة طبقاً لأداة التعييـــن في المكان المتنازع عليه ، أي القيام بعملية تخطيط محدودة . وقد مارس الســـودان هـــذا التدبير مع تشاد بعد استقلال الدولتين عام ١٩٥٦م – ١٩٦١م على التوالي . فقـــد اتفقـــت الدولتان على تكليف فرقة مساحين من الجانبين لتقوم بإعادة توضيح الحدود فـــي منطقـــة **{إتياتا}** ومنطقة **{أنديبوكا}** على أثر نزاع بين القبائل على جانبي خط الحدود .

وثمة مسألة أخيرة لابد من النظر إليها على ضوء ما تـــم مؤخـــراً علـــى الحـــدود المشتركة بين السودان وتشـــاد . وهـــي التفـــرقة والتمييـــز بيـــن مفهـــوم **{تخطيـــط الحدود}** Demarcation من ناحيـــة ومفهـــوم **{إعـــادة وضـــع عـــــــلامات تخطـــيط**

(١٩) وطبقاً لرئيس جمهورية مـــالي (يجب علينا أن نأخذ أفريقيا كما هي . وعلينا أن نتخلى عـــن أي مطالب أو ادعاءات . إن الوحدة الأفريقية تتطلب من كل دولة منا الاحترام الكامل للتراث الذي حصلنا عليه من النظام الاستعماري وأعنى بذلك المحافظة على الحدود القائمة الآن بين دولنا).

(٢٠) انظر : Jones, op.cit., p. 24

الحدود{Re-demarcation من ناحية أخرى . فالأول كما عرفنا يعني ترجمة تعيين الحدود من الورق في الأرض . أما وضع علامات إعادة التخطيط فيقصد به تجديد التخطيط السابق. فكما هو معلوم فإن وسيلة التخطيط هي تحديد نقاط إرشاد أو وضع علامات محسوسة بناءً أو تشيداً ، وهذا هو الغالب بالطبع ، على الأرض لتوضح أين تنتهي سيادة دولة وأين تبدأ سيادة الدولة الأخرى التي لها معها حدود مشتركة . وكما شرحنا فإن العديد من اتفاقيات الحدود التي وضعتها القوى الاستعمارية قد تجاهلت تماماً الظروف والاعتبارات المحلية في أفريقيا . فقد قسمت العديد من القبائل بين دولتين أو أكثر كما هو الحال بالنسبة لقبيلة الزغاوة في كل من السودان وتشاد وعلى سبيل المثال لا الحصر . وبذلك الأسلوب عزلت الحدود الاستعمارية العديد من القبائل من مناطق رعيها التقليدية. لذلك ليس من قبيل المفاجأة أن تكون الحدود بالنسبة للعديد من القبائل {مكتوبة في السماء} وبالتالي فإن تلك القبائل لا تعير أي اهتمام لمسألة في أي {بلد} من البلاد هي توجد في سياق بحثها عن الكلأ والماء والمرعى (٢١). وليس ثمة طريقة حضارية متاحة لتنبيه تلك القبائل الرعوية بما يشبه {نقطة النظام} point of order غير تلك العلامات الحدودية ! .

لكن العلامات الحدودية قد تتآكل بسبب الأحوال الطبيعية أو تندثر بمرور الزمن وأخيراً وليس آخراً فقد تتلاشى أو تختفي بفعل الإنسان . لكل ذلك يجب على الدولتين المعنيتين بمثل تلك الحدود ، صيانة وإصلاح أو حتى إعادة بناء وتشييد علامات الحدود ابتداءً من جديد في موضعها الصحيح . ذلك أن وضع علامات الحدود أصلاً على سطح الأرض ، سيكون فاقداً لأي جدوى أو معنى ، إذ لم يلتزم الطرفان بحمايتها وصيانتها وإصلاحها بل وإعادة بنائها وتشييدها من جديد إذا اقتضت أهمية التداخل في الحدود المعنية ذلك . وقد ذهبت بعض الدول تاريخياً ، في سبيل التأكيد على أهمية المحافظة

(٢١) قبيلة الزاندي مقسمة بموجب الحدود التي وضعها الاستعمار في ثلاث دول هي السودان والكنغو وأفريقيا الوسطى . كما أن وصف الحدود الذي وضعه الميجور (جوين) للحدود الشرقية بين السودان وأثيوبيا ، في قطاع البارو ، قسم الأراضي التي تعتمد عليها قبيلتا النوير والأنواك إلى قسمين . فالجزء الأكبر من قبيلة النوير يعيش في السودان في مركزي الناصر والبيبور وعلى حدود قطاع البارو ، إلا أن هناك عدداً مقدراً من النوير عتاد عبور السودان إلى داخل الأراضي الأثيوبية طلباً للمرعى . أما الأنواك فإن نصفهم تقريباً يعيش داخل الحدود الأثيوبية. انظر كتابنا، حدود السودان الشرقية مع أثيوبيا وإريتريا ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، ٢٠٠٠، صفحة ، ١٠٢.

على جدوى تخطيط الحدود ، إلى أن احترام خط الحدود الذي تم إنشاؤه **{واجب ديني مقدس}** بحيث لا ينبغي أن يحدث فيها أي تغيير إلا بموجب الموافقة الصريحة والرضا الحر للدولتين وأن يصدر ذلك من حكومة كل طرف طبقاً لدستوره [٢٢] . كما ذهبت دول أخرى للنص صراحة في اتفاق تخطيط الحدود على التزامها باتخاذ كل الإجراءات اللازمة لحماية علامات الحدود وتقديم أي شخص يقوم بتحريكها أو العبث بها أو تدميرها إلى المحاكمة . ومتى ثبت أن الذي قام بتحريك علامات الحدود أو العبث بها كان مقيماً أو أحد رعايا الدولة المعنية ، فإنها تكون مسؤولة {مسؤولية تقصيرية} Vicariously بإصلاح العلامات الحدودية التي تم تدميرها على حسابها [٢٣].

أما إذا اندثرت العلامات الحدودية أو اختفت بمرور الزمان أو بسبب الأحوال الطبيعية أو كان التخطيط السابق غير واضح في أحد قطاعاته ، وكانت الدولتان على جانبي الحدود على قناعة بجدوى وأهمية وضوح الحدود ، تفادياً لأي احتكاكات أو اختراقات قد حدثت أو قد تحدث ، فليس أمامها غير الاتفاق على **{إعادة وضع علامات تخطيط}** الحدود Re-demarcation of the boundary Marks . أي تخطيط الحدود من جديد في موقعها القديم على وجه الدقة . وهنا تبرز أهمية بروتوكول أو محضر تخطيط الحدود السابق ، بالنسبة للجنة الحدود المشتركة المكونة للقيام بإعادة وضع علامات تخطيط الحدود . فكما عرفنا أن محضر تخطيط الحدود ينطوي على الوصف التفصيلي لخط الحدود بعد تعليمها على سطح الأرض ، سيما وأن الوصف يشتمل على تفاصيل يمكن التأكد منها في الموقع . ومن ثم فإن على لجنة الحدود إعادة وضع علامات تخطيط الحدود ، كقاعدة عامة ، الالتزام بالوصف السابق للتخطيط ، وليس لها أن تعدل فيه أو تغير ، ما لم تتفق الدولتان المعنيتان صراحة أو ضمناً على تفويض لجنة إعادة وضع علامات التخطيط بذلك .

وإذا كان ذلك هو الواجب الذي يجب على اللجنة احترامه والالتزام به ، فإننا نرى جواز أن تقوم اللجنة ، في سياق قيامها بمهمتها ، بما نسميه تكثيف التخطيط السابق ، ونقصد بـ {التكثيف} Condensation أن تقوم اللجنة بوضع علامات أو نقاط إرشاد إضافية

---

(٢٢) انظر: Jones,op.cit.,p. 214.

(٢٣) انظر: United Nations Treaty Series, Vol.266.pp.243.

وانظر أيضاً معاهدة الثامن عشر من يناير ١٩٥٨م بين الاتحاد السوفيتي وأفغانستان.

لم تكن أصلاً موجودة في التخطيط السابق ، طالما أن ذلـــك لا يتعــارض مـــع القــراءة الصحيحة للوصف السابق . وتكون هذه الفرضية مفهومة ومقبولـــة إذا تبيــن للجنــة أن مواضع العلامات السابقة على مسافات بعيدة من بعضها ، بحيث يمكـــن باتفــاق جــانبي اللجنة ، وضع علامات أو نقاط إرشاد بين تلك المسافات لتقريـــب الشــقة بيــن علامــة وأخرى. ولا شك أن مثل هذا التكثيف ، إنما يتم تحقيقـــاً للمصلحــة المشــتركة والغايــة المرجوة من التخطيط ، ألا وهي توضيح أين تنتهي سيادة دولة ومن أين تبدأ سيادة دولـــة أخرى تشترك معها في ذات الخط الحدودي .

وسواء كان الأمر إعادة وضع علامات تخطيط الحدود demarcation أو كان تكثيفــاً condensation فإن أهمية اتفاق الدولتين المعنيتين على تنفيذ أي منـــهما لا تحتــاج لتوكيــد شديد. ذلك انه بالإضافة إلى تحقيق الغاية المرجوة أصلاً من الحدود بيـــن الــدول ، فــإن العمليتين تنطويان على بعد قانوني بالغ الأهمية ، وهو أن الدولتيـــن المعنيتيـــن بــالحدود تعترفان بأن الحدود قد سبق تعيينها وتخطيطها . مؤدى ذلك أن أياً من الدولتين لا تســتطيع أن تنازع في الوضع القانوني للحدود ، إذ أن منازعتــها مــردود عليــها بموجــب مبــدأ الاعتراف السابق من ناحية ، وبمقتضى نظرية {الإغلاق} Estopped من ناحية أخــــرى . وقد اكتسبت نظرية الإغلاق أهمية بالغة في القانون الدولي بشـــكل عــام وفــي نزاعــات الحدود بصفة خاصة [٢٤].

***

---

(٢٤) انظر:

Mac Gibbon, (Stoppel in International Law) International and Comparative Law Quarterly (1958) P. 468.

الباب الخامس عشر

اتفاق السودان وتشاد على الشروع في وضع علامات تخطيط الحدود

١ـ ادعاء السلطات التشادية بأن منطقة قايا أرض تشادية .

٢ـ تنشيط اللجنة الوزارية المشتركة وتفعيل اللجنة الفنية للحدود .

٣ـ الطرفان يؤكدان على المعاهدات الموروثة ويتجهان نحو وضع العلامات .

مثل ما انتهى حكم ما اصطلح عليه في السودان بحكم الديمقراطية الثانية بانقلاب عسكري في مايو ١٩٦٩م ، انتهى حكم ما اصطلح عليه بحكم الديمقراطية الثالثة بانقلاب عسكري آخر في يونيو ١٩٨٩م ، اشتهر **{بحكم الإنقاذ}**. وقد شهدت علاقات الحكم الجديد مع دول الجوار تدهوراً في الخمس سنوات الأولى من عمره ، كما أنه وجد صداً من العديد من الدول الأخرى . لكن النظام لم يلبث أن نجح في تحسين علاقات السودان وبخاصة مع دول الجوار .

أما فيما يتصل بعلاقات السودان الحدودية فقد فتحت ثلاثة ملفات . الأول هو ملف النزاع الحدودي مع مصر بشأن مثلث حلايب . وفي هذا السياق عقدت اجتماعات مشتركة عديدة على المستويين الوزاري والفني في الخرطوم والقاهرة ، ولكنها لم تصل إلى حسم نهائي لهذا الموضوع [١] . ويمكن القول أن أسباباً سياسية معينة فرضت فتح الملف بل وتصعيده إلى أزمة حقيقية بين البلدين ، كما أن أسباباً سياسية محددة فرضت إغلاق الملف دون التوصل إلى حل للنزاع .

---

(١) كان مؤلف هذا الكتاب مستشاراً للجانب السوداني في الاجتماعات التي عقدت على المستويين الوزاري والفني.

من جانب آخر حرصت حكومة السودان على فتح ملف الحدود مع أثيوبيا[٢] في إطار اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة المتعددة التي عقدت طوال عقد تسعينيات القرن الماضي ، لكن أثيوبيا أبدت عدم رغبتها لفتح ذلك الملف بحجة انشغالها بقضايا هامة أخرى . وبالرغم من التحسن الكبير الذي طرأ على العلاقات بين البلدين ، على خلفية تدهور علاقات البلدين مع الجارة المشتركة معهما في حدود دولية وهي إريتريا ، إلا أن المسائل المعلقة مع أثيوبيا ، منذ إبرام اتفاقية الحدود المشهورة في ١٩٧٢، ما زال بعضها ينتظر الحسم النهائي .

أما بالنسبة للأوضاع في حدود السودان الغربية ، فقد ورثت حكومة الإنقاذ تداعيات الصراع التشادي التشادي . وكانت أخر آثار له، في أواخر عقد ثمانينيات القرن الماضي ، قد تجسدت في وجود قوات معارضة بقيادة {إدريس دبي} في داخل الأراضي السودانية من ناحية ودخول قوة تابعة لحكومة الرئيس {حسين هبري} في منطقة {قايا} من ناحية أخرى . وقد أوشك ذلك الوضع وبخاصة على أثر سقوط حكم {هبري} واستيلاء {دبي} لمقاليد الحكم في إنجمينا ، أن يتطور لادعاء على أرض سودانية . فعندما سعت السلطات السودانية لتطويق الوضع في منطقة {قايا} مع السلطات التشادية ، فوجئت بادعاء الجانب التشادي بأنه لم يسمع بوجود نزاع حول منطقة {قايا} بين السودان وتشاد وهو ادعاء انطوى على ادعاء الجانب التشادي تبعية منطقة قايا إلى تشاد . وبرر الجانب التشادي ادعاءه على منطقة قايا ، بعدم إثارة حكومة السودان لذلك الموضوع عندما كانت محتلة من قبل قوات حسين هبري !. وأضاف الجانب التشادي إلى ادعائه مسوغاً آخر هو أن ضرورات استراتيجية وأمنية تحتم على السلطات التشادية السيطرة عليها . وقد ساق الجانب السوداني من جانبه العديد من الردود والمبررات من بينها أن حكومة السودان سبق أن طلبت من هبري إخلاء قايا ، وأن ثمة قوة سودانية قد وضعت لمنع عودة قوات هبري ، بالإضافة إلى أن الإصرار على البقاء في قايا يشكل تمسكاً بالاحتلال . وبالرغم مما ساقه الجانب السوداني من حجج إلا أن الاجتماع مع الجانب التشادي انتهى إلى

---

(٢) كتابنا : بعنوان (حدود السودان الشرقية مع أثيوبيا وإريتريا : النزاع الحدودي والمركز القانوني) الطبعة الأولى ، الدوحة، ٢٠٠٠، الصفحات من ٢١١-٢٢٦.

طريق مسدود . وقد تم تطويق الوضع لاحقاً على إثر اتصالات على مستوى الدولتين أدت لسحب الرئيس التشادي الجديد لقواته إلى داخل الأراضي التشادية [٣] .

يبدو أن مشكلة {قايا} وادعاء مسؤولين عسكريين بأنها أرض تشادية قد شكل ناقوس خطر للسلطات السودانية . من ناحية أخرى كانت هناك الآثار السالبة على الأمن في دارفور والمترتبة عن الصراعات التشادية القديمة والمتجددة تبعاً لتغيير النظم الحاكمة في إنجمينا . وكانت عمليات النهب المسلح ورواج تجارة السلاح والتهريب بالإضافة إلى إذكاء التعصب القبلي . وكان تفاقم الوضع بقيام قوات تشادية بعمليات نهب وسلب داخل الأراضي السودانية . لكل تلك الأسباب اهتمت حكومة السودان بمسألة توطيد علاقاتها مع نظام الحكم الجديد في تشاد . وكانت البداية تنشيط آلية اللجنة الوزارية المشتركة ، وكذلك تفعيل اللجان الفرعية المنبثقة عنها ، وبصفة خاصة اللجنة الفنية الخاصة بالحدود . فقد عقدت اللجنة الوزارية المشتركة بين السودان وتشاد ، أول اجتماع لها في عهد حكم الإنقاذ ، في الرابع عشر من فبراير ١٩٩١م . وقد ناقشت اللجنة العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك مثل الأمن على الحدود والاتفاقية القضائية والجوازات والهجرة والجنسية واللاجئين ومكافحة الصيد غير المشروع . أما بالنسبة لموضوع الحدود فقد تداول الطرفان طبقاً للبيان المشترك {**حول اتفاقيات وبروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م، والتي تحكم الحدود بين البلدين . واتفقا على تكوين لجنة خبراء مشتركة ، وعلى أن تنعقد في الخرطوم في الأسبوع الأخير من أبريل ١٩٩١م ، لدراسة وتوضيح معالم الحدود بين البلدين وتحديد مصادر التمويل وعلى أن ترفع تقريراً بأعمالها للدورة الرابعة** } [٤]

---

(٣) بحث اللواء .أ.ح ./ التجاني محمد التجاني بعنوان: (عدم تخطيط الحدود وأثره على الأمن الوطني) الأكاديمية العسكرية العليا بإشراف الأستاذ/ محمد الباقر خليفة، وكان مؤلف هذا الكتاب هو المناقش للبحث.

(٤) المحضر الختامي لاجتماعات الدورة الثالثة للجنة الوزارية المشتركة بين السودان وتشاد – الخرطوم ١٤-١٧ فبراير ١٩٩١م . وقد اتفق الجانبان أيضاً على اتخاذ كل التدابير اللازمة لتطبيق الاتفاق الخاص بإنشاء لجنة فرعية سودانية تشادية أمنية مشتركة والتي تم التوقيع على تكوينها في ٣ أكتوبر ١٩٨٦م والتي أنيط بها معالجة مواضيع الأمن على الحدود.

لقد سارع وزير الداخلية رئيس لجنة الحدود السودانية ، بإصدار قـــرار ، بتـــاريخ السابع عشر من مارس ١٩٩١م ، بتكوين الجانب السوداني في لجنة الخـــبراء المشـــتركة مما يعكس بوضوح حرص السودان على تفعيل الاتفـــاق الخـــاص بموضـــوع الحـــدود . وانطلاقا من ذلك القرار أعد الجانب السوداني في لجنة خـــبراء الحـــدود تقريـــراً ضافيـــاً وممتازاً عن الحدود المشتركة مع تشاد استعداداً وتمهيداً للاجتماع مع الجانبٌ التشـــادي . وقد تناول التقرير السمات الأساسية للعلاقات بين البلدين . ورد العوامل التـــي أدت إلـــى عدم الاستقرار في الحدود وتفاقم الحالة الأمنية وتصاعد المشكلات ، إلى الصراع التشـادي الداخلي واستغلال العناصر غير الموالية للنظام الحاكم في تشاد للأراضي السودانية خـــلال قيامها بعمليات مناهضة للسلطة .

من جانب آخر هناك تدفق اللاجئين التشاديين إلى داخل السودان بســـبب الجفـــاف والتصحر الذي ضرب الأجزاء الشمالية والوسطى من تشاد . وهناك التداخل الآخر مـــن القبيلة نتيجة لولائها أو مناهضتها للسلطة أو للعناصر المعارضة . كمـــا أن هنـــاك رواج تجارة السلاح والنهب المسلح والتهريب . يضاف إلى كل ذلك أمران هامان . الأول هـــو الصراع الليبي التشادي ومرور الدعم الليبي عبر الأراضي الســـودانية وبخاصـــة خـــلال مرحلة النزاع الحدودي بين ليبيا وتشاد حول {**قطاع اوزو**}. والأمر الثاني هو الاحتكاكـــات الناشئة عن عدم وجود معالم واضحة للحدود لاندثارها بمرور الزمن أو بفعل فاعل[٥].

ولاحظت اللجنة في سياق وضع خطة إعادة تخطيط الحدود ، طول الحـــدود بيـــن البلدين إذ تبلغ حوالي ١٣٠٠ كيلومتر ، وأن أجزاء كبيرة منها تكاد تكـــون خاليـــة مـــن السكان ، وبخاصة القطاع الذي يمتد من **وادي هور** وحتى الملتقى الثلاثي للحـــدود بيـــن السودان وتشاد وليبيا . ونسبة لنفقات إعادة التخطيط الباهظـــة رأت اللجنـــة أن ينحصـــر العمل في الأساس على خط الحدود في المناطق التي بها مشاكل ، أو التي يتوقـــع ظـــهور نزاعات بها ، وهي تشمل بشكل عام مناطق الزراعة والرعي والصيد ، وذلـــك بتكثيـــف Condensation علامات الحدود ووضع علامات للإرشاد على مسافات معقولـــة فـــي بقيـــة الأجزاء ، أي من الملتقى الثلاثي الجنوبي في {**تيزي**} وحتى وادي هور . من جانب آخـــر

---

(٥) تقرير لجنة خبراء الحدود بين السودان وتشاد ، الجانب السوداني ، الخرطوم ١٦/٥/١٩٩١م. بالرغم من أن التقرير منسوب للجانب السوداني ، إلا أن الذي قام بإعداده المهندس/ ميرغني محمد إدريـــس والمهندس محمد أبكر ادم ممثلا مصلحة المساحة السودانية .

أوصت اللجنة تركيز عملية إعادة التخطيط في القطاع الحدودي الممتد من الملتقى الثلاثي في {تيزي} وحتى {خور برنقا} على أساس أن هذه المنطقة تشمل منطقة {قايا} التي سعت السلطات التشادية لبسط ادعاء عليها ومنطقة {اتزيلي} التي تتمتع بموارد مائية تجعلها جاذبة للرعاة والمزارعين .

وتأسيساً على كل ذلك اقترحت اللجنة أن يتم العمل على مرحلتين . الأولى من الملتقى الثلاثي بين السودان وتشاد وأفريقيا الوسطى . وأما المرحلة الثانية فإنها تشمل الحدود من {خور برنقا} وحتى الملتقى الثلاثي للحدود بين السودان وتشاد وليبيا . ومما لا شك فيه أن قلة العقبات الطبيعية في معظم أجزاء هذا القطاع من الحدود ، وما تم بشأن إعادة تخطيط الحدود في عام ١٩٦٢م ، قد شجع اللجنة على اقتراح إعادة تخطيط هذا القطاع [٦].

واللافت أن التقرير وضح أن المهمة التي يجب أن تتم تنطوي عل شقين . الأول {إعادة تخطيط الحدود} . والثاني {تكثيف الحدود } . ولم يفت التقرير بالطبع أن يقدم ميزانية مفصلة شملت التصوير الجوي لمنطقة الحدود واستكشاف في مناطق الحدود بالاستعانة بالصور الجوية ، ورصد نقاط الحدود لتحديد المواقع ، وبناء علامات ثابتة على طول الحدود . كما شملت الميزانية المقترحة لذلك العمل تكوين فرق الحقل وما تتطلبه من مهندسين وجترر جية وسائقين وعمال مؤقتين وممرضين ورجال حراسة . وذلك بالإضافة إلى العربات والمعدات الفنية التي تشمل أجهزة القياسات الطويلة والقصيرة ونظارات رصد الزوايا ونظارات الخيط وبوصلات وكشافات الرصد الليلي وأجهزة اتصال قصيرة المدى وطويلة المدى ومولدات كهربائية وبطاريات وأجهزة لملء البطاريات وآلات حاسبة . يضاف إلى كل ذلك قيمة الوقود والمرتبات والبدلات .

وبالنظر إلى هذا التفصيل يتضح أن الجانب السوداني قد أعد تقريراً ضافياً شارحاً لمهمته محدداً لحاجاته موضحاً لأولوياته الأمر الذي مكنه من أداء مهمته خير أداء . يبدو من هذا الاستعداد للولوج في عملية تخطيط الحدود ، أن العملية ليست صعبة ومعقدة فقط بسبب الجغرافيا الطبيعية لمناطق الحدود ، بل أيضاً هي باهظة التكاليف والنفقات المالية . ويقيننا أن تلك هي الأسباب الأساسية التي جعلت الغالبية العظمى من الحدود بين الدول في أفريقيا غير مخططة على الطبيعة.

---

(٦) نفس المصدر السابق .

الباب السادس عشر

إعادة وضع علامات تخطيط الحدود المشتركة بين السودان وتشاد

١ـ اللجنة الفنية تقسم المرحلة الأولى إلى ثلاثة قطاعات .

٢ـ الوصف التفصيلي للحدود بعد إعادة وضع علاماتها على الأرض .

٣ـ إنشاء لجنة مشتركة لحماية علامات الحدود وصيانتها .

٤ـ معالجة أوضاع المواطنين المتأثرين بإعادة تخطيط الحدود .

٥ـ الاتفاق على المضي قدماً لتكملة المرحلة الأخيرة .

٦ـ اعتماد الدولتين لمحضر وضع علامات الحدود بين البلدين .

بالرغم من أن اللجنة الوزارية المشركة بين السودان وتشاد التي انعقدت في فبراير ١٩٩١م في الخرطوم ، كانت قد قررت عقد اجتماعها التالي في ١٩٩٢م ، إلا أن ذلك لم يتحقق إلا في سبتمبر ١٩٩٤م وفي الخرطوم أيضاً . وكما حدث في الاجتماع السابق ناقشت اللجنة العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك وفي مقدمتها مسائل الأمن على الحدود ومسائل الوضع القانوني للحدود. وقد اتفق الطرفان، في مجال مسائل الأمن على الحدود ، على زيادة تبادل المعلومات الأمنية لمواجهة تواجد المجموعات المسلحة وعصابات النهب المسلح التي تمارس التخريب في المناطق الحدودية . وكذلك اتفقتا على مواجهة الأعمال الخارجة عن القانون وكافة الأنشطة العدائية التي تهدد أمن كل من

البلدين . وتنفيذاً لهذه الاستحقاقات اتفق الجانبان على تنشيط اللجنة الفرعية المشتركة للأمن بين البلدين والتي كانت قد كونت لمثل هذه الأغراض [1].

أما بالنسبة للأوضاع القانونية للحدود فقد أكد الطرفان على التزامهما باحترام كافة الاتفاقيات والمواثيق التي تحكم الحدود بين البلدين وبصفة خاصة {**بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م والخرائط الملحقة به**} . واتفق الطرفان أيضاً على {**إعادة وضع علامات الحدود في أماكنها وفقاً للمواثيق المذكورة سلفاً** } . وتنفيذاً لذلك اتفق الطرفان على تكوين لجنة مشتركة من الخبراء لوضع علامات الحدود على الطبيعة. وحرصاً من الجانبين على المضي قدماً في مسألة إعادة تخطيط الحدود فقد تم الاتفاق على أن : {**تجتمع لجنة الخبراء المشتركة في أبشي خلال أكتوبر ١٩٩٤م . وأن يقوم الطرفان بتمويل تنفيذ العمل بصورة مشتركة بين البلدين وعلى أن يهيئ الطرفان أفضل الظروف لإنجاح مسألة إعادة تخطيط الحدود**} [2] .

وهكذا يبدو واضحاً من محضر اجتماع سبتمبر ١٩٩٤م للجنة الوزارية المشتركة ، أن السودان قد حقق قدراً كبيراً من يصبو إليه . فقد أكد الطرفان على المواثيق الموروثة وبصفة خاصة بروتوكول العاشر من يناير ١٩٩٤م . ثم إن المحضر أكد على رؤية السودان بأن الحدود قد تم تخطيطها سلفاً وأن المطلوب هو إعادة وضع معالمها التي إندثرت أو اختفت سواء بمرور الزمن أو بفعل فاعل .

وبالفعل عقدت لجنة خبراء الحدود المشتركة بين السودان وتشاد اجتماعها المقرر في أبشي عاصمة محافظة ودّاي في جمهورية تشاد في أكتوبر ١٩٩٤م . وكما ورد في التقرير الختامي لاجتماع الخبراء فقد اتفق الجانبان {**على استخدام الخرط الملحقة ببروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م كوثيقة وحيدة يتم الرجوع إليها وفي حالة مواجهة عقبات يتم الرجوع لنصوص البروتوكول**} .كما اتفق الجانبان على تحديد ثلاث مناطق حدودية بحيث تكون لها الأولوية في عملية إعادة وضع العلامات وهي : -

---

(١) محضر اجتماع اللجنة الوزارية المشتركة بين السودان وتشاد في دورتها الرابعة ، ١٥-١٩ سبتمبر ١٩٩٤م. وبالرغم من أن الاجتماعات ترأسها وزيرا خارجية البلدين ، إلا أن اللذين وقعا على المحضر هما النائب الأول لرئيس الجمهورية في السودان ورئيس وزراء تشاد مما يعكس مدى اهتمام الدولتين بمسار العلاقات بينهما .

(٢) وهذا ما نص عليه بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م في بنوده العامة .

١. **المنطقة الجنوبية** : وتمتد من الملتقى الثلاثي لحدود السودان وتشاد وأفريقيا الوسطى حتى تقاطع **{وادي صالح}** مع **{وادي أزوم}** .

٢. **المنطقة الوسطى** : وتمتد من **{بئر كوجان}** حتى **{جبل أنياتا}** مروراً بـ **{أم بلنج}** .

٣. **المنطقة الشمالية**: ويقصد بها منطقة **{كُلبس}** التي تمتد إلى ما يقارب{٥٠} كيلومتر شمالي كُلبس و {٥٠} كيلومتر إلى الجنوب منها .[٣].

من جانب آخر اتفقت لجنة الخبراء من حيث المبدأ ، على إعادة وضع {٣٣} علامة حدودية و {١٢} نقطة موصوفة في البروتوكول بمعالم طبيعية ، مثل الجبال والوديان والتي ستحدد إحداثياتها في الموقع . كما اتفق أيضاً على مبدأ تكثيف Condensation العلامات في الجنوب بين مشيختي **{فنقورو}** و **{سينيار}** وتحديداً من **{حرازة}** حتى **{ملم}** مروراً بمنطقة **{قايا}** . وأقرت اللجنة أن يكون التكثيف في المنطقة الوسطى بين مشيختي **{وادي كجا}** و **{كولوي}** وذلك في المنطقة الممتدة من **{بئر كوجان}** حتى **{وادي نياتا}** مروراً بـ **{أم بلنج}** و **{أم دافوق}** .

كما اتفقت اللجنة على اعتماد العلامات الحدودية وأنواعها . وطبقاً للكروكي المرفق مع تقرير اللجنة يرمز الشكل {C}للعلامة الأساسية والشكل {P} يرمز لعلامة التكثيف . ويرمز الشكل {D} للعلامة الجبلية . ويرمز الشكل {E} للشاهد على جانبي الوديان . وبالنسبة لترقيم العلامات فقد اعتمدت اللجنة لكل علامة أربعة أرقام يشير الرقمان من جهة اليمين للسنة التي صنعت فيها العلامة ، ويوضح الرقمان من جهة اليسار الرقم المتسلسل للعلامة . واعتمدت اللجنة ترقيم علامات التكثيف من الرقم **{واحد}** وحتى نهايتها بتسلسل مطرد . واتفقت اللجنة على أن يكتب في كل علامة خط الطول والعرض بالإضافة إلى الحرف {S} في اتجاه السودان والحرف {T} في اتجاه تشاد [٤].

---

(٣) التقرير الختامي لاجتماعات لجنة خبراء الحدود السودانية التشادية المشتركة بابشي ما بين ٢٣ و٢٥/١٠/١٩٩٤م.

(٤) اتفقت اللجنة على أن التكلفة الكلية لبناء الأعمدة والعلامات في حدود (٥٠) ألف دولار أمريكي . وأن يمد كل بلد فنيه بالأجهزة الضرورية لإنجاز العمل شريطة أن تكون الأجهزة المستخدمة من قبل الطرفين . كما اتفقت على أن يلتزم كل طرف بمخصصات فريقه الفني وبتمويل قوة التأمين التي يحددها من جانبه . وأخيراً وليس آخرا اتفقت اللجنة على أن يتحمل الطرفان تكلفة العلامات الحدودية والأعمدة مناصفة وكذلك تكلفة المواد والمعدات اللوجستية . نفس المصدر السابق .

وهكذا بالتأسيس على تقرير لجنة الخبراء المشتركة بابشـــي فـــي أكتوبـــر ١٩٢٤م والتزاماً بالاتفاقيات والمذكرات المتبادلة والمواثيق ذات الصلـــة بـــالحدود بيـــن البلديـــن والتحديد في بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م الخرائط الملحقة به ، شـــرعت اللجنـــة الفنية المشتركة بإعادة تحديد معالم الحدود وإعادة وضع علامات التخطيط علـــى الطبيعـــة أعمالها ابتداءً من ٢٣ ديسمبر ١٩٩٤م . ولكن يبدو أن اللجنة قد ووجهت في بداية مهمتـــها بمسألة تحديد نقطة الانطلاق الأمر الذي دعاها للرجوع إلى رئيسي الجانبين فـــي اللجنـــة الفنية للاتفاق على نقطة البدء . وبالفعل فقد اتفق رئيسا الجـــانبين ، بنـــاء علـــى توصيـــة الفنيين من الجانبين ، على أن تكون العلامة الحدودية رقم {٤٩/١} علـــى تقـــاطع **{وادي أزوم}** و **{وادي صالح}** هي العلامة المتفق عليها كأساس لبداية إعادة وضع بقية العلامـــات الحدودية الأخرى [٥] . ومن ثم فقد بدأت اللجنة عملها في الثلاثين من ديســـمبر ١٩٩٤م ، والذي استغرق قرابة الأربعة أشهر ، حيث انتهت من تنفيذ أعمال إعادة وضـــع علامـــات تخطيط الحدود في المرحلة الأولى في الثامن عشر من مارس ١٩٩٥م [٦] . وقـــد نفـــذت اللجنة مهمتها ميدانياً وسجلت إحداثيات ما قامت به باستعمال مستقبلات جيوديسية . كمـــا تم تحديد نقاط التكثيف حسب الإحداثيات المحسوبة من الخرائـــط الملحقـــة بـــالبروتوكول والتي يحكم عددها التداخل السكاني بالمنطقة والمسافات بين العلامات الأساسية . يضـــاف إلى ذلك قامت اللجنة ببناء العلامات بواسطة الأسمنت المسلح بمباشرة فنية من كل دولة .

وقد تم تنفيذ المرحلة الأولى من إعادة وضع علامات تخطيط الحـــدود بيـــن البلدين في ثلاث مناطق وذلك على النحو التالي :-

أولاً المنطقة الجنوبية : -

يمتد هذا القطاع من **{بحيرة تيسى}** جنوباً حتى تقاطع وادي كجـــا مـــع وادي أزوم **{أي المنطقة الواردة في الجزء الثاني الفقرة {E} إلى الجزء الثـــالث الفقـــرة {R} مـــن بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م }** ويبدأ هذا القطاع من بحيرة تيسى إلا أن اللجنة لـــم تتمكن من تحديد هذه النقطة الثلاثية بسبب غياب جمهورية أفريقيا الوسطى وهي الطـــرف

---

(٥) محضر الجانبين السودانـــي والتشـــادي الصادر في فوربرنغا في جمهورية تشـــاد بتـــاريخ التاســـع والعشرين من ديسمبر ١٩٩٤م والموقع من قبل رئيسي الجانبين .

(٦) محضر وضع علامات الحدود بين السودان وتشاد : ٣٠ ديسمبر ١٩٩٤م – ١٨ مارس ١٩٩٥م .

الثالث في هذه العلامة . وتشمل هذه المنطقة واحداً وعشرين علامة أساسية من بينها تسع علامات جبلية نصف برميل واثنتان وأربعون علامة تكثيف وستة شواهد .

ويبدأ الوصف التفصيلي لهذه المنطقة من قمة **جبل كيلي** حيث تتجه الحدود في خط مستقيم إلى موقع غرب بحيرة {**أنزيلي**} ثم يتجه خط الحدود في خط مستقيم إلى قمة {**حجر درقا**} الذي يقع في الناحية الشمالية الغربية لسلسة جبال {**ماشنقا**} . وتسير الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم إلى أعلى جبل إيري {**تانقير**} . وتتجه الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم جنوب قرية {**مردف**} السودانية إلى حيث الموقع المشار إليه في البروتوكول بـ {Conspicous-Roks} . وتتجه الحدود من الموقع السابق شمالاً في خط مستقيم إلى حيث جبل {**كلوا**} وتتجه الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم ناحية الغرب إلى قمة حجر {**تقولا**} . ثم تتجه الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم حيث ملتقى وادي {**لوجوكو**} مع وادي {**ماتقرقا**} . وتسير الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم إلى حيث منتصف الطريق الواصل بين قرية {**لوجوكو**} وجبل {**منداقيا**} . ومن الموقع السابق تسير الحدود حيث تمر بموقع يقع جنوب غرب قرية {**تماسى**} السودانية . ويتجه خط الحدود من الموقع السابق وهو يمر بموقع حدودي يشار إليه في البروتوكول باسم شجرة {**المرايا**} . ومن الموقع السابق تتجه الحدود في خط مستقيم إلى حيث الموقع المشار إليه في البروتوكول بـ حجر {**داكوندي**}{**قمة حجر داكوندي**}. وتتجه الحدود من الموقع السابق إلى قمة حجر {**ميرسى**} . ومن الموقع السابق تسير الحدود في خط مستقيم إلى حيث الموقع المشار إليه في البروتوكول باسم {Clearing} {**القرلية**} . ثم تتجه الحدود في خط مستقيم إلى موقع {**الشجرة**} الحدودية . وتسير الحدود من هناك إلى حيث قمة جبل {**هقرا**} . ومن الموقع السابق يتجه خط الحدود في خط مستقيم إلى حيث موقع شجرة {**الحميضة**} . وتسير الحدود من الموقع السابق شمالاً إلى حيث الموقع الحدودي الذي يقع في منتصف مجرى {**وادي صالح**} مع الخط الفاصل بين الموقع السابق وموقع {**حجر زرا**}. ومن الموقع السابق تتجه الحدود ناحية الغرب متتبعة {**وادي صالح**} حتى تقاطعه مع {**واي أزوم**} . وتسير الحدود من الموقع السابق إلى حيث ملتقى {**وادي كجا**} مع {**وادي أزوم**} . ثم يتجه خط الحدود من الموقع السابق إلى حيث الموقع الذي يحمل الرقم {**٢٠٩٥/١**} [٧].

---

(٧) المصدر السابق .

ثانياً : المنطقة الوسطى :

يمتد القطاع الحدودي في هذه النقطة من ملتقى وادي {**بئر كونجـــان**} مــع {**وادي كجا**} وحتى التقاء {**وادي كجا**} مع الحدود الدولية . وقد تم بناء العلامـــات ميدانيـاً طبقـاً لموجهات الجزء الرابع الفقرة {A} حتى الفقرة {L} من بروتوكـول العاشـر مـن ينـاير ١٩٢٤. وهي تشتمل على اثنتي عشرة علامة أساسية من بينها أربع ، علماً بأن العلامـة الرابعة بنيت عام ١٩٦٢م . كما بنيت ثماني نقاط طبيعية وأربـع عشـرة نقطـة تكثيـف بالإضافة إلى عشرة شواهد .

ويبـــدأ الوصف التفصيـــلي للحدود في هذه المنطقة مـن تقـاطع وادي {**بـئر كونجان**} مع {**وادي كجا**} حيث تسير الحدود شـمالاً مع منتصف وادي {**بـئر كونجـان**} حتى تقاطع وادي {**بئر كونجان**} مع الحدود الدولية . ثم تتجه الحدود من الموقـع السـابق إلى ناحية الشمال إلى القمة الجنوبية لجبل {**قونقرى**} . ومن الموقع السابق تتجـه الحـدود إلى حيث القمة الشمالية لجبل {**قونقرى**} . وتسير الحدود من الموقع السابق إلى حيث قمـة جبل {**انجنون**} . ثم تتجه الحدود من الموقع السابق إلى قمة {**جبل الباز**} . ومـن الموقـع السابق تتجه الحدود إلى حيث أعلى قمة في سلسلة {**جبل تارى**} . وتسـير الحـدود مـن الموقع السابق في خط مستقيم إلى حيث المنحنى الـذي يحمـل الرقـم {٢٨٩٥} . ومـن الموقع السابق تسير الحدود إلى حيث قمة {**جبل أنياتا**} . ثم تتجه الحدود إلـى قريـة {**أم ضقل**} التشادية و{**ياردى**} السودانية. من الموقع السابق تسير الحدود حتى جبل {**هنقـرا**}. وتسير الحدود من الموقع السابق إلى حيث ملتقى {**وادي كجا**} مع الحدود الدولية .

ثالثاً : المنطقة الشمالية :

ويبدأ الوصف التفصيلي لهذا القطاع الحدودي من الموقع رقم (٣٣٩٥) المشار إليـه في الخرائط الملحقة بالبروتوكول بـ{Conspicuous Tree} ثم تتجه الحدود منه إلـى حيـث تمر بالمنخفض الذي يقع بين {**جبل زفيدا**} وجبل {**كركوبا**} إلى الموقع الذي يحمـل الرقـم {**٣٤٩٥**}. ثم تسير الحدود من الموقع السابق جهة الشمال إلى حيث قمة{**جبل أبو لجـام**}. ومن الموقع السابق تسير الحدود في خط مستقيم إلى حيث قمة {**جبل كشـكش**} . وتسـير الحدود من الموقع السابق ناحية الشمال الشرقي في خط مستقيم إلـى حيـث {**الصخـرة**}

المشار إليها في البروتوكول بـ{M١٠٩}.ومن الموقع السابق تسير الحدود في خط مستقيم حيث القمة الجنوبية **{الجبل أوم}** . وتسير الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم عبر منتصف **{الهضبة}** إلى حيث قمة **{جبل أوم}** . ومن الموقع السابق تتبع الحدود الهضبة من الجنوب إلى الشمال في خط مستقيم إلى حيث آبار **{قوز بدين}** . وتسير الحدود من الموقع السابق إلى حيث **{رهد مقدد}** الذي يحمل الرقم {٤١٩٥} . ومن الموقع السابق تسير الحدود إلى حيث مجرى **{وادي بويزا}** . وتتجه الحدود من الموقع السابق مع مجرى **{وادي بويزا}** إلى **{آبار بويزا}** . ومن الموقع السابق تسير الحدود إلى حيث **{حجر درو}** . وتسير الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم إلى حيث القمة الجنوبية من سلسلة **{جبل مُرا}** MURRA . ومن الموقع السابق تسير الحدود إلى حيث القمة الشمالية الشرقية والتي يشار إليها في البروتوكول بـ {M١١٢٩} . وتسير الحدود من الموقع السابق إلى حيث الموقع {٤٧٩٥} . ومن الموقع السابق يسير الخط الحدودي في خط مستقيم إلى حيث **{قوز ممريكو}** . وتسير الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم إلى حيث **{قوز جمال هرو}** . ومن الموقع السابق تتجه الحدود ناحية غرب الشمال الشرقي إلى **{رهد عرديب}**. وتتجه الحدود من الموقع السابق في خط مستقيم إلى **{حجر كبش}** . ومن الموقع السابق تسير الحدود لتمر بـ**{رهد نبقاية}**. وتسير الحدود في خط مستقيم من الموقع السابق إلى **{رهد جبر}** ومن الموقع السابق تسير الحدود متتبعة مجرى **{وادي برنقالا}** إلى حيث الموقع الذي يحمل الرقم {٥٤٩٥}. ثم تتجه الحدود في خط مستقيم منحرفة عن الموقع السابق إلى حيث **{رهد دقوي}** . ومن الموقع السابق يتجه خط الحدود شرقاً إلى حيث **{رهد شوراك}** . ويسير الخط الحدودي من الموقع السابق ناحية الشمال الشرقي في خط مستقيم إلى حيث الموقع المشار إليه في البروتوكول بـ {Super-Marck}. ثم يتجه الخط الحدودي في خط مستقيم إلى موقع في منتصف المسافة بين **{جبل سندي}** و **{جبل وسطاني}** . ومن الموقع السابق يتجه الخط الحدودي في خط مستقيم إلى موقع يقع غرب قرية **{جرجيرة}** ويحمل الرقم {٥٩٩٥} [٨] .

ذلك هو الوصف التفصيلي لإعادة تخطيط المرحلة الأولى من الحدود المشتركة بين السودان وتشاد . وكما ورد في محضر إعادة وضع علامات تخطيط الحدود في

---

(٨) المصدر السابق.

الفترة من ٣٠ ديسمبر ١٩٩٤م إلى ١٨ مارس ١٩٩٥م ، إن تنفيذ العمل قد تم في تفاهم وانسجام تامين من قبل الفريقين الفنيين . ولم تواجه الفرق الفنية أية مشاكل في التخطيط في القطاعين الجنوبي والشمالي حيث انساب العمل بصورة طيبة عدا ما حدث في منطقة {مدوا} الواقعة في القطاع الأوسط. وقد اتفق الفريقان الفنيان على بناء خمس علامات تكثيف في المنطقة الواقعة بين تقاطع {وادي كجا} مع {وادي بئر كونجان} وتقاطع وادي بئر كونجان مع الحدود الدولية . كما تم بناء ثلاث منها في شكل شواهد على جانبي الوادي من ناحية تقاطعه مع {وادي كجا} . وقد أخذت لها إحداثيات بيد أنه لم يتم تحديد علامتي التكثيف المتبقيتين اللتين تبلغ المسافة بينهما حوالي أربعة كيلومترات . وقد رأي الفنيون رفعها للجنة المتابعة لمعالجة أمرها . وقد تضمن المحضر تحديد المسافات بين المواقع والنقاط وتحديد الاتجاهات وإحداثيات المواقع والنقاط بخطوط الطول وخطوط العرض الأمر الذي جعل إثبات المواقع والنقاط سهلاً ومتيسراً في الحاضر والمستقبل [٩].

وتتويجاً لذلك العمل الكبير والهام الذي قامت به اللجنة الفنية المشتركة بين البلدين، عقدت اللجنة الوزارية المشتركة اجتماعها الرابع خلال الفترة من السابع والعشرين من سبتمبر إلى الثالث من أكتوبر ١٩٩٥م في الخرطوم. وبعد مداولات سادتها روح الصداقة والأخوة والتفاهم المشترك اتفق الطرفان على أربع مسائل بالغة الأهمية وذلك على النحو التالي [١٠].

أولاً : اعتمد الطرفان محضر أعمال إعادة وضع العلامات الحدودية المقدم من الفريق الفني المشترك بين البلدين والمستند على بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م والخرائط الملحقة به .

ثانياً : اتفق الطرفان على إنشاء لجنة مشتركة لحماية علامات الحدود بين البلدين وعلى أن تختص بـ :ـ

١. الكشف الدوري على علامات الحدود بين البلدين .

---

(٩) المصدر السابق.

(١٠) محضر اتفاق بين حكومة جمهورية السودان وحكومة جمهورية تشاد ، الخرطوم في الثالث من أكتوبر ١٩٩٥م.

٢. تبادل المعلومات المتعلقة بحالة تلك العلامات .

٣.اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتأمين حمايـــة تلـك العلامـات وإعـــادة العلامات التي قد تحوّل عن مواقعهـا أو تتلف ، إلى موقعـــها الأصلـــي وفقاً للإحداثيات المتفق عليها. كما اتفق الطرفان على أن تشـــكل اللجنــة المكلفة بالمحافظة على العلامات الحدودية من وزارة الداخلية والجـــهات الفنية {المساحة} والأجهزة الأمنية بالإضافة إلى السلطات المحلية بما فــي ذلك الإدارة المحلية في المناطق الحدودية .

ثالثاً : بهدف معالجة أوضاع المواطنين المتأثرين بوضع العلامات الحدودية اتفـــق الطرفان على عدة أمور أهمها:

١.منح السودانيين الذين دخلوا في تشاد نتيجة لعمليات المسح التي تمـــت ، وكذلك التشاديين الذين دخلوا في السودان ، مهلـــة زمنيـــة قدرهـــا (١٢) شهراً اعتباراً من تاريخ توقيع المحضر ليقرروا بصفة نهائية حقـــهم فـــي اتخاذ أماكن إقامتهم الدائمة في أي من البلدين .

٢.يكون السودانيون الذي قرروا اتخاذ أماكن إقامـــة لـــهم فـــي تشـــاد خاضعين للقوانين التشادية وتسري عليهم أحكـــام القـــانون التشـــادي. وكذلك الحال بالنسبة للتشاديين الذي اختاروا السودان مكـــان إقامتـــهم فإنهم يخضعون بذلك للقوانين السودانية وتسرى عليهم أحكامها .

٣.ضمان استمرار المزايا التي كانت متاحة لرعايا البلدين علـــى جـــانبي الحدود عند إعادة وضع العلامـــات الحدوديـــة، أي المزايـــا المتعلقـــة بالزراعة والرعي والشرب والمسير وتبـــادل المحـــاصيل مـــع احـــترام القوانين واللوائـــح السائـــدة فـــي البلـــدين.

رابعاً : اتفق الطرفان على تكملة وضع علامات الحدود المتبقية بواســـطة اللجنــة الفنية المشتركة بذات الأسس السابقة [١١].

---

(١١) المصدر السابق.

هكذا توجت اللجنة الوزارية أعمال اللجنة الفنية المشتركة باعتمادها لمحضر إعادة علامات الحدود بين السودان وتشاد. وكما لاحظنا فقد أقرت اللجنة الوزارية مسائل بالغة الأهمية مثل تلك التي تتعلق بالمحافظة على العلامات الحدودية وصيانتها . ذلك أن العمل الضخم الذي قامت به اللجنة الفنية يكون عديماً للجدوى إذا لم يتعاهد الطرفان على حمايته. كما عالجت اللجنة الوزارية الآثار المترتبة عن عملية إعادة وضع علامات الحدود بالنسبة لرعايا البلدين وذلك بمراعاة {**الحقوق المكتسبة**} Acquired-Rights والمتعلقة بالزراعة والرعي والشرب والمسير وتبادل المحاصيل على أساس التبادلية Reciprocity . يضاف إلى ذلك حرص الطرفين على مواصلة جهودهما المشتركة لإكمال وضع علامات الحدود المتبقية بذات الأسس السابقة . ولا شك أن هذا الحرص يعكس مدى قناعة والتزام الدولتين بما قاما به بالنسبة لحدودهما المشتركة ، وإصرارهما على المضي قدماً لتكملة المرحلة الثانية (١٢).

***

(١٢) أصدر السودان قانونا بالتصديق على محضر اتفاق بين جمهورية السودان وجمهورية تشاد لسنة ١٩٩٦م بتاريخ ٥ يناير بعد إكمال كل الإجراءات الدستورية.

الباب السابع عشر

إصرار الدولتين لتكملة إعادة وضع العلامات الحدودية

١ـ عدم الدقة في صياغة الوثائق القانونية يعكس عدم الحرفية.

٢ـ انفلات الأوضاع الأمنية في دارفور يحول دون المضي في المرحلة الثانية.

٣ـ الحكومة التشادية تقوم بدور لافت في سبيل تهدئة الأوضاع الحدودية.

كانت اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة بين السودان وتشاد شبه منتظمة في الفترة ما بين ٩١ – ١٩٩٥م . ولكن يبدو أن إبرام محضر الاتفاق على إعادة وضع علامات تخطيط الحدود بين البلدين في أكتوبر ١٩٩٥م ، قد هدأ من تواتر تلك الاجتماعات . شاهدنا على ذلك أن الاجتماع الخامس للجنة الوزارية المشتركة لم يتسن عقده إلا في الثالث عشر من فبراير ١٩٩٩م في أنجمينا عاصمة تشاد أي بعد أربع سنوات من الاجتماع السابق [١] . وقد ناقش الاجتماع جدول أعمال واسع المدى . فقد شمل المسائل السياسية والقضايا الأمنية والمسائل الاقتصادية والتجارية والتعاون الثقافي والعلمي والإعلامي . وشملت المسائل السياسية والقضايا الأمنية أربعة موضوعات هي التعاون السياسي والقضايا الأمنية ومسائل اللاجئين [٢] والمسائل الحدودية .

---

(١) محضر اجتماع الدورة الخامسة للجنة الوزارية المشتركة بين جمهورية السودان وجمهورية تشاد ، أنجمينا من ١٠ إلى ١٣ فبراير ١٩٩٩م .

(٢) اتفق الطرفان على تطبيق اتفاقية تسليم المجرمين المبرمة بين البلدين منذ عام ١٩٦٥م .

لقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الماضي عدم استقرار أمنياً في ولايات دارفور . لذلك اتفق الطرفان السوداني والتشادي ، في إطار القضايا الأمنية على زيادة تبادل المعلومات الأمنية ، لمواجهة المجموعات المسلحة وعصابات النهب المسلح التي تمارس التخريب في المناطق الحدودية بالإضافة إلى مواجهة الأفعال والأنشطة العدائية التي تهدد أمن البلدين. وتفعيلاً لذلك أعرب الطرفان عن عزمهما على تنشيط اللجنة الفرعية المشتركة بين البلدين والمكلفة بالمسائل الأمنية في الحدود المشتركة بين البلدين والمكلفة بالمسائل الأمنية في الحدود والمكونة منذ ١٩٨٦م . وأنيط باللجنة الأمنية معالجة المشاكل الناتجة عن الصراعات القبلية الناشئة عن حالات اللجوء وانتشار حمل السلاح . وجدد الطرفان تأييدهما لاقتراح سابق بإنشاء مراكز عسكرية على حدود الدولتين والقيام بعمليات دورية مشتركة لتمشيط حدود البلدين . وفي هذا السياق اشترط على القوات المسلحة التي في حالة تعقب للعصابات داخل حدود الدولة الأخرى، الاتصال أولاً بالسلطات الإقليمية والحدودية للطرف الآخر. وأكد الطرفان أن مسائل اللاجئين تمثل اهتماما خاصاً للدولتين . وفي هذا الإطار عزا الجانب التشادي وجود لاجئين سودانيين داخل حدود بلاده للصراع القبلي بين {العرب} و {المساليت} السودانيين (٣). واتفقا على استقبال ومساعدة اللاجئين في أراضي الدولتين وفقاً للمعاهدات والمواثيق الدولية والإقليمية ، وعدم استغلالهم في النزاعات المسلحة بواسطة المعارضة لزعزعة وإثارة الاضطرابات الأمنية في البلد الأصل (٤).

أما بالنسبة للمسائل المتعلقة بالوضع القانوني للحدود على سطح الأرض فقد جدد الطرفان التزامهما بإحترام كل الاتفاقات والمعاهدات المتعلقة بالحدود بين البلدين وبخاصة {اتفاقية} العاشر من يناير ١٩٢٤م و الخرائط المرفقة معهما (٥). واتفق الطرفان على تكملة بقية إعادة {ترسيم} الحدود طبقاً للوثائق الواردة في الاتفاقية على أن يقوم الجانب التشادي بدعوة لجنة الخبراء في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من توقيع المحضر ، وذلك لوضع برنامج عمل محدد لما تبقى من أعمال وإيجاد حلول لمشكلة {مدوي} وغيرها .

---

(٣) يقصد بالعرب القبائل ذات الجذور العربية

(٤) المصدر المذكور في رقم (١) .

(٥) الصحيح هو (بروتوكول) العاشر من يناير وليس (اتفاقية) الأمر الذي يعكس عدم الدقة وافتقار الحرفية في صياغة الوثائق القانونية.

وفي هذا الصدد اتفق الطرفان على تجديد صلاحية لجنة المتابعة في المناطق الحدودية وتنشيط لجنة حماية العلامات الحدودية التي اتفق عليها في الاجتماع الوزاري الخاص بـ {ترسيم الحدود} بين البلدين الذي انعقد في أكتوبر ١٩٩٥م . وأخيراً وليس آخراً اتفق الطرفان على دعوة جمهورية أفريقيا الوسطى للمشاركة في {ترسيم} الحدود المشتركة لمثلث تيسى [٦].

ويلاحظ عدم الدقة في صياغة محضر اجتماع الدورة الخامسة للجنة الوزارية المشتركة بين البلدين الصادر في أنجمينا في الثالث عشر من فبراير ١٩٩٩م . فقد استعمل المحضر كلمة {اتفاقية} ١٩٢٤م بدلاً عن كلمة {بروتوكول} . كما استعمل عبارة {إعادة ترسيم الحدود} والصحيح هو {إعادة وضع علامات تخطيط الحدود} . ثم أن المحضر تحدث عن الاجتماع الوزاري الخاص بترسيم الحدود والصحيح هو الاجتماع الوزاري الخاص {بإعتماد محضر وضع علامات الحدود بين السودان وتشاد} . **وبطبيعة الحال ليس سائغاً أن تتضمن وثيقة رسمية خاصة بأمور بالغة الأهمية مثل أمور الحدود الدولية كل هذه الأخطاء الأمر الذي يعكس عدم الدقة وافتقار الحرفية في وثيقة رسمية.**

وتنفيذاً لما اتفقت عليه اللجنة الوزارية المشتركة في اجتماع فبراير ١٩٩٩م عقدت اللجنة الأمنية اجتماعاً في سبتمبر ١٩٩٩م [٧] ، برئاسة وزيري الداخلية في البلدين . وكما يدل اسمها فقد ناقشت اللجنة الوزارية المشاكل الأمنية والحدودية واللاجئين ، وفي ذلك السياق تأكد للجنة تنفيذ ما اتفق عليه في اجتماع اللجنة الوزارية المشتركة بشأن تنفيذ عمليات مشتركة لمكافحة النهب المسلح . وأكد الجانبان على الالتزام بالضوابط الخاصة بالعمليات المشتركة وكذلك الضوابط الخاصة بمطاردة المجرمين ، من حيث وجوب مراعاة الإبلاغ المسبق عن الهدف المطارد من الجانبين . ومن بين تلك الضوابط مراعاة أن يكون حجم القوتين متكافئاً بأن تكون القيادة للدولة التي يجري فيها تنفيذ العمل العسكري المشترك .

---

(٦) إذ لا يجوز الاتفاق على ملتقى ثلاثي للحدود إلا باتفاق الدول الثلاث المعنية بتحديد تلك المنطقة .

(٧) يلاحظ أن محضر اللجنة الأمنية المشتركة بين جمهورية تشاد وجمهورية السودان الذي عقد في الفترة من ٢٥ إلى ١٩٩٩/٩/٢٧م لم يتضمن ذكر المكان الذي عقد فيه الاجتماع وهو مثال آخر لعدم الدقة وافتقار الحرفية في صياغة الوثائق القانونية.

أما بالنسبة للحدود فقد اتفق الجانبان على متابعة أعمال {ترسيم} الحدود وفقاً للاتفاقيات والمعاهدات المتعلقة بالحدود بين البلدين خاصة {اتفاقية} العاشر من يناير ١٩٢٤م والخرائط المرفقة معها . كما اتفق الجانبان على تحديد {١٢} نقطة رئيسية و{٨٠} نقطة وسطية على أن يبدأ تحديد هذه النقاط اعتباراً من النقطة رقم{٥٩٩٥}. وتم الاتفاق على استخدام نفس العلامات الحدودية التي استخدمت في المرحلة الأولى في {ترسيم} الحدود بين البلدين . ويبدو حرص وحماس الجانبين على متابعة أعمال إعادة وضع علامات تخطيط الحدود من اتفاقهما على طرح مناقصة تصنيع العلامات الحدودية خلال شهري أكتوبر – نوفمبر ١٩٩٩م ، وعلى أن تكون أعمال وضع العلامات في الأول من مارس ٢٠٠٠م ،وعلى أن ينتهي العمل في الثلاثين من أبريل ٢٠٠٠م [٨].

ومتابعة لما أقرته اللجنة الأمنية ، عقد اجتماع فني لممثلين عن الجانبين في التاسع والعشرين من فبراير ٢٠٠٠م في الخرطوم ، لفرز العطاءات الخاصة بتصنيع العلامات الحدودية . وتعود أهمية هذا الاجتماع إلى أنه يؤكد حرص الجانبين على المتابعة المستمرة لتكملة إعادة تخطيط الحدود . ولعل مما يؤكد حرص الجانب السوداني أنه اقترح بدء العمل قبل منتصف مايو ٢٠٠٠م ، وعلى أن يتعهد كل جانب بدفع مساهمته مع بدء العمل . غير أن الجانب التشادي تحفظ على الاقتراح ووعد بتحديد بدء العمل لاحقاً عبر القنوات الدبلوماسية [٩] .

وشهدت مدينة الجنينة بولاية غرب دارفور السودانية في الثاني من نوفمبر ٢٠٠٠م اجتماعاً للجنة الأمنية الفرعية ولجنة {ترسيم} الحدود المشتركة . وكما هو متوقع من اجتماع هاتين اللجنتين أنه ناقش المشاكل الأمنية والحدود واللاجئين . وقد اتفق الجانبان بالنسبة لموضوع الحدود على متابعة وضع العلامات الحدودية للمرحلة الثانية وفقاً للاتفاقيات والمعاهدات السابقة وخاصة {اتفاقية} يناير ١٩٢٤م والخرائط المرفقة وعلى تحديد {٢٠} نقطة رئيسية و {٦٠} نقطة فرعية و {٤} نقاط جبلية بداية من النقطة {٥٩٩٥} حتى النقطة الثلاثية بين تشاد والسودان وليبيا . كما اتفق الجانبان على استخدام نفس العلامات الحدودية التي استخدمت في المرحلة الأولى، وعلى أن يبدأ العمل

---

(٨) يلاحظ تكرار ذات الأخطاء في الاجتماع باستخدام كلمة (ترسيم) وكلمة (اتفاقية) .
(٩) نفس المصدر السابق .

في الأول من مارس ٢٠٠١م لينتهي في الأول من مايو ٢٠٠١م . كما أقر الجانبان أن تقوم اللجنة الفنية المشتركة بوضع العلامات على الخرائط بعد الانتهاء من المرحلة الثانية لوضع العلامات الحدودية على الطبيعة [١٠] .

وبالمقابل اجتمع خبراء من البلدين في التاسع عشر من فبراير ٢٠٠١م في أبشي عاصمة محافظة وداي لفرز العطاءات الخاصة بتصنيع ووضع علامات الحدود . واتفق الجانبان على أن يتحمل الطرفان التكلفة بالتساوي وذلك طبقاً للجدول الزمني المقدم من الشركة التي ستتولى تلك المهمة. وكما يبدو فإن الطرفين ارتأيا أن تتولى شركة مهمة ما تبقى من وضع علامات الحدود تحت رقابتهما وإشرافهما الفني . وقد وقع العطاء بالفعل على شركة تشادية [١١]. وبعد زمن وجيز من هذا الاجتماع عقدت اللجنة المشتركة للخبراء اجتماعاً في الثالث من أبريل ٢٠٠١م في العاصمة التشادية أنجمينا . وقد اتفق على أن يبدأ العمل من النقطة {٥٩٩٥} الواقعة في منطقة {كُلبس} حتى الملتقى الثلاثي بين السودان وتشاد وليبيا . وتأكيداً على حرصهما لإكمال هذه المهمة أودع السودان نصيبه في عملية إعادة وضع العلامات والبالغ {٢٢,١٢١} دولاراً أمريكياً كما قامت تشاد بدورها بإيداع نصيبها ، لكن بالرغم من هذه الخطوة العملية والهامة والجادة لم يتسن الشروع في المرحلة الثانية حتى أواخر ٢٠٠٣م [١٢] .

وفي هذا الأثناء وحتى بداية عام ٢٠٠٤م ، دخل السودان في مستنقع انفلات الأمن في أغلب أنحاء دارفور الكبرى بشكل عام والمناطق المتاخمة للحدود المشتركة مع تشاد بصفة خاصة . فقد ظلت مناطق الحدود تشهد حوادث دامية بين حكومة

---

(١٠) رفض الاجتماع العطاء الوحيد الذي قدم له من شركة سودانية لعدم وجود مستندات إدارية ومالية تثبت مقدرة الشركة المتقدمة ولعدم وجود التفاصيل الفنية الكافية لتحديد تكلفة العلامات الحدودية. من ناحية أخرى أكد الاجتماع على استعمال نفس أنواع العلامات الحدودية التي استخدمت في (الترسيم) السابق ومع زيادة عدد العلامات الرئيسية من (١٢) علامة إلى (٢٠) علامة ويلاحظ أن محضر الاجتماع عاد وكرر ذات الأخطاء التي أشرنا إليها سلفا من حيث دقة المصطلحات .

(١١) محضر اللجنة الأمنية الفرعية ولجنة ترسيم الحدود المشتركة بين جمهورية السودان وجمهورية تشاد في دروة انعقادها الثانية بولاية غرب دارفور (الجنينة) الفترة من ٢ نوفمبر إلى ٤ نوفمبر ٢٠٠٠م .

(١٢) محضر فرز تصنيع ووضع العلامات الحدودية بين جمهورية السودان وجمهورية تشاد من نقطة (بلتن) وإلى النقطة الثلاثية في الحدود السودانية.

السودان وما عرف بجيش أو فصائل شعبية لتحرير دارفور . وعندما ينفلت عقد الأمن في مناطق حدودية يصبح الكلام على تخطيط أو إعادة وضع علامات تخطيط الحدود في تلك المناطق أمراً غير سائغ عملياً . ليس فقط لأن مهمة المخططين تصبح عسيرة في ظروف انفلات الأمن على الحدود . ولكن أيضاً لأن مسألة إعادة وضع علامات على الحدود لم تعد من أولويات الحكومتين في الوقت الحاضر كما يتبدى .

وبالنظر لتعقيدات ما يجري في إقليم دارفور يبدو أن الخط الحدودي ذاته قد فاقم في تصعيد التدهور الأمني في المناطق الحدودية . فكما وضحنا في فصول سابقة أن الحدود التي وضعها الاستعمار في أفريقيا قد قسمت ، في العديد من أنحاء القارة قبائل على دولتين أو أكثر . وفي هذا السياق فإن ثمة قبائل مشتركة بين السودان وتشاد في القطاع الحدودي من المنطقة الشمالية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، **الزغاوة وبني هلبه والبديات والزيادية** . كما توجد قبائل مشتركة على القطاع الحدودي من المناطق الجنوبية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر **السلامات والفلاته والبرنو والداجو والفور {فنقرو} وجزئيات من التعايشة** . وبالتالي إذا انشق أو ثار أو تمرد أي جزء من القبيلة على النظام الحاكم في مركز أي من البلدين ، الخرطوم أو إنجمينا ، فإن من الطبيعي أن يجد تعاطفاً وتفهماً من نصفه أو جزئه أو فخذه الآخر .

حدث هذا كما قرأنا في أبواب سابقة . بالنسبة لتشاد طوال أكثر من عقدين من الزمان وهو ما يحدث الآن بالنسبة للسودان منذ بضع سنوات . وقد ساهم ذلك مساهمة فاعلة وواضحة في تفاقم الأوضاع الحدودية في إقليم دارفور في الحالتين . ويلاحظ أن الحكومة التشادية قامت منذ تطور الأحداث في أوائل القرن وحتى ٢٠٠٤م بدور لافت . فقد قامت في عام ٢٠٠٣م بدور الوسيط الفاعل بين الحكومة السودانية و **{حاملي السلاح}** من أبناء دارفور بعد أن كانت السلطات الرسمية تطلق عليهم {المتمردين} تارة و {قطاع الطرق} تارة أخرى .

إن الحكومة التشادية عندما تقوم بهذا الدور فإنها تنطلق من أمرين هامين . الأول هو أن **{حاملي السلاح}** أو **{المتمردين}** أو **{قطاع الطرق}** أياً كانت الصفة التي تطلقها عليهم الحكومة ، يعسكرون في مناطق حدودية مما ينعكس بداهة على عدم الاستقرار في الحدود المشتركة بين الدولتين . وتشاد ليست أقل حساسية من السودان في هذا

الخصوص. والثاني هو الوشائج القبلية المشتركة بين عـــدد مــن {حــاملي السـلاح} أو {المتمردين} أو {قطاع الطرق} والسـلطات الحاكمة في تشاد . وربما ثمة أمر ثالث هـــو مـــحاولة الحكومة التشادية رد دين مستحق نحو الســودان [١٣] . فقد قرأنـــا فـــي أبـــواب عديدة سابقة الدور الذي لعبه السودان وخاصة على عهد حكم مايو في محـــاولات تســـوية الخلافات بين الفصائل التشادية المتعددة.

***

(١٣) لقد عقد في هذا الشأن العديد من الاجتماعات ووقعت بعض الاتفاقيات في تشـــاد تحـت رعايــة الحكومة التشادية . كما قام الرئيس التشادي إدريس دبي بعدة زيارات لم تقتصر علـــى العاصمـــة السودانية الخرطوم بل شملت أيضاً مديرية الفاشر عاصمة دارفور الكبرى.

القسم الثاني

الحدود بين السودان وليبيا

الباب الأول

الأصول التاريخية والقانونية لحدود السودان مع ليبيا

١ــ إعلان مارس ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي ينشئ ملتقى ثلاثياً بين السودان وليبيا وتشاد .

٢ــ أثر إعلان مارس ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي على حقوق الدولة العثمانية في ليبيا.

٣ــ إبرام إعلان مارس ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي يشكل مفاجأة إلى تركيا .

٤ــ تركيا تستند في دفاعها على نظرية {الهنترلاند} وفرنسا تجادل في دقة تطبيقها .

لقد أرست معاهدة الرابع عشر من يونيو ١٨٩٨م الإنجليزية الفرنسية وإعلان الحادي والعشرين من مارس ١٨٩٩م المبرم بين بريطانيا وفرنسا كما قرأنا في القسم الأول من هذا الكتاب ، الأصول التاريخية والقانونية للحدود بين مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي في أواسط أفريقيا ، ومن ثمَّ الحدود بين السودان وأفريقيا الاستوائية الفرنسية[1]. ويلاحظ أن الآثار التي نشأت عن الاتفاقيتين سالفتي الذكر بشكل عام والثانية أي إعلان مارس ١٨٩٩م بشكل خاص ، لم تكن قاصرة على تنظيم امتداد النفوذ الفرنسي في اتجاه الشرق ، أي نحو السودان فقط ، بل امتدت تلك الآثار شمالاً لتمس النفوذ التركي، وفيما بعد الاحتلال الإيطالي اللذين كانا سائدين على التتالي في الأراضي التي تعرف الآن بليبيا .

(١) انظر: Hetslet,E., Map of Africa by Treaty, 3rd ed., London, 1909,p.796.

لهذه الأسباب فإن الأصول التاريخية والقانونية التي نشأت عنها الحدود الراهنة بين السودان وليبيا ، وثيقة الصلة بالأصول التاريخية والقانونية التي نبعت منها الحدود القائمة الآن بين السودان وكل من تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى [٢] . ومن نتائج تلك الصلة أن أصبح هناك ملتقى {حدودياً ثلاثياً} Tri-Junction بين كل من السودان وليبيا وتشاد ، إذ أن للسودان حدوداً مشتركة مع ليبيا كما أن له حدوداً مشتركة مع تشاد ، وأن للأخيرة ، أي تشاد ، حدوداً مشتركة مع ليبيا .

وفيما يتصل بالأراضي التي قامت عليها في مرحلة لاحقة الحدود الحالية بين السودان وليبيا فقد نص {إعلان} Declaration مارس ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي في مادته الثالثة على أنه : {**من المفهوم ، من حيث المبدأ ، أن النطاق الفرنسي الواقع إلى الشمال من خط عرض ١٥ درجة شمالاً سيحد من جهة الشمال الشرقي والشرق بخط يبدأ من نقطة تقاطع مدار السرطان مع خط طول ١٦ درجة شرق غرينتش ثم يجري من هناك إلى الجنوب الشرقي حيث يلتقي مع خط طول ٢٤ درجة شرق غرينتش . ومن تلك النقطة يتبع الخط الحدودي خط ٢٤ درجة حتى يلتقي إلى الشمال من خط عرض ١٥ درجة ، مع خط حدود دارفور كما سيحدد في آخر الأمر**} [٣].

علمت تركيا بإعلان مارس ١٨٩٩م من برقية تلقتها من منير بك سفيرها في باريس ، بتاريخ الثالث والعشرين من مارس ١٨٩٩م، أي بعد يومين فقط من تاريخ إبرام الإعلان الأمر الذي شكل مفاجأة بالنسبة لها . وكما يبدو فإن السفير التركي استند في برقيته على ما نوهت به الصحف الفرنسية من أن {اتفاقية} قد أبرمت بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية بشأن وضعية الأراضي الواقعة خلف سواحل البحر الأبيض

---

(٢) راجع القسم الأول من هذا الكتاب وبصفة خاصة الفصل الأول .

(٣) انظر :

It is understand, in principle, that to the north of the 15th parallel the French Zone shall be limited to the north-east by a line which shall start from the point of intersection of the Tropic of Cancer with the 16th degree of longitude east of Greenwich (..) , shall run thence to the south east until it meets the 24th degree of longitude east of Greenwich and shall then follow the 24th degree until it meets, to the north of the 15th parallel of latitude, . The frontiers of Darfur as it shall eventually be fixed.

المتوسط بشكل عام والمناطق التي تقع إلى الجنوب من ليبيا ، بما في ذلك طرق القوافل في تلك الأنحاء [٤] بشكل خاص .

كان تحرك الحكومة التركية سريعاً تجاه المعلومات التي وصلتها من سفيرها في باريس . فقد وجهت بتاريخ الثامن والعشرين من مارس ، سفيريها في كل من باريس ولندن ، بإبلاغ الحكومتين البريطانية والفرنسية بأن تبعية مناطق **كانم ووداي وتيبستي وبورنو** والأراضي التي تقع شمال وشرق بحيرة تشاد وطرق القوافل بين مرزوق وبحيرة تشاد إلى فرنسا ، يتعارض تماماً مع ما سلف أن قامت به الدولة العثمانية في يونيو ١٨٩٠م . فقد سبق لها أن فرضت حقوقها بما فيها الحقوق الاقتصادية على تلك المناطق وفقاً لنظرية تبعية الأراضي خلف الساحلية {**الهنترلاند**} Hinter Land للأراضي الساحلية المحتلة [٥].

وبالفعل التقى السفير التركي في باريس بوزير الخارجية الفرنسية {ديدكاس} ونقل له توجيهات حكومته موضحاً أن ضرراً قد لحق بالدولة العثمانية وأكد السفير على أهمية احترام نظرية الأراضي خلف الساحلية {الهنتر لاند} بالنسبة لليبيا ، وفقاً لمؤتمر برلين . وذكر السفير أن حقوق الدولة العثمانية قديمة جداً على تلك المناطق . وأن قوافل طرابلس الغرب كانت تعبرها بحرية . وأضاف السفير أنه لم يكن ثمة إنكار للسلطة التركية على تلك الأنحاء فضلاً عن أنه لم تكن للحكومة الفرنسية سلطة تذكر في المناطق الواقعة ما بين كانم وطرابلس الغرب .

وردّ وزير الخارجية الفرنسي من جانبه بأنه لم يكن من أغراض الحكومة الفرنسية أن تلحق ضرراً بحقوق الدولة العثمانية أو بوحدة ممتلكاتها، مشيراً إلى أن ما اعتبرته الدولة العثمانية أراضي خلف الساحلية بالنسبة إلى ليبيا، هي في نفس الوقت تشكل أقاليم خلفية لممتلكات فرنسا حول بحيرة تشاد . وأوضح الوزير الفرنسي أن مؤتمر برلين تطلب لفرض الحقوق من جانب أي دولة على الأراضي خلف الساحلية ، أن تقوم تلك

---

(٤) انظر أرشيف وزارة الخارجية التركية رقم (٥٢٠) وثيقة رقم (١٢٣) من السفير في باريس إلى الوزارة ، ١٨٩٩/٣/٢٣ (عبدالرحمن تشايجي) ، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى في ليبيا، ١٩٨٢م ص، ١٧٧-١٨٠.

(٥) نفس المصدر السابق ، وثيقة رقم (٧٧) من الوزارة إلى السفير في باريس ، ١٨٩٩/٣/٢٨م وسنعرض لشرح هذه النظرية لاحقاً .

الدولة بالاستيلاء على تلك الأراضي ، وأن تقوم بإبلاغ ذلك للدول المعنية بالموضوع رسمياً ، وهو الشي الذي لم تفعله الحكومة التركية من قبل. ونفى الوزير الفرنسي زعم الحكومة التركية من حيث إنه لم يكن للحكومة الفرنسية علاقة بتلك الأراضي ، مؤكداً أن البعثات الفرنسية قد سبق لها أن زارت تلك الأنحاء وأن رجالاتها سيستقرون قريباً جداً في تلك الأنحاء. كما نفى الوزير الفرنسي، أن تكون للدولة العثمانية مصالح اقتصادية في تلك المناطق . واختتم الوزير الفرنسي حديثه مع السفير التركي بالتأكيد بأن الاحتجاج العثماني ليس له سند في الواقع وإنما هو أمر نظري فقط . ونوه الوزير بأن الحكومة الفرنسية ستتعهد من جانبها بعدم المساس بقوافل طرابلس لكنها ستأخذ الاحتجاج التركي كتحفظات فقط [٦].

كان للرد الفرنسي ، كما هو متوقع ، أثر سيئ بالنسبة للسفير التركي ولحكومته . وكما يبدو فإن السفير التركي كان يرى أن حكومته قد ساهمت بدورها فيما وصلت إليه الأمور . فقد عزا السفير إبرام الإعلان الإنجليزي الفرنسي إلى عدم تحرك حكومته والتزامها الحياد بالنسبة للتطورات التي طرأت في مصر ومصوع وسائر الاتفاقيات التي أبرمت بين بريطانيا وفرنسا . وركز السفير بصفة خاصة على اتفاقية التاسع عشر من يناير١٨٩٩م المبرمة بين إنجلترا وحكومة خديوي مصر، مشيراً إلى أن الفرمانات الصادرة من الباب العالي لا تسمح لمصر بأن تبرم معاهدة سياسية بالرغم من أن الاتفاقية المعنية قد نوهت بقبول حقوق السلطان العثماني على السودان . وخلص السفير التركي في مذكرته التي بعث بها لحكومته ، إلى أن الأمر يتطلب تحركاً مدروساً يؤكد على حقوق حكومته على المناطق والأراضي محل النزاع في مواجهة بريطانيا وفرنسا [٧].

وجدت ملاحظات السفير تجاوباً سريعاً من جانب حكومته ، حيث كلفته مرة أخرى بتقديم مذكرة احتجاج ضافية للحكومة الفرنسية تشرح الخلفيات التاريخية التي تؤيد وجهة نظر الدولة العثمانية والحجج القانونية التي تكشف تناقضات فرنسا وتدحض ادعاءاتها[٨]. وكما ورد في مذكرة السفير التركي أن حقوق السلطان المتنازع عليها من قبل فرنسا ، قد

---

(٦) نفس المصدر السابق ، وثيقة رقم (١٤٧) من السفير في باريس إلى الوزارة ، ١٨٩٩/٣/٣٠.

(٧) نفس المصدر السابق ، وثيقة رقم (١٩٠) من السفير في باريس إلى الوزارة ، ١٨٩٩/٤/٢٣م .

(٨) نفس المصدر السابق ، من الوزارة إلى السفير في باريس ، ١٨٩٩/٥/١٤م

فرضت من جانب الدولة العثمانية خلال مؤتمر برلين في ١٨٨٥م دون أي اعتراض من الدول الأعضاء في المؤتمر . وكانت الدولة العثمانية قد أخطرت ممثلي فرنسا وبريطانيا بتلك الحقوق على إثر إبرام تينيك الدولتين لمعاهدة ١٨٩٠م . ولقد سبق أن أكدت بريطانيا وفرنسا للدولة العثمانية بأن معاهدة ١٨٩٠م الإنجليزية الفرنسية ، لا تمس سياسة الصداقة التقليدية التي كانت قائمة وقتئذ بينهما ، والدولة التركية ، فضلاً عن أن منطقة النفوذ الفرنسي تقع إلى الجنوب من ممتلكاتها المطلة على البحر الأبيض المتوسط كما نصت على ذلك المادة الثانية من المعاهدة المذكورة (٩) .

لقد تناولت المذكرة التي رفعها السفير التركي في باريس مفهوم نظرية الأراضي خلف الساحلية على ضوء الوقائع التاريخية ، حيث أكدت أن فرنسا كانت قد لجأت لتلك النظرية باعتبارها من قواعد الحقوق الدولية ، في سبيل إثبات حقوقها على الأراضي التي تقع إلى الجنوب من حيازاتها المطلة على البحر الأبيض المتوسط . ونوهت المذكرة التركية بأن كلمة {Hinter-Land} أصلها ألماني وهي تعني الأراضي التي تقع خلف الأراضي الساحلية المحتلة. وذهبت إلى أن التعريف القانوني لنظرية الأراضي خلف الساحلية هو الأراضي الواقعة إلى الخلف من المنطقة الساحلية التي تم احتلالها ، وتمتد حدودها إلى أن تلتقي بحدود منطقة تم الاتفاق عليها وهي حدود أراض خلف الساحلية لدولة أخرى .

وخلصت مذكرة الاحتجاج التركية بالتركيز على أن بريطانيا وفرنسا لم تعترضا على حقوق السلطان عندما فرضت لأول مرة . وبالتأكيد على أن فرنسا سبق أن استندت على نظرية الأراضي خلف الأراضي الساحلية المحتلة ، عندما كان تطبيق النظرية لصالحها . وأضافت أن الاتفاقيات التي تبرم حول أراض ساحلية لا يجوز لها أن تمس أو تخل بحقوق طرف ثالث . ثم أن هناك أدلة عديدة تشير لحقوق السلطان في مناطق كانم ووداي وبورنو وتيبستي من حيث إرسال الموظفين والقضاة ورجال الدين ورحلات القوافل التي كانت بين ليبيا وهذه المناطق (١٠).

---

(٩) نفس المصدر السابق ، وثيقة رقم (٢٤٩) من السفير في باريس إلى الوزارة ، ١٨٩٩/٥/٢٢م .
(١٠) نفس الوثيقة السابقة .

الثابت أن فرنسا لم تكن مستعدة لقبول وجهة النظر التركية . فقد رفضت بوضوح تام الطرح التركي لنظرية الأراضي التي تقع خلف الأراضي الساحلية المحتلة . وقد أوضحت السلطات الفرنسية بجلاء أن النفوذ الفرنسي سوف يمتد من الغرب إلى الشرق دون تحديد وأن فرنسا قد تحركت سلفاً على هذا الأساس . وكشفت فرنسا النقاب بأن النفوذ الليبي كان قاصراً فقط على منطقة فزان ، أما المناطق التي قامت فرنسا بالاستيلاء عليها فإنها خالية وقدتم الاستيلاء عليها بموجب مفاوضات تمت مع الرؤساء المحليين [11].

وأكدت المذكرة التي بعثت بها الحكومة الفرنسية بتاريخ الخامس من يونيو ١٨٩٩م ، رداً على مذكرة الاحتجاج التركية أن الإعلان المذكور لم يقصد منه أن ينتهك الحقوق الشرعية للسلطان في الأراضي المرتبطة بـ ليبيا . ذلك أن الأراضي التي شملها الإعلان لم ترتبط بأية دولة ، والدليل على ذلك أن الوفود الفرنسية لم تلمس أي أثرٍ تركياً في تلك الأنحاء . وانتهت المذكرة إلى أن الحكومة الفرنسية لا تريد انتهاك مبدأ وحدة ممتلكات السلطان كما أنها تأمل أن يطمئن الباب العالي إلى أن ما تقوم به فرنسا لا يمس الصداقة التقليدية [12].

***

---

(١١) نفس المصدر السابق ، مذكرة فرنسا ، ١٨٩٩/٦/٥م .

(١٢) نفس المصدر السابق .

الباب الثاني

تقاطع الحقوق الاقتصادية والدينية للدولة العثمانية مع مصالح بريطانيا وفرنسا وإيطاليا

١ـ بريطانيا وفرنسا تنفيان تعارض إعلان مارس ١٨٩٩م مع الحقوق التركية.

٢ـ إيطاليا تدعم تركيا ثم تنسحب عنها على ضوء وعود فرنسية لصالحها .

٣ـ ماذا تعني معاهدة ١٩٠٠ الإيطالية الفرنسية ؟.

٤ـ ماذا تعني معاهدة ١٩٠٢ الإيطالية الفرنسية ؟.

مثلما تحركت الحكومة التركية تجاه فرنسا تحركت أيضاً تجاه الحكومة البريطانية ، بيد أن التحرك الدبلوماسي التركي مع بريطانيا لم يحقق شيئاً مجدياً بالرغم من أن الرد البريطاني لم يكن حاداً وقاطعاً مثل الرد الفرنسي . فلقد تقدم السفير التركي في لندن بمذكرة احتجاج إلى الحكومة البريطانية ضد إعلان ١٨٩٩م ، بتاريخ السابع عشر من مايو ١٨٩٩م ، لافتاً انتباه وزارة الخارجية البريطانية للآثار المترتبة عن ذلك الإعلان على الحقوق التركية . وركزت مذكرة الاحتجاج على أن الإعلان أخل بالحقوق الاقتصادية والدينية الخاصة بالدولة العثمانية في المناطق التي تقع على الحدود الجنوبية لطرابلس [١] .

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية:

F.O./27/3456. Minute of a note presented by the Turkish Ambassador in London, 17/5/1899., for the not of the Turkish Ambassador to Lord Salisbury, see No.66 (in) Affairs of Egypt, Note.12.

وكان رد الدبلوماسية البريطانية منصباً على أن الإعلان المذكور قد أرسى حدوداً معينة تتعلق بأراض ونفوذ سياسي حصلت عليه كل من بريطانيا وفرنسا ، وأن الإعلان لم يتطرق لمسألة الحقوق القائمة فعلاً . وأكد الرد البريطاني أن أية مسألة تتعلق بالحقوق يمكن للحكومة التركية أن تتولى أمر مناقشتها في الوقت المناسب مع الدولة التي قد يكون لها الاختصاص على الأراضي التي يطالب بها السلطان . وكما هو واضح فإن الحكومة البريطانية قد ألمحت بأنه إن كان ثمة اعتراض فيجب أن يوجه إلى فرنسا باعتبارها الدولة المعنية [٢].

أما إيطاليا التي كانت تعقد عليها تركيا بعض الآمال في صراعها مع فرنسا بشأن الأراضي خلف الساحلية بالنسبة إلى ليبيا ، فقد كان موقفها غامضاً ومتناقضاً . في بداية الأمر أكد وزير الخارجية الإيطالي للسفير التركي في روما حرص الحكومة الإيطالية على وحدة الممتلكات التركية . وأشار له بأن ما تود فرنسا أن تقوم به بمقتضى إعلان مارس ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي سيقطع طرق التجارة بين ليبيا وأواسط أفريقيا . وهذا الأمر يتطلب من الدولة العثمانية التحرك السريع للمحافظة على حقوقها التي أصبحت معرضة للخطر . ونوه الوزير الإيطالي بأن حكومته على استعداد بأن تتيح الفرصة للدولة العثمانية للعمل لتأمين مصالحها غير أن حياد إيطاليا لن يطول إذا فشلت الدولة العثمانية في التحرك [٣] .

إن الذي أملى ذلك التوجه على الحكومة الإيطالية كما عبر عن ذلك السفير التركي إلى حكومته بتاريخ الحادي عشر من أبريل ١٨٩٩م ، هو ما بدا لها من مخاوف وشكوك بإمكانية أن تقوم فرنسا بالاستيلاء على طرابلس فيما بعد بموافقة بريطانيا . ودرءاً لتلك المخاوف والشكوك فقد شهدت تلك الفترة اتصالات دبلوماسية مكثفة بين السلطات الإيطالية والبريطانية من جانب والسلطات الإيطالية والفرنسية من جانب آخر [٤]. وفي ذلك الإطار تحدث السفير الإيطالي مع وزير الخارجية البريطاني اللورد ساندرسون {Sanderson} في الرابع من أبريل ١٨٩٩م ، حيث عبر له عن الانطباع السيئ الذي تركه

---

(٢) نفس الوثيقة السابقة .

(٣) ارشيف وزارة الخارجية التركية رقم (٥٢٠) وثيقة رقم (٥٥) ، من السفير في روما إلى الوزارة ، ١٨٩٩/٣/٢٨م .

(٤) انظر المصدر السابق ، وثيقة رقم (٦٣) ، من السفير في باريس إلى الوزارة ن ١٨٩٩/٤/١١م .

الإعلان الإنجليزي الفرنسي في إيطاليا فضلاً عن أنه كـــان مفاجـأة بالنسـبة للحكومـة الإيطالية [٥] .

لقد جاء في الرد البريطاني : {إن إعلان الحادي والعشرين مـن مـارس ١٨٩٩ والمتعلق بالأرض الواقعة إلى الشمال من خط عرض ١٥ درجة قد صيغ بحـذر علـى نحو سلبي . فالبرغم من أنه وضع حداً لأي تقدم فرنسي في اتجاه الشرق أو أي تقـدم بريطاني نحو الغرب إلا أنه لم يعترف أو قصد منه أن يصدر حكماً في حقوق أو دعـاوي أخرى }. وأضاف اللورد ساندرسون: **{أن الفقرة الواردة في الإعلان والخاصـة بتعيين خط الحدود بواسطة مفوضين لا تنطبق على هذا الجزء من الخط . وأنه قد تم الاتفـاق بين اللورد ساليسبوري والسفير الفرنسي على ألا تكون هناك اتفاقية أو كلمات تتضمـن اتفاقٍ يختص بتحديد الأراضي المعينة}** [٦] .

أما الاتصالات الدبلوماسية المكثفة التي جرت بين السلطات الإيطالية والفرنسية فـقد تمخضت عن نتائج أكثر إيجابية بحسبان أن موقف فرنسا هو الأهم بالنسبة لإيطاليا. فقـد قدم السفير الفرنسي في روما {باريز} وعودا مقتضاهـا أن فرنسـا سـوف تمتنـع عـن الاستيلاء على طرابلس ، وأنها لن تقوم بأي تصرف من شأنه أن يعرقل طـرق القوافـل التجارية . بالإضافة إلى استعداد فرنسا لمساندة إيطاليا في احتلالها لليبيـا فـي نهايـة المطاف ، مقابل أن يكون لفرنسا الحرية في تحركها في منطقـة المغـرب وكذلـك فـي الأراضي خلف الساحلية بالنسبة إلى ليبيا [٧].

استناداً على تلك الوعود سارعت إيطاليا بإخطار السفير التركي فـي رومـا فـي الثامن من أبريل ١٨٩٩م بأن الإعلان الإنجليزي الفرنسي لا يمس طـرق القوافـل ، وأن الدولة العثمانية قد بالغت كثيراً في تضخيم رقعة الأراضي خلف الساحلية بالنسـبة لليبيـا وأنه لم يكن للدولة العثمانية سلطة فعلية تتركز على تلك المناطق [٨] . وهكذا خلال فـترة قصيرة جداً غيرت إيطاليا من موقفها الذي سبق أن أبلغته للحكومة التركية ، لكـن مثـل ذلك التغيير كان مفهوماً في إطار الدبلوماسية التي صنعت الحدود في أفريقيا .

---

(٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية :

F.O./27/3411, Minute of a conversation between the Italian Ambassador in London and Lord Salisbury, 4/4/1899

(٦) نفس وثيقة وزارة الخارجية البريطانية السابقة .

(٧) راجع : عبدالرحمن تشايجي ، الصراع التركي الفرنسي فـي الصحـراء الكـبرى ، الجماهيريـة العربيةالليبية الشعبية ، ١٩٨٢م ، ص، ١٧٧ إلى ١٨٠.

(٨) نفس المصدر السابق .

وكما كان متوقعاً فقد تبلورت الوعود الفرنسية إلى ما عرف باتفاقية ١٩٠٠م الفرنسية الإيطالية ، حيث تعهدت فرنسا بتاريخ الرابع عشر من ديسمبر ١٩٠٠م كتابة عن طريق سفيرها في روما ، بأن لا تقوم باجتياز الحدود التي رسمت بمقتضى إعلان ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي ، ويقصد بتلك الحدود التي تتعلق بطرابلس وبنغازي. ورد وزير الخارجية الإيطالي بتاريخ السادس عشر من نفس الشهر مؤكداً عدم اهتمام إيطاليا بأية تحركات فرنسية نحو المغرب . هكذا تم العرض وتم القبول [٩] .

ويبدو أن الحكومتين حاولتا التزام السرية بشأن هذه الصفقة الدبلوماسية، لكن الحكومة التركية استطاعت أن تكشفها بعد عام من إبرامها . وعلى ضوء ذلك قامت بكل التحركات الدبلوماسية المتوافرة لديها بما في ذلك اتصالها بالدول التي اشتركت في مؤتمر برلين لتسليط الأضواء على المخاطر الكامنة في تلك الصفقة . وانصب تركيز الحكومة التركية على أن الاتفاقية تجاهلت مقررات مؤتمر برلين التي ضمنت من بين أمور أخرى وحدة الحيازات العثمانية . وقد قوبلت حملة الحكومة التركية بردود فعل متباينة من الدول المعنية . بيد أن الذي يهمنا في إطار موضوعنا أن نذكر أن الحكومة البريطانية كانت قد أوحت للحكومة التركية بأن الاتفاقية الفرنسية الإيطالية ما هي إلا تأكيد لمعاهدة ١٨٩٨م وليست اتفاقاً جديداً بين إيطاليا وفرنسا [١٠].

ودفعت الحملة الدبلوماسية التي قامت بها الدولة العثمانية ضد اتفاقية ١٩٠٠م الإيطالية الفرنسية ، الحكومة الإيطالية لتصعيد تحركها حيث قامت بتكثيف اتصالاتها

---

(٩) نفس المصدر السابق .

(١٠) انعقد مؤتمر برلين في ١٨٨٤ – ١٨٨٥م بمبادرة من ألمانيا لمناقشة ثلاث مسائل رئيسية هي:

أ/ حرية التجارة في حوض ومصب نهر الكونغو .

ب/ تطبيق المبادئ التي أقرها مؤتمر فيينا في ١٨١٥م بشان سلامة وتأمين حرية الملاحة في الأنهار الدولية علىنهري الكونغو والنيجر .

ج/ تحديد الشكليات التي يجب مراعاتها قبل القيام باحتلال جديد لأي أراض ساحلية في أفريقيا على أن يكون الالتزام بالشكليات المحددة شرطا للاعتراف الدولي بالاحتلال .وقد وقعت على القانون الصادر عن ذلك المؤتمر ١٤ من القوى الأوربية .

والواقع أن مؤتمر برلين على أهميته لم يكن هو نقطة البدء في بلورة الحدود في أفريقيا كما يرى بعض الكتاب . ذلك أن المسائل الإقليمية قد استبعدت صراحة من أجندة المؤتمر وتركت لاتفاقات ومفاوضات ثنائية استغرقت العديد من السنين بعد المؤتمر .

راجع في هذا الصدد :

1. ,1966,p.334.

2. Sanderson, C.N., England, Europe and the Upper Nile.

الدبلوماسية مع الدولتين المعنيتين في الأساس باحتلال الأراضي في أفريقيا وهما بريطانيا وفرنسا . وبالفعل استطاعت أن تبرم خلال وقت قصير اتفاقية الثاني عشر من مارس ١٩٠٢م مع بريطانيا، وهي الاتفاقية التي حققت من خلالها إيطاليا تحييد بريطانيا فيما يتصل برغبتها في احتلال ليبيا ، ويبدو أن ظروفاً عديدة ساعدت في التوصل لتلك الاتفاقية أهمها أن بريطانيا كانت حريصة على الحفاظ على الوضع الراهن في ليبيا باعتبار أن من شأن ذلك تأمين أمن مصر، والإبقاء على الوضع الذي كان قائماً في البحر الأبيض المتوسط ، والواقع لقد رأت الدبلوماسية البريطانية أن ثمة دوراً يمكن أن تلعبه إيطاليا من حيث التوازن في وجه فرنسا في منطقة البحر الأبيض المتوسط . فكانت الاتفاقية المذكورة (١١).

ثم جاء التصعيد الآخر للدبلوماسية الإيطالية بإبرام اتفاقية الثلاثين من يونيو ١٩٠٢م مع فرنسا ، وهي التي حققت لها ما تصبو إليه من حيث حرية التحرك في ليبيا مقابل أن يكون لفرنسا الحرية في المغرب . بالإضافة إلى التزام إيطاليا بالحياد في حالة أي هجوم على فرنسا أو في الحالة التي تقوم فرنسا فيها بهجوم من جانبها (١٢).

ويتجه الرأي الغالب إلى أن إيطاليا قد اعترفت بإعلان ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي وان ذلك الاعتراف قد تم في محادثات{برينيتي – باريري} Prinette-Baerere حيث كتب الوزير الإيطالي {برينيتي} إلى السفير {باريري} بشأن اتفاقية ١٩٠٢م قائلاً **{نتيجة لتحديد التوسع الفرنسي في شمال أفريقيا فقد أصبح مفهوماً أن حدود طرابلس المؤشرة في الخريطة الملحقة بإعلان الحادي والثلاثين من مارس ١٨٩٩م مكملة لمعاهدة الرابع عشر من يونيو ١٨٩٨م الإنجليزية المصرية} (١٣) .**

---

(١١) انظر : محمود حسنى منسى ، الحملة الإيطالية على ليبيا : دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية القاهرة ، ١٩٨٠م، ص، ٣٣٠.

(١٢) انظر :

1.Cana, F.R., (Egyptian and Sudan Frontiers) Contemporary Review (1914),p.672.

2.Shaw,W.B., International Boundaries of Libya Geographical Journal , Vol.85 (1935),p.50.

(١٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية :

F.O./371/15433; Enclosure (2) in No.(1), a note entitled (the Southern Frontiers of Libya by D.Newbold, Kassala,25/3/1931.

تلك كانت الخلفيات التاريخية والأصول القانونية للحدود بين السـودان وليبيـا أو بالأحرى للأراضي والظروف التي قامت فيما بعد عليـها الحـدود السـودانية الليبيـة . والواضح أن الصراع كان معقداً وشائكاً بين الدولة العثمانية من جانب وفرنسا وبريطانيـا من جانب آخر . والمعلوم أن السيادة التركية على ليبيا قد انتهت بالاحتلال الإيطالي لليبيـا في ١٩١٢م لكن الصراع على حدود ليبيا الجنوبية والجنوبية الشرقية لم ينته بـل تعـاظم وتفاقم .

***

الباب الثالث

إيطاليا تسعى قانوناً لإثبات تعارض حدود معاهدة ١٩١٩م مع حدود إعلان مارس ١٨٩٩م

١ـ إيطاليا تحتل ليبيا في ١٩١٢م وتدخل الحرب العالمية الأولى مقابل وعود بالتوسع جنوباً .

٢ـ مذكرة قانونية وفنية إيطالية تثبت التعارض بين حدود ١٨٩٩م وحدود ١٩١٩م.

٣ـ المذكرة الإيطالية تربك الدبلوماسيين البريطانيين في وزارة الخارجية البريطانية .

٤ـ المستشار القانوني للخارجية البريطانية يرى أن إعلان ١٨٩٩م حدد مناطق نفوذ سياسي فقط .

لقد أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في أواخر ١٩١١م ، واستطاعت بعد قصف قصير احتلال طرابلس . وبالطبع لقد شجع تورط تركيا في البلقان وضعفها الذي تبدى في أفريقيا على إقدام إيطاليا على ذلك الاحتلال . وعندما أدركت تركيا انهزامها في البلقان أصبحت أكثر من مستعدة للدخول في اتفاق سلام بشأن وضعها في ليبيا . وهو ما تبلور في اتفاقية الثامن عشر من أكتوبر ١٩١٢م . وبعد وقت ليس بالطويل أبرمت إيطاليا في ١٩١٥ معاهدة لندن ، التي دخلت بموجبها الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء . وكان المقابل لذلك أن تطالب إيطاليا بتعويض عادل، كما يكون لها أن تتوقع معاملة أفضل فيما يتصل بتسوية حدود المستعمرات الإيطالية في إريتريا والصومال وليبيا في حالة توسيع أراضي فرنسا وبريطانيا في أفريقيا على حساب ألمانيا .

ذكرنا في القسم الأول من الكتاب {الحدود بين السودان وتشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى} أن السلطات البريطانية والفرنسية قد اتفقت خلال مفاوضات مؤتمر باريس للسلام الذي عقد في ١٩١٩م على معاهدة الثامن من سبتمبر ١٩١٩م الخاصة بحيازاتهما في شمال وأواسط أفريقيا . ونوهنا بأن معاهدة ١٩١٩م تكتسب أهمية خاصة بالنسبة للحدود بين السودان وليبيا فضلاً عن أهميتها بالنسبة للحدود بين السودان وتشاد كما رأينا ذلك . ولقد أرجأنا مناقشة ما جاء فيها بشأن الحدود بين السودان وليبيا إلى هذا القسم من الكتاب .

في الثلاثين من أغسطس ١٩٢١م ، أي بعد عامين من إبرام معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية ، قامت وزارة الخارجية البريطانية بإرسال نصها إلى السفارة الإيطالية في لندن . وجاء في الخطاب الذي أرفقت معه . أن المعاهدة قد وضّحت Explained إعلان ١٨٩٩م الإنجليزي الفرنسي [١] . لقد أرسلت معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية إلى الحكومة الإيطالية في وقت مشحون بالعواطف ذات الطابع العدائي لفرنسا . فمنذ الحرب العالمية الأولى كان الرأي العام الإيطالي ، كما انعكس في الخطب التي قدمت في المؤتمر الاستعماري الذي عقد في روما ١٩١٩م ، وكما عبرت عنه الصحافة الرسمية وغير الرسمية ، كان يطالب بتغيير في الحدود الجنوبية لليبيا على حساب فرنسا. وقد استندت المطالبة الإيطالية ، في المقام الأول ، على معاهدة لندن ١٩١٥م ، التي دخلت إيطاليا بمقتضاها الحرب إلى جانب الحلفاء .

قامت الحكومة الإيطالية بدراسة دقيقة لمعاهدة ١٩١٩م مقروءة مع إعلان ١٨٩٩م، وتمخضت تلك الدراسة عن مذكرة مطولة يغلب عليها الطابع الفني والقانوني قامت الحكومة الإيطالية بإرسالها إلى وزارة الخارجية البريطانية ، بتاريخ الثامن عشر من سبتمبر ١٩٢١م كرد على خطابها . ويمكن تلخيص تلك المذكرة في أن معاهدة ١٩١٩م لم توضح {Explain} [٢] إعلان ١٨٩٩م كما زعم خطاب وزارة الخارجية البريطانية ولكنها عدلت أو نقحت {Modified} في الواقع نص الإعلان . ذلك أنه لو كان الغرض

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./171/664,Lord Marques to the Italian Ambassador in London.30/8/1921.

(٢) انظر :

Shaw. W.B., International Boundaries of Libya, Geographical Journal, Vol.85 (1935), p.50.

الوحيد من معاهدة ١٩١٩م هو {توضيح} نصوص إعلان ١٨٩٩م [٣] لمـــا كـــان هنـــاك تناقض بين صياغة الوثيقتين . فقد استعملت معاهدة ١٩١٩ وهي تعيد للأذهان نصـــوص إعلان ١٨٩٩م ، عبارة {سيجري الخط نحو "Towards" الجنوب الشرقي وليس عبارة فـــي {In} الاتجاه شرق . ووفقاً لوجهة النظر الإيطالية أن التغيير الذي طرأ على اللغـــة التـــي استعملت أصلاً في إعلان ١٨٩٩م أي استعمال كلمة {نحو} بدلاً عن كلمة {في} من شـــأنه أن يساهم في بلورة حجج تعضد الرأي القائل بأن خط الحدود ســـيتبع {اتجاهـــاً} جنوبيـــاً شرقياً وليس {الاتجاه} الجنوبي الشرقي إلى أن يصل إلى النقطة التي يلتقي فيها خط طـــول ٢٤ درجة شرق مع خط عرض ١٩ درجة و٣٠ دقيقة . على ضوء ذلك التحليـــل أكـــدت الحكومة الإيطالية أن صياغة إعلان ١٨٩٩م لم تكن غامضة بأي حال مـــن الأحـــوال ولا تحتاج لتوضيح ، فلقد أرست بلغة الحساب الدقيقة اتجاهاً يجب أن تجـــري فيـــه الحـــدود المحددة جغرافياً [٤].

وذكّرت المذكرة الإيطالية أن المادة الثالثة من الإعلان نصت علـــى أن يبـــدأ خـــط الحدود من نقطة تقاطع مدار السرطان مع خط طول ١٦ درجة شرق غرينتش وعلـــى أن يجري الخط {في الاتجاه جنوب شرق} . وأضافت أن تعريف الحدود ، استناداً على ذلـــك يعني بوضوح أن اتجاه الحدود يجب أن يكون على وجه الدقة جنوب شرق . وعلى ذلـــك فإن الحدود المشار إليها في معاهدة ١٩١٩م لا تتفق مع ما جاء في الإعلان.

وتأكيداً لوجهة نظرها بوجوب أن تجري الحدود في اتجاه جنوبي شرقي مع عـــدم جواز توجيهها لأي جانب إشارت مذكرة الحكومة الإيطالية إلى عدد من الخرائـــط التـــي تؤيد حجتها . ومن ذلك خريطة العالم البريطانية مقاس{١ سم مقـــابل ١,٠٠٠.٠٠٠} التـــي أصدرتها مصلحة المساحة البريطانية عام ١٩١٤م ، وخريطة الســـودان مقاس {١ســـم مقابل ٣,٠٠٠.٠٠٠} رقم {٢٦٩٢} التي نشرتها وزارة الحربية البريطانيـــة فـــي يوليـــو ١٩١٤م . وكما جاء في المذكرة الإيطالية فإن هاتين الخريطتين قد فسرتا كلمـــات المـــادة الثالثة من إعلان مارس ١٨٩٩م بدقة كاملة بحيث يجب التحصيل بأن الخرائط البريطانيـــة أضفت على مسار خط الحدود اتجاه الجنوب شرق . وبالإضافة إلـــى ذلـــك فـــإن هنـــاك

---

(٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./171/664,Italian Ambassador to Lord Marques .18/9/1921.

(٤) نفس الوثيقة السابقة .

خريطة رسمية صادرة من وزارة الخارجية الإيطالية منذ عام ١٩٠٦م تؤيد وجهة نظر إيطاليا فضلاً عن أنها توضح مسار الحدود في اتجاه الجنوب شرق على نحو يكاد يتطابق تماماً مع الخرائط البريطانية [٥] .

والواقع أن إعلان مارس ١٨٩٩م لم يتضمن أي خريطة وبالتالي فإنه لا يوجد خلافاً لعبارة {**جنوب شرق يلتقي مع خط طول ٢٤ درجة**} أي مؤشر لتحديد الوضع الدقيق للحدود . وقد نتج عن ذلك أن تم ترسيم الخط بواسطة جغرافيين متعددين حيث التقى مع خط طول ٢٤ درجة في أماكن مختلفة . ومثال ذلك فإن خريطة وزارة الحربية مقاس (١) سم مقابل (٤) آلاف، الصادرة بشأن السودان في ١٩٠٤ جعلت تقاطع خط طول ٢٤ درجة شرق في خط عرض ١٨ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً. ويلاحظ أن خريطة السودان مقاس (١) سم (٣) آلاف الصادرة بشأن السودان في ١٩١٤م جعلت تقاطع خط طول ٢٤ درجة شرقاً في خط عرض ١٥ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً . بيد أن طبعة ١٩٢١م لنفس الخريطة ، أي التي صدرت بعد معاهدة ١٩١٩م ، قد وضعت تقاطع خط طول ٢٤ درجة شرقاً في خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ دقيقة . وأوضح أطلس التايمز الصادر في ١٩٢٢م التقاطع مع خط عرض ١٨ درجة شمالاً [٦].

إن المغزى العملي لكل الجدل القانوني والفني الذي ساقته إيطاليا هو أن {**التعديل**} وليس {**التوضيح**} أو {**التنقيح**} الذي طرأ على إعلان مارس ١٨٩٩م بمقتضى معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية ، يعني أن إيطاليا قد فقدت أراضي تبلغ مساحتها ١٧٥,٠٠٠ كيلو متر مربع . لكن الأهم من كل ذلك ، وفقاً لوجهة النظر الإيطالية ، هو أن إيطاليا ستفقد اتصالها القائم بين كفرة والمناطق الجنوبية إذ أن مقتضى {**التعديل**} الذي حدث على الحدود هو أن تكون الأراضي الإيطالية قاصرة على كفرة . واستناداً إلى هذا التحصيل فقد عبرت الحكومة الإيطالية عن أسفها ودهشتها بشأن أن يقوم حليفان بإبرام معاهدة {تؤثر على حقوق طرف ثالث} . وبذلك سجلت الحكومة الإيطالية احتجاجها وعدم اعترافها على أي نحو بنصوص معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية التي عدلت حدود ١٨٩٩م دون مشاركة إيطاليا ولضررها . وجاء في ختام المذكرة الإيطالية الموجهة

---

(٥) نفس الوثيقة السابقة .

(٦) انظر: Shaw,op.cit.

لوزارة الخارجية البريطانية : {**إن الحكومة الإيطالية مضطرة لتأخذ هذا الموقف بالنسبة لإعادة تثبيت الوضع الراهن ليس فقط حماية لمصالح إيطاليا ولكن أيضاً لإنقاذ سمعة إيطاليا في مواجهة سكان ليبيا**} (٧).

بغض النظر عما نصت عليه معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية من أن المادتين الثانية والثالثة من إعلان مارس ١٨٩٩م قد تم {**توضيحهما**} أو قد تم {**تعديلهما**} وفقاً لوجهة النظر الإيطالية ، فإن نظرة إلى الخريطة التوضيحية رقم (١) تجعل من الصعب على المرء أن ينكر بأن مؤدى معاهدة ١٩١٩م هو تحويل الحدود إلى أعلى في اتجاه شمالي . وكما يبدو فإن هذا التحويل قد منح فرنسا من ناحية أخرى مساحة من السودان هي التي تتابع حدوده الشمالية ، خط عرض ٢٢ درجة شمالاً ، والذي من المفترض أن يمتد غرباً حتى تقاطع الخط الذي حدد ابتداءً بإعلان مارس ١٨٩٩م وعدل فيما بعد بالخط المحدد بمعاهدة ١٩١٩م . وبنفس المنطق فإن معاهدة ١٩١٩م أضافت لفرنسا جزءاً من الأراضي خلف الساحلية بالنسبة لطرابلس (٨).

لقد أثارت المذكرة التي تقدمت بها الحكومة الإيطالية ، وركزت في مسائل قانونية هامة ، وهي أن إيطاليا رفضت صراحة الاعتراف بمعاهدة ١٩١٩م على أساس أنها عدلت الحدود التي أرساها إعلان ١٨٩٩م دون أي تدخل منها وضد مصلحتها . وبالرغم من أن المذكرة الإيطالية لم تشر إلى القانون الدولي صراحة ، إلا أن من المفترض أن إيطاليا رفضت أن تعترف بالمعاهدة اعتماداً على المبدأ القانوني الثابت وهو أن{**المعاهدات لا تفرض التزامات كما أنها لا تضفي حقوقاً على الطرف الثالث**}Treaties nec nocent nec prosunt . وجوهر هذا المبدأ في القانون الدولي هو أنه لا يجوز للأطراف المتعاقدين في معاهدة أن يفرضوا التزاماً على دولة أخرى ليست طرفاً في المعاهدة دون موافقتها . وحقيقة أن هناك بينة كافية تشير إلى أن تصرف الحكومة الإيطالية الرافض لمعاهدة ١٩١٩م متفق تماماً مع هذا المبدأ ومع ممارسات الدول والسوابق وقانون المعاهدات (٩) .

---

(٧) راجع الوثيقة: F.O./141/664. Taliani to Lord Marguess. 18/9/1921.

(٨) راجع الخريطة التوضيحية رقم (١) في ملاحق هذا القسم .

(٩) المادة (٣٤) من اتفاقية فيينا في قانون المعاهدات لسنة ١٩٦٩م . وانظر أيضاً :
Sinclair, I.M., The Vienna convention on the Law of Treaties, Manchester, 1973.p.76.

لقد تبنّت المحاكم الدولية وعلى نحو مستمر الرأي القائل بأن المعاهدات ثنائية أم جماعية لا تفرض أي التزام على الدول التي هي ليست طرفاً فيها كما أنها لا تغير حقوقها القانونية بأي شكل من الأشكال دون الحصول على موافقتها . وفي هذا الصدد نلفت النظر إلى {قضية بالماس} Palmas case . لقد أسست الولايات المتحدة الأمريكية دعواها على جزيرة {بالماس} اعتماداً على تنازل صدر من أسبانيا ومقتضاه أنها نقلت لها كل حقوق السيادة التي يمكن أن تكون قد حصلت عليها في المنطقة الموضحة بالمادة الثالثة من معاهدة باريس ١٨٩٨م وكذلك كل الحقوق المتعلقة بجزيرة بالماس . لقد قال القاضي {هيوبر} Huber في معرض قراره كمحكم : **{بالرغم من أن هناك آراء متعارضة بالنسبة لامتداد التنازل الخاص بجزر أسبانية معينة تقع خارج حدود المعاهدة ، إلا أنه يبدو أن الدولة المتنازلة لم تتوقع أن يشمل التنازل أراضي لا يكون لأسبانيا فيها سند صحيح ، حتى ولو كانت تقع في إطار الحدود المذكورة في المعاهدة . ومن الثابت أنه مهما كان التفسير الصحيح للمعاهدة فإنها لا يمكن أن تفسر على نحو يتدخل في حقوق طرف ثالث مستقل}** (١٠). وأضاف القاضي هيوبر وهو يرفض قانونية الاعتماد على معاهدات وقعت بين الطرفين ضد مصلحة طرف ثالث ، قائلاً : **{يبدو أنه من الثابت أن المعاهدات التي أبرمتها أسبانيا مع دولة ثالثة تعترف لها بالسيادة على الفلبين لا يمكن أن تكون ملزمة لهولندا}**. وأكد هيوبر في مجال آخر من قراره أن سند هولندا مهماً كان مبدئياً أو ضئيلاً {Inchoate title} لا يمكن أن يعدل بواسطة معاهدة أبرمها أطراف آخرون (١١) .

وأكدت المحكمة الدائمة للعدل الدولية في قضيتين لاحقتين ما ذهب إليه القاضي هيوبر من مذهب . ففي القضية الأولى وهي قضية المناطق الحرة في سافوي العليا {Free zone of Upper Savoy and the district of Gex} قررت المحكمة أن المادة (٤٣٥) من اتفاقية فرسايل **{لم تكن ملزمة لسويسرا التي هي ليست طرفاً في الاتفاقية إلا إلى الحد الذي قام ذلك البلد بقبولها }** (١٢).

---

(١٠) انظر: Reports of International Arbitral A wards. Vol.11(1926)

(١١) نفس المصدر السابق .

(١٢) انظر: The permanent Court of International Justice (1932) , Series A/B, No.46,p.141.

وكانت القضية الثانية هي قضية الاختصاص الإقليمي للجنة الدولية الخاصة بنهر الأودر {The territorial jurisdiction of the International Commission of the River Oder} فقد تبنت المحكمة وجهة نظر مقتضاها أن معاهدة بارسلونا لسنة ١٩٢١م الخاصة بنظام الممرات المائية الدولية الصالحة للملاحة لم تكن ملزمة لبولندا على أساس أنها لم تكن طرفاً فيها [١٣]. وهكذا فإن المعاهدات ثنائية أم جماعية لا يمكن أن تؤثر على حقوق غير الأطراف فيها .

على ضوء ما ذكرناه أعلاه يستطيع المرء أن يتفهم قوة الحجة الإيطالية ضد معاهدة ١٩١٩م . خاصة وأن المعاهدة والإعلان قد تم التوقيع عليهما بين إنجلترا وفرنسا وأن أياً من تركيا أو إيطاليا لم تكونا طرفاً فيهما. وبالتالي فإن الوثيقتين لا يجوز لهما التعرض لأي أراض تتبع لطرف ثالث ، أي أن الحقوق التي كانت أصلاً تركية وورثتها عنها إيطاليا لا تتأثر بأي وثيقة لم تكن تركيا أو إيطاليا طرفاً فيها .

لقد أثارت المذكرة الإيطالية إرباكاً في داخل أروقة وزارة الخارجية البريطانية . وكما يبدو فإن المذكرة الإيطالية شكلت مفاجأة بالنسبة لوزارة الخارجية البريطانية . ولهذه الأسباب فقد دارت مداولات ومناقشات داخلية عديدة استغرقت عاماً كاملاً قبل أن تتمكن وزارة الخارجية البريطانية من أن تتوصل لصياغة ردها على المذكرة الإيطالية . وفي سبيل ذلك أعدت الكثير من المذكرات الداخلية كما جرت العديد من المحادثات المهمة كما سيتضح تباعاً . وفي ذات السياق قررت وزارة الخارجية البريطانية بادئ ذي بدء ، أنه ليس من الحكمة إرسال أي رد قبل الاتصال بالحكومة الفرنسية . ثم أخذت تناقش في البدائل التي يمكن أن تؤسس عليها الرد البريطاني .

كان الخيار المطروح في البداية هو أنه طالما أن التصحيح المقترح للحدود بين مصر و{قورينه} سيتابع خط طول ٢٥ درجة حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً ومن ثم سيجري في خط مستقيم إلى أقرب نقطة في الحدود الإنجليزية الفرنسية كما هي معرّفة بمعاهدة ١٩١٩م ، وعلى افتراض أن الحكومة الإيطالية ، لم تكن في ذلك الوقت حائزة فعلاً على أي أراض إلى الجنوب من خط عرض ٢٢ شمالاً، فقد رؤى في

---

(١٣) انظر: The permanent Court of International Justice (1929) , Series A, No.23,pp.22.

بادئ الأمر أنه بوسع وزارة الخارجية الادعاء بـأن ما تمخض عن إعلان ١٨٩٩ الإنجليزي الفرنسي عن آثار بالنسبة للمنطقة الواقعة إلى الجنوب عن خط عرض ٢٢ درجة لا تخص الحكومة الإيطالية التي لم تحتل طرابلس إلا في ١٩١١م (١٤) .

كما اقترح أيضاً أنه يمكن لوزارة الخارجية أن تدفع ، بعد الحصول على موافقة الحكومة الفرنسية ، بأن إعلان مارس ١٨٩٩م قد أشار فقط للاتجاه العام للحدود . وأن الخرائط التي نشرت ما بين ١٨٩٩م و ١٩١٩ ، والتي اهتمت مذكرة الخارجية برصدها والاستناد عليها لتعزيز حجتها ، كانت مجرد مؤشرات غير دقيقة للحدود التي لم يسبق إطلاقاً أن تم الاتفاق على تعيينها ، والخلاصة أن معاهدة ١٩١٩م قد قدمت تفسيراً أكثر دقة لتلك الحدود التي كانت معرّفة تعريفاً مبهماً (١٥) .

لكن وزارة الخارجية البريطانية عادت واعترفت في مذكرة داخلية لاحقة للمذكرة الأولى ، بأنه إذا ما ثبت بأن وزارة الخارجية البريطانية كانت مخطئة في إبرامها معاهدة ١٩١٩م مع فرنسا وأن إيطاليا كانت على حق ، فإن ذلك يعني أن الحكومة البريطانية قد أضافت إلى فرنسا مساحة ليس للحكومة البريطانية عليها حق . ونتيجة لذلك فإن الحكومة البريطانية ستكون ملزمة بأن تقنع فرنسا بإعادة المساحة المعنية إلى إيطاليا مقابل تعويض تقوم بدفعه بريطانيا أو أن توقف الشكوى الإيطالية بطريقة مشابهة .

ولمواجهة هذه المشكلة من ناحية ولدحض الحجة الإيطالية القائلة بأن إعلان ١٨٩٩م قد أرسى حدوداً واضحة على نحو يمكن أن تحدد حسابياً من ناحية أخرى ، فقد تبلور رأي مؤداه أنه إذا كانت تلك هي نية مؤلفي إعلان ١٨٩٩م ، فإن الصياغة كانت يجب أن تكون : **{أن يجري الخط جنوب شرق}** وليس **{أن يجري الخط للجنوب الشرقي}** (١٦) . ويجد هذا التفسير دعماً من النص الفرنسي . واستناداً على ذلك ذهب هذا الرأي بأنه يمكن الاحتجاج بأن كل المنطقة كانت خالية في ١٨٩٩، وأن القوى المتعاقدة لا

---

(١٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/7749, Minute on the Italian Note, 13/1/1922.

(١٥) نفس الوثيقة السابقة .

(١٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/7748,Minute on the Italian Note subsequent to the previous one but without date.

يمكن أن يتوقع منها أن تربط أو تغل نفسها بحدود نهائية في ظل ظروف لم تتوافـــر فيـــها معلومات جغرافية كافية (١٧) .

من جانب آخر وعلى افتراض أن تركيا لم تقدم أي احتجاج في الوقت الــذي أبــرم فيه إعلان ١٨٩٩م ، رأي {لندساي} Lindsay ، الذي قام بإعداد أغلب المذكرات الداخليـــة المتعلقة بالرد على المذكرة الإيطالية ، **{أنه ليس من المتوقع من الحكومة التركية ، التـــي كانت دائماً وأبداً حساسة نحو أي شي يمكن أن يعتبر توسعاً من جانب مصر في أراضي ولايات تركية أخرى ، أن تفشل في تقديم احتجاج إذا اعتبرت أن إعـــلان ١٨٩٩م قـــد شكل على أي نحو تدخلاً . إن الأراضي التي تقع إلى الشرق من الخط المعني لا يمكـــن أن تعتبر بالتالي ، بأنها جزء من طرابلس في عام ١٨٩٩م كما لا يمكن أيضاً أن تعتـبر جزءاً من الأراضي الإيطالية في الوقت الحاضر أي في ١٩٢١م }** (١٨) .

إن الخطأ الذي وقع فيه {لندساي} لا يحتاج لتأكيد مبالغ فيه . فقد رأينا ســلفاً بــأن السفير التركي في لندن كان قد لفت نظر وزارة الخارجية البريطانية لما قد يـــترتب عــن إعلان ١٨٩٩م من آثار على الحقوق التركية (١٩). وأكثر من هذا فإن الاحتجاج التركي قــد تبعه استياء إيطالي عبر عنه السفير الإيطالي في لندن إلى اللـــورد ساندرســون . وكمــا سنرى فإن التضليل والغموض اللذين اكتنفا هذا الافتراض قد انكشفا بعد أول مكاتبة تمــت مع الحكومة الفرنسية في هذا الشأن .

وبعد أن انتهى الدبلوماسيون البريطانيون من تخريجهم واجتهاداتهم التـــي بلــورت الاقتراحات التي ذكرناها أعلاه ، وقبل أن يتم الاتصال بالحكومة الفرنسية ، رفـــع الأمــر إلى المستشار القانوني لوزارة الخارجية . وخلافاً لما ذهب إليه الدبلوماســيون فقــد أمّــن المستشار القانوني ومنذ البدء على أن المعاهدات التي أبرمت بيـــن بريطانيــا وفرنســا لا يمكن أن تؤثر على أي حق إيطالي على أي إقليم يتبع لها. وأشار المستشار القانوني إلـــى أن مسألة ما إذا كان الإقليم الذي ورد في كل من إعلان ١٨٩٩م ومعـــاهدة ١٩١٩م، هــو

---

(١٧) نفس الوثيقة السابقة .

(١٨) نفس الوثيقة السابقة .

(١٩) راجع أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./27/3456, Minute of a note presented by Turkish Ambassador in London , 17/5/1899. For the note of the Turkish Ambassador to Lord Salisbury, see, No.66 (in) Affairs of Egypt, Vol.12.

إقليم يتبع لإيطاليا في الوقت الذي تقدمت فيه باحتجاجها أم لا ، يحدد ويحسم في الأسـاس باعتباره {مسألة وقائع} Matter of case أي أن المناط هو إلى أي مدى سبق أن وصلـت أو امتدت سيادة تركيا ؟ (٢٠) .

استناداً على ذلك فقد اختار المستشار القانوني أن يعالج القضية على نحو قـانوني دقيق . فقد لخص الأمر بأنه {إذا نظرنا إلى إعلان مارس ١٨٩٩م نرى أنه لـم يتضمـن أي نقل لأراض من دولة إلى أخرى ، أو اعتراف بسيادة دولة على أي أراض علـى أي حال . إن كل الذي فعله الإعلان هو أنه أرسى خطاً يمكن تسميته خط حدود ولكـن مـن الواضح أن الكلمة لم تستعمل وفقاً للمعنى الفني والعملي في جانب منه توجد الحكومـة البريطانية وفي الجانب الآخر التزمت فرنسا بأن لا تحصل على أراض أو نفوذ سياسي . إن هذه الكلمات تتعارض بداهة مع أي فكرة توحي بأن سيادة أي منهما قد امتدت حتـى ذلك الخط . إنها في حقيقة الأمر تعريف لمنطقتي نفوذ سياسي وهذا ما يتفق مع تعبـير النطاق الفرنسي French zone الوارد في المادة الثالثة. إن هذا الوضع لم يعـدل إطلاقـاً بواسطة معاهدة ١٩١٩م التي هي إما أن تكون قد عرَّفت على نحو أكـثر أو وضحـت الخط المعني . إن التفسير المنطقي لكل هذا أن كل الأراضي المعنية هي صحراء لم يتـم مسحها ولم يشأ أي شخص أن يضع خطاً فعلياً فيها} (٢١).

***

---

(٢٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/7748, Note by the legal Advisor of the Foreign Office, 5/5/1922.

(٢١) نفس الوثيقة السابقة :

If the 1899 Declaration is looked at..It will be seen that it involved no transfer of territory from one Power to another, or recognition of the sovereignty of power over any territory, at all. All it did was to lay down a line (called it a line of frontier, but the word is clearly not used in a technical sense) on one side of which British Government and on the other French engaged (not to acquire either territory or political influence). These words are obviously quite inconsistent with any idea that the sovereignty of either extended up to the line.

الباب الرابع

الحكومتان البريطانية والفرنسية تكتشفان في ١٩٢٣م أن الحكومة التركية احتجت على إعلان مارس ١٨٩٩م بعد إصداره بوقت وجيز

١ـ الحكومة البريطانية تتبنى رأي المستشار القانوني بوزارة الخارجية البريطانية .

٢ـ الحكومة الفرنسية تدعي أن الحكومة التركية لم تحتج ضد إعلان ١٨٩٩م .

٣ـ فرنسا توافق على الرأي البريطاني على مضض .

٤ـ ليس في الوثائق البريطانية ما يثبت اقتناع إيطاليا بالرد المشترك .

٥ـ إيطاليا تنصرف نحو ترسيخ احتلالها في ليبيا من ١٩٢٣م إلى ١٩٣٠م.

لقد حسم المستشار القانوني لوزارة الخارجية البريطانية الجدل الذي أثارته مذكرة الحكومة الإيطالية بشأن ما رأته من تعارض واضح بين {حدود} إعلان مارس ١٨٩٩ و{حدود} معاهدة ١٩١٩م . فقد انتهى إلى أن إعلان مارس ١٨٩٩م لم ينطو على نقل أراضٍ من دولة إلى أخرى أو حتى اعتراف بسيادة دولة على أراض . وكما رأى فإن الخط الذي أرساه إعلان مارس ١٨٩٩م كان قد أرسى خطاً حدودياً ، إلا أن كلمة حدود لم تُستعمل وفقاً للمعنى الفني والعلمي . فالخط في نظره أرسى مناطق نفوذ. وبالتالي فإن معاهدة ١٩١٩م لم تّعدل ذلك الوضع . وخلاصة الرأي أن كل الأراضي المعنية هي صحراء لم يتم مسحها ولم يشأ أي شخص أن يضع خطاً فعلياً فيها. وبصرف النظر عن دقة أو عدم دقة ذلك الرأي فإنه لم يذهب لنفي أن إعلان مارس ١٨٩٩م قد وضع اللبنات

الأولى للحدود بالمعنى الفني والعلمي بين السودان وأفريقيا الاستوائية الفرنسية من ناحية وبين السودان والدولة العثمانية {ليبيا} من ناحية أخرى .

وكما كان متوقعاً فقد قررت وزارة الخارجية البريطانية أن تتبنى الخط الذي اقترحه المستشار القانوني [١]. وعلى ضوء ذلك قامت بنقل محتوى الاحتجاج الإيطالي والذي يتلخص في فقدانها مساحة كبيرة نتيجة للتعارض بين إعلان مارس ١٨٩٩م ومعاهدة ١٩١٩م ، إلى الحكومة الفرنسية ، بتاريخ السادس عشر من مايو ١٩٢٢م . وأشارت الخارجية البريطانية في نقلها إلى رأيها إلى أن وضع الحدود الوارد في إعلان مارس ١٨٩٩م **{لم يتغير على أي حال بمعاهدة ١٩١٩م ، وأن أثر المعاهدة هو تعيين الخط أو توضيحه }** . ومن المهم أن نلاحظ بأن وزارة الخارجية البريطانية ، وهي تلهث لتأييد وجهة نظرها ، قد ذكرت في خطابها الموجه للحكومة الفرنسية : **{إن صحة هذا التفسير مؤكدة بواقعة هامة وهي أن الحكومة التركية لم تتقدم بأي احتجاج ضد الإعلان}** [٢]. وتساءلت وزارة الخارجية البريطانية في نهاية خطابها عما إذا كانت الحكومة الفرنسية ستتفق مع التفسير البريطاني وكذلك على رد يؤسس على نفس ذلك التفسير [٣].

لقد اتفقت الحكومة الفرنسية مع وجهة النظر البريطانية الرامية إلى اعتبار الادعاء الإيطالي على أراض تقع إلى الجنوب من طرابلس بأنه ادعاء لا يقوم على أساس ولكن لأسباب وأغراض مختلفة . وكما قال السفير الفرنسي في لندن أن وجهة نظر الحكومة الفرنسية هو **{أنه ليس فقط أن الادعاء الإيطالي بملكية هذه الأراضي ادعاء لا يقوم على أساس ، ولكن أكثر من ذلك أن الخط الذي أرساه إعلان لندن الصادر في مارس ١٨٩٩م وتم توضيحه في نهاية معاهدة باريس ١٩١٩م ، هو نهائي ويشكل حقيقة خط الحدود }** [٤].

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/7748, A minute on the note of the legal Advisor.

(٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./141/664, Foreign Office to French Ministry of Foreign Affair, 16/5/1922.

(٣) نفس الوثيقة السابقة .

(٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./141/664, Count de Saint-Aula ire to the Earl of Balfour, 29/7/1922.

من الواضح أن الحكومة الفرنسية على اختلاف كامل مع الفهم البريطاني لإعـــلان مارس ١٨٩٩م ومعاهدة ١٩١٩م . فكما رأينا أن الخارجية البريطانيـــة تـــرى أن إعـــلان ١٨٩٩م لم يتضمن نقل أي أراض من دولة لأخرى أو أي اعتراف بسيادة دولة علـــى أي أراض . ذلك بالإضافة إلى أنها ترى أن عبارة خط الحدود التـــي ســـبق اســـتعمالها لـــم تستعمل وفقاً للمعنى الفني . وبإيجاز فإن الأمر وفقاً للفهم البريطـــاني لا يعـــدو أن يكـــون تحديداً لمناطق نفوذ ولكن الحكومة الفرنسية تبنّت موقفاً اخـــر وهـــو أن إعـــلان مـــارس ١٨٩٩م كما هو موضح بمعاهدة ١٩١٩م أرسى بالفعل حدوداً نهائية .

ومهم أيضاً أن نذكر بأن الحكومة الفرنسية زعمت هي الأخـــرى بـــأن تفسـيرها للموضوع يجد تأييداً في غياب أي احتجاج من جانب الحكومـــة التركيـــة . وكذلـــك مـــن التفسير الذي يمكن أن يضفي على ذلك . وكما جاء في المذكرة الفرنسية : {وإذ لم تتقـــدم تركيا بأي احتجاج ضد الإعلان الإنجليزي الفرنسي لسنة ١٨٩٩م ، فإن ذلك لم يكن لأن الإعلان قد أرسى فقط مجرد تقسيم مناطق نفوذ ، ولكن لأن الأراضـــي المذكـــورة فـــي الإعلان لم تكن تشكل في واقع الأمر جزءاً من ممتلكات تركيا في أفريقيـــا . إن حقـــوق تركيا على الأراضي التي تدعيها الآن إيطاليا ، هي من ذات طبيعة الحقوق التي كـــانت تدعيها تركيا على تبستي وبوركو . علماً بأن أراضي المراعي السنوسية قد كانت دائمـــاً غير محددة على نحو لا يمكن أن يصلح لأن تدعي إيطاليا تبعيتها لها الآن } [٥].

ليس هناك حاجة للتأكيد بأن كل ما ذهبت إليه وجهة النظر الفرنسية قد بني علـــى أساس خاطئ ، والقاعدة الأصولية أنه ما بني على باطل فهو بـــاطل ، إذ أن تركيـــا كمـــا

---

(٥) نفس الوثيقة السابقة :

أسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي ، الذي ولد في الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر ، وتنقل في أنحاء المغرب ومكة إلى أن استقر نهائياً في منتصف القرن التاسع عشر في الجغبوب في ليبيا حيث توفي هناك . وخلفه ابنه محمد المهدي حيث انتشرت الطريقة السنوسية على يديه في ليبيا وأواسط أفريقيا . وقد شكلت الطريقة السنوسية خطراً على فرنسا ، من وجهة النظر الفرنسية ، استناداً لما لها من تأثير على العديد من المناطق والدول في أواسط وغربي أفريقيا . وقد استفاد منها الأتراك وأضفوا عليها قدراً من الاحترام . انظر : محمد شكري ، السنوسية ديـــن ودولة ، القاهرة ، ١٩٤٨م . وراجع في هذا الشأن أيضاً :

1. Evans-Richard, E., The Sanusi of Syeraica, Oxford, 1949.

2. Ziaden, N.,Sansuiyeh, A study of a Revivalist movement in Islam, 1958.

رأينا في الفصل الأول من هذا القسم ، قد احتجت بالفعل على إعـــلان مـــارس ١٨٩٩م ، ومن ناحية ثانية أن الفرنسيين ، على نقيض الإنجليز ، قد أصروا على أن الإعــــلان قـــد أرسى حدوداً ليس تعريفاً لمناطق نفوذ فقط . ذلك بالإضافة إلى أنهم فسروا عدم احتجـــاج تركيا على إعلان مارس ١٨٩٩م ، كما زعموا وافترضوا ، بأنه نوع مـــن التخلـــي عـــن ادعاءاتها بالنسبة للمناطق المعروفة بتبستي وبوركو وألاندي والاردى .

على ضوء مثل تلك الحجج التمست الحكومة الفرنسية ، من الحكومـــة البريطانيـــة الاتفاق مع وجهة نظرها حول هذا الموضوع . واقترحت فرنسا أنه من المرغوب فيـــه أن ترد الحكومتان الفرنسية والبريطانية بصيغة موحدة على الحكومة الإيطالية لتفادي إمكانيـــة أن تجد الحكومة الإيطالية أي تناقض بين النصين يســـاعدها في التمسك بحجتها (٦) .

قبل أن تستلم الحكومة البريطانية الرد الفرنسي بوقت وجيز ، كشف البحـــث فـــي وثائق وزارة الخارجية البريطانية ما هو ثابت سلفاً . وهو أن السفير التركي في بريطانيـــا كان قد لفت بالفعل نظر وزارة الخارجية البريطانية للآثار المترتبة على إعـــلان مـــارس ١٨٩٩م في وقته . كما تبين أيضاً أن السفير الإيطالي قد ذهب نفس المذهب مـــع اللـــورد ساندرسون وأنه كان قد أخطر من قبل وزارة الخارجية البريطانية ، من بين أمور أخـــرى ، بأن الفقرة المتعلقة بتكوين لجنة لتعيين الحدود تنطبق بالفعل على القطاع الحدودي الـــذي كان موضوعاً للاحتجاج الإيطالي في سنة ١٩٢١م . وقامت الخارجية البريطانية بنقل هـــذه المعلومات {المكتشفة حديثاً} في ردها على المذكـــرة الفرنســـية حيـــث عـــبرت مذكـــرة الخارجية البريطانية عن أملها بأن توافق الحكومة الفرنسية بأن **{الحقائق الجديـــدة تؤيـــد وجهة النظر القائلة بأن القصد من إعلان مارس ١٨٩٩م هو مجرد إرساء مدى مناطق النفوذ في المنطقة المعنية ، وليس تحديد حدود يمكن أن تمتد إليها ســـيادة الدولتيـــن . ونوهت الخارجية البريطانية بأنه من الصعب في كل الأحوال علـــى حكومـــة صـــاحب الجلالة أن تبتعد عن التـــوجه الذي ســـبق أن تبنته في هذا الشأن }** (٧).

---

(٦) راجع الوثيقة :

F.O./141/664, Count de Saint-Aulaire to the Earl of Balfour, 29/7/1922.

(٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./141/664. The Marquess to Count de Saint-Aulaire, 31/8/1922.

وهكذا {تأسيساً على قاعدة أن الرجوع إلى الحق فضيلة } رفضت الحكومة البريطانية الطلب الفرنسي الذي اعتبر أن الحدود التي أرساها إعلان مارس ١٨٩٩م ووضحتها معاهدة ١٩١٩م حدوداً نهائية . وفي محاولة منها لتحديد مكانٍ للفرنسيين أشارت المذكرة البريطانية إلى أن ثمة فوائد كبيرة تنطوي في التمسك بالاقتراح البريطاني . وتتلخص هذه الفوائد في أن عبء إثبات أن الأراضي محل المشكلة تتبع لإيطاليا سيقع على الحكومة الإيطالية . علماً بأن تبني الرأي الفرنسي يعني أن يقع عبء الإثبات على الحكومتين البريطانية والفرنسية . وناشدت المذكرة البريطانية الحكومة الفرنسية الموافقة على رد يُصاغ على ضوء الاقتراح البريطاني (٨) .

كما هو متوقع فقد أصبح الفرنسيون في وضع لا خيار لهم أمامه. وبالتالي فقد وافقوا على نص المذكرة التي اقترحتها الحكومة البريطانية (٩) . ووفقاً لذلك شرعت الحكومة البريطانية في الرد على المذكرة الإيطالية في فبراير ١٩٩٣م التي يعود تاريخها إلى ديسمبر ١٩٢١م . فقد أخطرت الحكومة الإيطالية بأن أياً من إعلان مارس ١٨٩٩ ومعاهدة ١٩١٩م ، لا يتعرض أو يؤثر على أراض تتبع لدولة ثالثة . وأن الوثيقتين قد عالجتا مناطق نفوذ ولا يمكن لهما أن تؤثرا على حقوق إيطاليا في أي أقاليم تتبع لها . وبما أن إعلان مارس ١٨٩٩م لم يتضمن نقل أي أراض أو الاعتراف بأي سيادة فإن {**الوضع الراهن**} Status quo لم يتغير من حيث المبدأ بواسطة معاهدة ١٩١٩م (١٠). وخلصت المذكرة البريطانية إلى القول {**فإذا كانت المساحة الواقعة بين الخطين المشار إليهما في إعلان مارس١٨٩٩م ومعاهدة١٩١٩م، أراضي إيطالية فإن حقوق الحكومة الإيطالية على تلك الأراضي لن تتأثر . أما موضوع عما إذا كانت الأراضي المعنية هي أراض إيطالية فهذه مسألة وقائع يقع عبء إثباتها على الحكومة الإيطالية**} (١١).

---

(٨) نفس الوثيقة السابقة (لندن) .

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية :

F.O./141/664, Count de Saint-Aulaire to the Earl of Balfour, 20/12/1922.

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/7748, A minute of the note submitted to the Italian Government, 26/2/1923I

(١١) نفس الوثيقة السابقة .

ليس واضحاً عما إذا كانت الحكومة الإيطالية قد اقتنعت بالتوضيح البريطاني . ولم نجد أي بيّنه خلال بحثنا الطويل في وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، أو رئاسة الحكومة البريطانية ، أو غيرها ، تشير إلى أن الحكومة الإيطالية قد أرسلت رداً على المذكرة البريطانية . ومن المقترح أن وضع عبء الإثبات على الحكومة الإيطالية جعل من الصعب عليها أن تلح على ذلك الموضوع في ذلك الوقت ، إذ أن ذلك يتطلب منها أن تثبت على الأقل أن المساحة محل الخلاف كانت ستكون جزءاً من طرابلس ، عندما ورثت إيطاليا الحكومة التركية في طرابلس . ومن الممكن أيضاً أن تكون الحكومة الإيطالية قد قررت تأجيل موضوع مسألة الحدود الجنوبية الغربية حتى تكرّس موقفها في المناطق المجاورة لها ، خاصة وأن المذكرة البريطانية قد أكدت أن الوثيقتين لم ترسيا حدوداً نهائية .

تأسيساً على ذلك يمكن القول بأن مسألة الحدود بين السودان وما كان في ذلك الوقت يشكل ليبيا الإيطالية قد تجمدت لبعض الوقت . ومع ذلك فإن السبع سنوات التالية {١٩٢٣-١٩٣٠م} قد شهدت تطورات لها آثارها الهامة على الحدود بين السودان وليبيا. فقد أخذت إيطاليا تدعي تباعاً حيازة كل ما كان خاضعاً أو سبق أن امتدت إليه السيادة التركية . وتمركزت الإدارة الإيطالية في البداية ، في طرابلس والمناطق الساحلية . وبدأ التكريس الفعال للسلطة الإيطالية بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة ما بين ١٩٢١-١٩٢٥م ، حيث تم تعيين الحدود بين مصر وليبيا بمقتضى اتفاق ١٩٢٥ [١٢]. وكما نص ذلك الاتفاق فإن الحدود الشرقية لليبيا قد امتدت من البحر الأبيض المتوسط على امتداد خط طول ٢٥ درجة حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٢ درجة .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : ما هو الأثر أو الآثار التي نتجت عن التكريس الإيطالي {Italian Consolidation} في ليبيا على تسوية الحدود السودانية الليبية بشكل عام وعلى ما عرف بـ مثلث السارة بشكل خاص؟ .

***

---

(١٢) راجع : الكتاب الأخضر ، رقم (١) الذي أصدرته الحكومة المصرية باللغة الإنجليزية في ١٩٢٦م . هذا وقد تم التصديق على اتفاق ١٩٢٥م من جانب الحكومة المصرية في السابع من يوليو ١٩٣٢م . وفي تلك الأثناء تم التوصل لاتفاق التاسع من نوفمبر ١٩٢٦م الذي وضح على نحو أفضل الجزء الشمالي من الحدود بين مصر وليبيا – وانظر أيضاً :

The Geographer, (Libya-United Arab Republic Boundary) (in) the Geographical Bulletin, No.61 (1966).

الباب الخامس

احتلال ليبيا للكفرة وإشكالية موقع العوينات تثيران الاهتمام البريطاني بالحدود السودانية الليبية

١ـ البرلمان البريطاني يستجوب وزير الخارجية عن الحدود بين السودان وليبيا .

٢ـ المندوب السامي البريطاني في القاهرة يطالب بتذكير إيطاليا بأن العوينات تقع داخل السودان.

٣ـ أطلس مصر الصادر في ١٩٢٨م يوضح أن العوينات تقع داخل الأراضي السودانية.

٤ـ الحكومة البريطانية توافق على إثارة موضوع العوينات مع الحكومة الإيطالية .

٥ـ الحكومة الإيطالية توحي بالرغبة في الوصول إلى تسوية والخارجية البريطانية تتجه نحو عدم التصعيد في ١٩٣١م .

بعد إبرام اتفاق ١٩٢٥م الذي أرسى الوضع العام للحدود بين ليبيا ومصر واتفاقية ١٩٢٦م التي وضحت أقصى نقطة شمالية في الحدود الليبية المصرية ، استمرت السلطات الليبية في عملية تكريس سلطتها نحو الشرق أي نحو الحدود مع مصر وكذلك في اتجاه الجنوب أي نحو الحدود الأكثر جدلاً . وهكذا فقد احتلت إيطاليا جغبوب في ١٩٢٧م ، وسقطت جالوفيل في ١٩٢٨م ، وتم غزو فيزان في ١٩٣٠م [1] . وباحتلال واحة الكفرة بواسطة القوات الإيطالية في بداية ١٩٣١م وتقدمها السريع جنوباً ، أصبحت تسوية

---

(١) راجع:

1. Wrigh, j., Libya, London, 1969.
2. A Survey of North West Africa, 2nd ed., (ed- by N. Barbour), Oxford, 1962.

الحدود الجنوبية لليبيا {مع فرنسا} والجنوبية الشرقية {مع إيطاليـا} ، أكـثر مـن مجـرد موضوع أكاديمي [٢] .

في هذا الصدد يجب أن نتذكر بأن بريطانيا كانت قد أكدت في ١٩٢٣م بأن إعـلان مارس ١٨٩٩م لم يتضمن أي نقل لأراض وأن{الأمر الواقع} the statu quo لم يتغير مـن حيث المبدأ بمعاهدة ١٩١٩م . من جانب آخر كانت فرنسا قد احتلـت فـي عـام ١٩٣١م الأراضي التي أشار إعلان مارس ١٨٩٩م بأنها تقع في إطار منطقة النفـوذ الفرنسـي . وكما قالت جريدة التايمز اللندنية بعد سقوط الكفرة مباشرة في عددهـا الصـادر بتـاريخ الثلاثين من يناير ١٩٣١م : {ليس هناك ما يمنع التوصل لتفاهم ودي بالنسـبة لتعيين الحدود بين النقطة الجنوبية الغربية من مصر وأقصى نقطة شمالية في السودان . أمـا موضوع السودان الفرنسي فهو مسألة مختلفة} [٣].

إن الدخول في تفاصيل مسألة الحدود الجنوبية لليبيا مع ما كـان يسـمى أفريقيـا الاستوائية الفرنسية {في الأساس تشاد} يخرج عن إطار هذا الكتاب [٤] . ويكفي أن نذكـر في هذا المجال أن إيطاليا قد أبرمت عام ١٩١٥م ما سمي بمعاهدة سرية ، مـع المملكـة المتحدة وفرنسا وروسيا ، قبل دخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفـاء . وكمـا نصت المادة {١٣} من تلك المعاهدة فقد وعد الحلفاء إيطاليا بالمعاملة الأفضل فيما يتعلـق بالحصول على أراض في أفريقيا إذا تحقق الانتصار للحلفاء . وتأسيساً على ذلـك الوعـد طالبت إيطاليا بتعديل الحدود الغربية والحدود الجنوبية لليبيا على نحو يمكنها من الوصـول إلى بحيرة تشاد . وكان رد الفرنسيين أن تعديل ١٩١٩م قد أوفى بـالوعد الـذي قطعـه الحلفاء لإيطاليا . ولم تقبل الحكومة الإيطالية ذلك الرد ، وظلت الصحافة الإيطالية تنشـر

---

(٢) الكفرة واحة على الصحراء الجنوبية القريبة من ليبيا . وكانت تشكل رئاسة الطريقة السنوسية حيـث تمركزت المقاومة العربية للاستعمار الإيطالي . وقد تجاوز احتلال الكفرة أهميته المحلية بكثير . فـإلى الجنوب منها يقع مثلث السارة الذي يحد بدوره من ناحية الجنوب بتيبستي وايردي وهما المحطتان اللـذان تقعان في شمال أفريقيا الاستوائية الفرنسية .

(٣) راجع : The Times, London, 30/1/1931.

(٤) راجع :

The Geographer, International Boundaries Study Chad-Libya, No. 3, Dec,15,1948, issued by U.S.Department of state, Bureau of Intelligence and Research.

مقالات متصلة بشأن حق إيطاليا على تبستي علماً بأن الفرنسيين كانوا قد أنشأوا محطة عسكرية فيها سلفاً [٥].

أما فيما يتصل بالحدود التي لم يتم الاتفاق عليها بعد ، وهي الحدود بين السودان وليبيا ، فإن الموضوع قد حظي باهتمام الرأي العام في بريطانيا على نحو واضح . فقد نشرت جريدة التايمز اللندنية مقالاً بعنوان {**إيطاليا في شمال أفريقيا والحدود مع السودان**} كما نشرت افتتاحية عن نفس الموضوع ، دعت فيها للاهتمام بحدود السودان[٦]. من جانب آخر فقد وجهت أسئلة لوزير الخارجية البريطانية عن الموضوع في مجلس العموم البريطاني . ومن تلك الأسئلة ، السؤال الذي تقدم به المستر {د.ج.سومر فيل} في الثاني من فبراير ١٩٣١م وقد جاء فيه : {**هل يعلم السيد وزير الخارجية بأن القوات الإيطالية قد احتلت مؤخراً واحة الكفرة في ليبيا ، وما هي الخطوات التي اتخذت بالنسبة للتوصل لخط حدود نهائي بين ليبيا والسودان الإنجليزي المصري ؟** } [٧].

لقد أخطر وزير الخارجية البريطانية في رده للبرلمان ، بالاحتجاج الإيطالي في عام ١٩٢٢م ضد معاهدة ١٩١٩م . وشرح للبرلمان الرد الذي سبق أن أرسلته الحكومة البريطانية للحكومة الإيطالية في ذلك الخصوص . وأضاف الوزير البريطاني قائلاً : {**ومنذ ذلك الوقت ، ١٩٢٣م ، لم تعد إيطاليا لإثارة الموضوع . ولكنني قد فهمت أن الإيطاليين قد نوهوا على نحو أشبه بالرسمي ، خلال مفاوضاتهم مؤخراً مع الحكومة الفرنسية بشأن الحدود مع ليبيا ، بأنهم إذا لم يتمكنوا من الحصول على تنازلات كافية من الفرنسيين ، فلربما يتوجهون لنا مطالبين بتعويض في هذه المنطقة . أن كل الموضوع يفتقر للواقعية {K} ذلك أن الإدارة الفعالة ما زالت تبعد من السودان بأميال عديدة** } [٨].

---

(٥) انظر: Toynbee, A.J., Survey of International Affairs, 1920-1923, Oxford,pp.360.

(٦) راجع: The Times, London, 30/1/1931, Italy in North Africa the Frontier with the Sudan.

(٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./371/15432,Parliamentary Question of 2/2/1931.

(٨) نفس الوثيقة السابقة .

لا شك أن احتلال واحة الكفرة بواسطة الإيطاليين في الرابع والعشرين من يناير ١٩٣١م كان نقطة تحول في تكريس السلطة الإيطالية في ليبيا . وكانت النتيجة المباشرة لذلك فتح مرحلة جديدة في التطورات الدبلوماسية للحدود بين السودان وليبيا . فقد أخذ المندوب السامي البريطاني في القاهرة المبادرة نتيجة للتقارير التي أفادت بأن أعداداً من {اللاجئين} قد وصلوا إلى {الداخلة} و{حلفا} مشيراً إلى وزارة الخارجية بأن الإيطاليين قد واصلوا تقدمهم جنوباً نحو السودان بعد احتلالهم للكفرة . وبعد أن أعاد للأذهان بأن الحدود بين السودان وطرابلس لمن تسو بعد وأن هناك احتمالات بأن يصل الإيطاليون إلى العوينات ، طالب المندوب السامي في القاهرة وزارة الخارجية البريطانية بضرورة تذكير الحكومة الإيطالية بأن العوينات تقع داخل الأراضي السودانية [٩].

لقد كانت وزارة الخارجية البريطانية ، على خلاف ما ذهب إليه المندوب السامي ، مترددة بشأن ذلك الطلب لثلاثة أسباب : أولها أن آخر خريطة متوفرة عند وزارة الخارجية البريطانية ، وهي التي نشرها مكتب المساحة بالخرطوم في أغسطس ١٩٢٩م ، كانت توضح جبل العوينات وهو يقع داخل الأراضي السودانية وجزئياً في مصر وجزئياً في ليبيا . وحيث إنه لم تكن هناك خريطة موثوق بها للمنطقة الواقعة مباشرة إلى الشمال من خط عرض ٢٢ درجة ، فقد اعتقدت وزارة الخارجية البريطانية بأن إيطاليا قد تدفع بأن جزءاً من جبل العوينات يقع داخل المساحة التي لإيطاليا الحق في احتلالها . والسبب الثاني هو أنه إذا ما ثبت صحة اعتقاد وزارة الخارجية ، فإن هناك ثمة خطورة بأن مخاطبة الحكومة الإيطالية قد تضع الحكومة البريطانية في وضع لا تتمكن من المحافظة عليه في مرحلة لاحقة . أما السبب الثالث فهو حساسية الحكومة البريطانية بالنسبة لمصر في كل ما يتصل بالسودان في الثلاثينيات. ومن ذلك أن مخاطبة الحكومة الإيطالية قد تكون موضوعاً لاحتجاج من قبل الحكومة المصرية إذا ما علمت بتلك المكاتبات[١٠].

---

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية :

F.O./371/15432. High Commissioner to Foreign office, 28/2/1931.

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/15432, Foreign office to High Commissioner, 4/3/1931.

لهذه الأسباب طلبت وزارة الخارجية البريطانية في الرابع من مارس ١٩٣١م ، من المندوب السامي ، في مصر ، مناقشة الموضوع والتشاور مع حاكم عام السودان حول هذه المسائل ، على أمل أن تكون لدى الأخير معلومات أكثر دقة من المعلومات المتوفرة عند وزارة الخارجية البريطانية بشأن تحديد الوضع الجغرافي الدقيق للعوينات [١١].

لقد كشفت المشاروات مع حاكم عام السودان ، أن الوضع الدقيق للعوينات قد ظهر في الخرط رقم {٤-١-٢٣} في أطلس مصر الخاص بالحكومة المصرية ، الذي قدمته للمؤتمر الجغرافي الدولي في عام ١٩٢٨م . ووفقاً لذلك الأطلس فإن التدحرج الشمالي الغربي قد ظهر في طرابلس ، ولكن الجبل الرئيسي والينابيع الوحيدة الموضحة في الخريطة فهي تقع بوضوح في الأراضي السودانية . وكما جاء في المذكرة الوصفية للخريطة رقم (٢) الواردة في الأطلس ، فإن أعلى نقطة في جبل العوينات تقع خارج مصر ولكن قاعدته الشمالية الشرقية تقع داخل الحدود المصرية . ولقد تم تحديد موقع العوينات ما بين عامي ١٩٢٥م – ١٩٢٦م بواسطة الدكتور . ج.بول {Ball} الذي كان يعمل في مكتب المساحة الصحراوية المصرية . وقد سبق للدكتور بول أن أخطر مندوب السودان في القاهرة بأن العوينات تقع في السودان [١٢].

قام المندوب السامي البريطاني في القاهرة بنقل كل المعلومات المشار إليها أعلاه إلى وزارة الخارجية البريطانية . وقد جاء في مذكرته المرفقة بتاريخ العاشر من مارس ١٩٣١م {**يبدو أنه لا مفر إذا ما وصل تدخل الإيطاليين حتى العوينات فإن رغبتهم هي احتلال الآبار . لذلك فإني أعتقد أن من الضروري تذكيرهم بأن هذه الآبار تقع داخل الأراضي السودانية ، ويبدو أن هذا التذكير أصبح أمراً مرغوباً فيه خاصة وأن التقارير التي وصلت إلى حلفا أفادت أن بعض سكان الكفرة قد تم طردهم بواسطة الطائرات الإيطالية حتى وصلوا إلى السارة حيث تم الهجوم عليهم من قبل البيادة الإيطالية . إن خط عرض السارة هو ٢١ درجة و ٣٩ دقيقة و ٤٠ ثانية وبالتالي فإنها تقع على بعد ٢٠ ميلاً داخل الأراضي السودانية . لقد طلبت من حاكم عام السودان تقصي عما إذا**

---

(١١) الوثيقة السابقة وراجع أيضاً : F.O./407/213, Henderson to Loraine, 4/3/1931.

(١٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/213. Loraine to Henderson, 10/3/1931.

كانت القوات الإيطالية قد دخلت بالفعل في السودان . ومن جانبي لا أرى سببا يجعل المصريين يعترضون على اقتراحنا الرامي للاتصال بالحكومة الإيطالية } (١٣).

وافقت وزارة الخارجية البريطانية على طلب المندوب السامي أو بالأحرى إصراره على إثارة موضوع العوينات مع إيطاليا ، ووفقاً لذلك فقد وجهت السفير البريطاني في روما ، بتاريخ الثاني عشر من مارس ١٩٣١م ، للاتصال بالحكومة الإيطالية شفاهة بشأن عدم الوضوح الذي اكتنف موضوع العوينات (١٤). وجاء الرد الإيطالي متحفظاً بشأن ملكية السودان للعوينات . واقترن ذلك التحفظ بخريطة إيطالية توضح أن ما اعتبر بأنه الواحات محل النزاع ، يقع مباشرة للجنوب الغربي من النقطة التي تنتهي عندها الحدود المشتركة بين ليبيا ومصر ، على تقاطع خط طول ٢٥ درجة مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً (١٥). وذكر السفير البريطاني في روما في تعليقه على الرد الإيطالي : **{أن التحفظ الإيطالي لا يعني بالضرورة مطلباً معارضاً counter-claim ولكن نسبة لعدم وجود تعيين للحدود فإن السلطات الإيطالية كما يبدو تعتبر دعواها مؤسسة مثل السودان . لقد أوحى للمسؤولين الإيطاليين بالرغبة في تسوية الحدود}**(١٦).

نقلت وزارة الخارجية البريطانية خلاصة الاتصالات الشفوية التي تمت مع الحكومة الإيطالية إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة . وفي معرض رده على الخارجية البريطانية ، بتاريخ الثالث والعشرين من مارس ١٩٣١م ، أكد المندوب السامي أن ما جاء من جانب الإيطاليين ، من أن موقع العوينات هو إلى الجنوب الشرقي من النقطة التي تلتقي فيها الحدود المشتركة بين مصر وليبيا مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً، يتفق مع ما أشار له في مكاتباته السابقة . أما فيما يتصل بدعوى وزارة الخارجية الإيطالية بملكية الواحات ، فإن ذلك يعني إنكاراً لواقعة أن الحدود الجنوبية لليبيا تجري على خط عرض ٢٢ درجة . ووفقاً للمندوب السامي : **{يبدو أنه من المهم أن نتأكد من**

---

(١٣) نفس الوثيقة السابقة .

(١٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/407/213, Henderson to Graham, 12/3/1931.

(١٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/213, Graham to Henderson, 13/3/1931.

(١٦) نفس الوثيقة السابقة .

هذا الاستنتاج . لأنه إن كان صحيحاً فإن ذلك يعني الادعاء بالسيادة على أراض تقع إلى الجنوب من خط عرض ٢٢ درجة وهو أمر يجب دحضه} [١٧].

بالرغم من أن الافتراضات التي جاءت في مذكرة المندوب السامي البريطاني في القاهرة قد تكون صحيحة ، فإن الرأي الذي كان سائداً في وزارة الخارجية البريطانية هو أن عبء الإثبات سيقع على عاتق الحكومة الإيطالية بالنسبة لما ادعته . والواقع كما يبدو أن الحكومة البريطانية لم تكن متحمسة لإثارة ذلك الموضوع في ذلك الوقت ، إذ أخطرت المندوب السامي بتاريخ الثلاثين من مارس ١٩٣١م ، أن الوقت ليس مناسباً لإثارة تلك المنطقة المعقدة مع الحكومة الإيطالية [١٨].

***

(١٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./407/213, Loraine to Henderson, 23/3/1931.

(١٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./371/15432, Foreign office to High Commissioner, 30/3/1930.

الباب السادس

الإيطاليون يتوغلون جنوباً
البريطانيون يقومون باستكشاف
جوية في العوينات ومثلث السارة

١ــ نيوبلد يُعد مذكرة لحكومة السودان بشأن الحدود الجنوبية لــ ليبيا في ١٩٣١م .

٢ــ نيوبولد يدعي أن مثلث السارة لا ينطوي على قيمة اقتصادية للسودان .

٣ــ ماكمايكل يرى أن مثلث السارة أيضاً لا مالك له وأن السودان لم يدع حقاً عليه !

٤ــ البرلمان البريطاني يناقش مرة أخرى الحدود بين السودان وليبيا .

٥ــ المندوب السامي البريطاني في القاهرة يناشد حكومتـــه المحافظـــة علـــى حقـــوق السودان في المناطق المتنازع عليها .

في خلال الاتصالات الدبلوماسية المكثفة بين حاكم عام السودان والمندوب الســـامي البريطاني في القاهرة من ناحية ووزارة الخارجية البريطانية في لندن من ناحية أخـــرى ، وكذلك المراسلات الدبلوماسية بين وزارة الخارجية البريطانية والســفير البريطـــاني فـــي روما من جانب والحكومة الإيطالية من جانب آخر ، في خلال كل ذلـــك ظلـــت حكومـــة السودان منشغلة بموضوع الحدود بين السودان وليبيا على ضوء التكريس الإيطـــالي فـــي المناطق الجنوبية من ليبيا . وفي سياق ذلك الانشغال أعد {نيوبولد} الذي كان يعمـــل فـــي {الخدمة السياسية} Political Service في السودان ، والذي اشترك في العمليات السنوســـية عامي ١٩١٥ – ١٩١٦م وكان قد سبق له أن عبر الصحراء الواقعة بيـــن حلفـــا ودنقـــلا وأفريقيا الاستوائية الفرنسية أكثر من مرة ، وقد أعد بتاريخ الخامس والعشرين من مـــارس

١٩٣١م ، مذكرة مطولة لحكومة السودان بشأن الأحداث التاريخية المتعلقة بالحدود الجنوبية لليبيا . وقد قدم نيوبولد سرداً مهماً للعلاقات بين تركيا وليبيا منذ ١٨٥٠م ، ودور الطائفة السنوسية وهزيمتها النهائية بواسطة الإيطاليين ، وتوسع الفرنسيين ومواجهتهم للأتراك والإيطاليين . وقد ذكر نيوبولد في تلك المذكرة **{أن إيطاليا قد اعترفت في عامي ١٩٠٠ – ١٩٠٢م بإعلان مارس ١٨٩٩م بالرغم من أن هذا الموضوع مرفوض من قبل الصحافة الإيطالية في الوقت الحاضر }** [١] .

ويرى نيوبولد أن الحدود الجنوبية للمثلث السوداني المعروف بمثلث السارة ، والذي كان محل خلاف من وجهة النظر الإيطالية ، قد اتفق عليها الفرنسيون والبريطانيون في ١٨٩٩ – ١٩١٩م ، وأن إيطاليا سبق لها أن وافقت على ذلك في ١٩٠٢م . أما فيما يتعلق بالحدود الشمالية للمثلث فإن الامتداد الاتفاقي لخط عرض ٢٢ درجة شمالاً إلى النقطة التي يلتقي فيها بالخط الذي حدده إعلان مارس ١٨٩٩م ووضحته معاهدة ١٩١٩م ، فإنه لم تحدد بعد . وكما جاء في مذكرته أن المثلث لا يتضمن أي قيمة اقتصادية للسودان بالإضافة إلى أنه لا يحتمل أن يقطنه سكان بصفة دائمة . وبالرغم من أن التحصيل المنطقي للمذكرة هو أنه يمكن للسودان أن يتخلى عن مثلث السارة ، إلا أن نيوبولد قد أشار إلى النتائج المترتبة على ذلك التوجه حيث قال : **{إن الرأي المصري ضد التنازل سيكون متأثراً برحلة الأمير كمال الدين التي تعتبر إحدى روائع الرحلات وكذلك بالشعور الذي أثاره التنازل في جغبوب ، علماً بأنه كان هناك تعويض ، أما الآن فلا مجال لذلك . وإذا ما أقرت فكرة التنازل عن مثلث السارة فإن أحسن خط للحدود هو تمديد الحدود الإنجليزية الفرنسية على امتداد خط طول ٢٤ درجة حتى يلتقي مع خط عرض ٢٢ درجة . وهذا الاقتراح لن يخدش الوضع الراهن القائم في العوينات}** [٢].

---

(١) انظر:

F.O./371/15433, Enclosure (2) No.1 Note entitled The Southern Frontiers of Italian Libya, by D. New bold, Sudan Political Service, Kassale. 25/3/1931.

(٢) نفس الوثيقة السابقة . وراجع أيضاً :

Henderson, K.D., The Making of Modern Sudan, the Life and letters of Sir Dounlas New bold, London, pp.35-6.

نقل ماكمايكل Mac Michael السكرتير الإداري لحكومة السودان ، والذي كان وقتها حاكماً عاماً للسودان بالإنابة ، مذكرة نيوبولد إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، لقد تبنى ماكمايكل نفس خط التفكير الذي أثر سلفاً على رأيه بالنسبة لتسوية الحدود الغربية للسودان مع أفريقيا الاستوائية الفرنسية في عام ١٩١٩م و ١٩٢٣م [٣] **. وكما جاء في خطابه المرفق مع المذكرة التي بعث بها للمندوب السامي البريطاني في القاهرة بتاريخ العاشر من أبريل ١٩٣١م ، أن الحدود التي حددت في معاهدة ١٩١٩م المكملة وبروتوكول ١٩٢٤م اللاحق لها هي تقريباً نفس الحدود الموضحة بشكل عام في الخرط المنشورة قبل ١٩١٤م** [٤] **. وفي محاولة منه للدفاع عن التوجهات التي تبناها في عامي ١٩١٩م و ١٩٢٣م ادعى ماكمايكل أنه {عندما قام الجغرافيون في وزارة الحربية البريطانية بمراجعة خرطهم على ضوء الكلمات الإنجليزية لمختلف المعاهدات كما هو معبر عنها في المكاتبات السابقة لها ، وبالتالي فقد خلق ذلك التصرف تعقيدات كان القصد من معاهدة ١٩١٩م إزالتها عن طريق الاحتفاظ بالوضع القائم قبل ١٩١٤م** [٥]. **وقد خلص ماكمايكل إلى أن مثلث السارة أرض لا مالك لها }** Res nullius وأن السودان لم يدع عليه حقاً باعتبار أن المثلث لم يدر بواسطة مصر من قبل . وعلى ضوء ذلك انتهى ماكمايكل إلى وجوب أن تؤسس أية تسوية للحدود بين السودان وليبيا على مقترحات نيوبولد [٦].

---

(٣) وسلك ماكمايكل (MacMichael) نفس التوجه بعد عامين بالنسبة للحدود المشتركة بين السودان والقسم الجنوبي من الحدود الأثيوبية . فلقد تقدم ماكمايكل في الحادي عشر من أغسطس ١٩٣٣م باقتراح للسلطات البريطانية يقضي بأن تتنازل السلطات السودانية عن هضبة (البوما) لأثيوبيا مقابل أن يأخذ السودان قطاع البارو . للمزيد حول هذا الموضوع راجع كتابنا : نزاع الحدود بين السودان وأثيوبيا ، ص ٦٣ إلى ص٨٠ .

(٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/15433, Enclosure 1 (in) No. 1. Mattey toloraire, 10/4/1931.

(٥) نفس الوثيقة السابقة .

(٦) نفس الوثيقة السابقة. من الواضح أن ماكمايكل كان متسرعا في التوصل لتسويات نهائية بالنسبة لحدود السودان حتى لو كان ذلك على حساب أراضي السودان . يثبت ذلك في مسلكه بالنسبة لحدود السودان مع أثيوبيا وكينيا وتشاد وليبيا ، ولا شك أن مقولة ماكمايكل بأن مثلث السارة أراض لا مالك لها دليل على ما نقول . ولعل ماكمايكل وهو السكرتير الإداري لحكومة السودان كان يرى أن مساحة كبيرة على نحو يسمح بالتنازل عن بعض أجزائه .

لقد وافق المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، بأن الحل العملي لهذه المشكلة من وجهة نظر السودان وهو اعتبار خط طول ٢٤ درجة الحدود المشتركة بين السودان وليبيا في المنطقة التي لم تسو من الحدود ، أي من خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ دقيقة حتى التقاءه مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً. لكنه لفت نظر وزارة الخارجية البريطانية لمسألتين مرتبطتين بتبني هذه التسوية أو بالأحرى لاعتراضين يقفان في وجه تبني هذه الطريقة من التسوية ، الأولى أن هذه التسوية مع ليبيا تعتبر غير مقبولة من جانب الحكومة الفرنسية التي قد تكون متوقعة التأييد البريطاني في مواجهة الدعاوي الإيطالية . أما المسألة الثانية فهي أنه من المهم إجراء مشاورات مع الحكومة المصرية قبل التخلي عن مطالب السودان بالنسبة لمثلث السارة (٧).

ويبدو أن وزارة الخارجية البريطانية قد اختارت تأجيل موضوع الحدود بين السودان وليبيا لبعض الوقت . ذلك أنه عندما وجه المستر مانديرMander سؤالاً برلمانياً ، في مجلس العموم البريطاني ، إلى وزير الخارجية في السابع من مايو ١٩٣١م بشان عما إذا كان قد تم التوصل لأي ترتيب بشأن التوصل لحدود نهائية بين السودان وليبيا ؟ أجاب {هندرسون} Henderson بالنفي وأضاف بأنه ليس من المحتمل أن يتم {تخطيط} Demarcation لهذه الحدود في الوقت القريب إذ أن الحدود تشق أراضي صحراوية تبعد عدة مئات من المناطق المأهولة في أي من الإقليمين (٨).

ليس واضحاً عما إذا كانت كلمة {تخطيط} قد استعملت وفقاً لمعناها الفني . لأنها إذا استعملت استعمالاً فنياً فمن الممكن أن يفهم بأن وزير الخارجية البريطانية قد استبعد ، على الأقل في ذلك الوقت فكرة التنازل عن مثلث السارة بواسطة السودان . وبالتالي فإن كان يتحدث عن الحدود كما هي محددة بالامتداد الاتفاقي لخط عرض ٢٢ درجة شمالاً حتى تقاطعه مع الخط الذي جاء في معاهدة ١٩١٩م . أما إذا استعملت كلمة {تخطيط} بمعنى {تعيين} أو تسوية ، فإن ذلك يعني على الأقل من حيث المبدأ ، بأن وزارة الخارجية البريطانية قد أقرت سياسة التخلي عن مثلث السارة ، وبالتالي تحديد الحدود مع

---

(٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O./371/15433, Loraine to Henderson, 25/4/1931.

(٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن): F.O/371/15433, Parliamentary Question, 7/5/1931.

ليبيا على ضوء الخط الذي اقترحته حكومة السودان والذي أيده المندوب السامي البريطاني في مصر مع بعض التحفظات [٩].

ولم يذكر بعد ذلك أي شي عن الحدود بين السودان وليبيا أي منذ الوقت الذي وجه فيه السؤال البرلماني حتى يونيو ١٩٣٢م عندما وجهت وزارة الخارجية البريطانية السفير البريطاني في روما لإخطار الحكومة الإيطالية بأن رحلة الميجور باقنولد {Bagnold} ستتم في مثلث السارة . وفي صياغة دقيقة حذرة أشار السفير البريطاني في مذكرته للحكومة الإيطالية بأن هذا الاتصال يتم **{وفقاً لعلاقات الصداقة وقصد منه أن يمنع هفوة قد تقود لأي حادثة}** [١٠]. **وقد وعدت الحكومة الإيطالية في ردها بأن تقدم كل التسهيلات الممكنة للرحلة، ولكنها في ذات الوقت كانت واضحة جداً بشأن ملكيتها لمثلث السارة}**. وكما جاء في المذكرة {أن الحكومة الإيطالية لم تستطع أن تفهم أن أراضي السودان تشمل أياً من منطقة آبار السارة الواقعة ما بين خط عرض ٢١ درجة و٣٩ دقيقة و٤٠ ثانية وخط طول ٢١ درجة و٥٠ دقيقة و ٣٦ ثانية ومرتفعات التيبستي والاندي ، أو بصفة عامة الأراضي الواقعة إلى الشمال من الخط الذي يبدأ من تقاطع مدار السرطان مع خط طول ١٦ درجة شرقاً متابعاً الاتجاه الجنوبي الشرقي . إن هذه الأرض تتبع لمنطقة الكفرة وهي جزء من إقليم ليبيا} [١١] .

لقد قررت السلطات البريطاني المضي قدماً في بعثة **{باقنولد}** دون الدخول في جدل مع الحكومة الإيطالية . والتقت البعثة لدى وصولها إلى العوينات مع فصيلة إيطالية في **{عين ضوا}** . وقد دفع ذلك الأمر السلطات البريطانية إلى القيام باستكشافات جوية في العوينات ومثلث السارة ، في بداية عام ١٩٣٣م ، بغرض التأكد عما إذا كان الإيطاليون قد أقاموا نقاطاً دائمة في هاتين المنطقتين أم أن مهمة الفصيلة كانت قاصرة على مراقبة بعثة **{باقنولد}**. وقد ثبت للسلطات البريطانية أن الإيطاليين كانوا يقومون بزيارات متفرقة

---

(٩) كما ذكرنا في القسم الأول ، لقد ظل الكتاب والسياسيون يستعملون لسنوات عديدة كلمة تعيين (delimitation) وكلمة تعليم أو تخطيط (demarcation) باعتبار أن الكلمتين مترادفتين .

(١٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O/371/15433. The British Ambassador to Secretary of state of foreign office, 17/6/1932.

(١١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/15435. Enclosure, 1 in No.1. the Italian Ministry of Foreign Affairs to Foreign Office.

{للعوينات} . أما فيما يتصل بمثلث السارة فقد وضح أن الإيطاليين قد أعدوا مهبطاً للطائرات وأن طائراتهم كانت تقوم بزيارات منتظمة للمنطقة (١٢).

وهكذا بالرغم من أن الإيطاليين لم يقوموا بتأسيس محطة عسكرية في أي من المنطقتين ، إلا أن الإيطاليين كانوا يقومون بزيارة {العوينات} على نحو مستمر يرقى لدرجة الاحتلال . ولقد لوحظ أن الإيطاليين قد تفادوا منطقة {كاركور تاهل} التي تقع إلى الجنوب من خط عرض ٢٢ درجة وإلى الشرق من خط طول ٢٥ درجة . ويبدوا انهم حصروا اهتمامهم في{عين ضوا} والآبار الأخرى الواقعة في الركن الجنوبي الغربي من المصيف أي إلى الغرب من خط طول ٢٥ درجة . والاستنتاج المعقول هو أن الإيطاليين كانوا يدعون بأن الحدود بين السودان وبرقه تجري إلى الجنوب على امتداد خط طول ٢٥ درجة ، أي يجب أن تكون الحدود هي الامتداد الجنوبي للحدود بين برقة ومصر كما هي واردة في اتفاق ١٩٢٥م . والهدف من كل هذا هو إثبات أن العوينات تقع غربي خط طول ٢٥ درجة . وأن مثلث السارة أراض إيطالية .

وعلى ضوء هذا البحث قام المندوب السامي البريطاني في القاهرة بمناشدة وزارة الخارجية البريطانية في السادس عشر من يونيو ١٩٣٣م {بأن تقول شيئاً للإيطاليين وأن تتخذ – على الأقل – بعض الخطوات للمحافظة على حقوق السودان من المناطق المتنازع عليها} (١٣). فهل فعلت وزارة الخارجية البريطانية ذلك ؟

***

(١٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./407/216, Minute prepared for the High Commissioner in Cairo, 31/5/1933.

(١٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./407/216, High Commissioner to Foreign Office, 16/6/1933.

الباب السابع

بريطانيا تتخلى عن مثلث السارة السوداني لإيطاليا على أسس سياسية

١ـ بريطانيا تبادر بدعوة إيطاليا لتسوية الحدود بين السودان وليبيا .

٢ـ استعداد بريطاني للتخلي عن أراض سودانية شاسعة مقابل إغلاق الجدل الإيطالي حول معاهدة ١٩١٩م .

٣ـ موسليني يقبل الاقتراح البريطاني كأساس للتسوية الحدودية .

٤ـ المركز القانوني للسودان يثير مسألة الشكل القانوني لصياغة اتفاقية الحدود.

بالرغم من أن وزارة الخارجية البريطانية كانت دائماً حريصة على أن تتفادى أي نزاع مع الحكومة الإيطالية إلا أن ضغط المندوب السامي البريطاني في القاهرة قد بدأ يحدث أثراً . فلقد ساهم إنشاء الإيطاليين لمحطتين عسكريتين في العوينات.ومثلث السارة في مضاعفة الضغط على وزارة الخارجية البريطانية لتحريك الموضوع مع روما . وبالفعل فقد كانت النتيجة هي المحادثات الإنجليزية الإيطالية التي عقدت في روما في نهاية نوفمبر ١٩٣٣م. وكما يمكن أن يستمد من المكاتبات المتبادلة بين الحكومتين طوال العامين الماضيين فإن نقطة الخلاف وفقاً لفهم الجانبين يجب أن تكون مسألة الحق على مثلث السارة وجبل العوينات . لكن محادثات ١٩٣٣م كشفت ولأول مرة أمراً آخراً . فقد طرح الإيطاليون ادعاءهم على {ميرجا} وكذلك على الأرض الواقعة إلى الشرق من خط طول ٢٥ درجة **{بخلاف الأرض الواقعة للشرق من جبل العوينات}** [1] .

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./470/15434, Minute prepared for the Secretary of State for Foreign Affairs, 7/12/1933.

ولا شك أن تلك الادعاءات شكلت توجهاً جديداً من الحكومة الإيطالية . ولا شك أن قبولها يعني تحديد حدود جديدة إلى الجنوب من ليبيا ومصر . وهو أمر لم يكن مضمناً في الاتفاق الإيطالي المصري الذي تم بشأن الحدود في ١٩٢٥ . وبالتالي لم يتسن لمناقشات نوفمبر الاستمرار طويلاً ، حيث تم تأجيل الموضوع للسنة الجديدة ، نتيجة لاعتراض الإيطاليين على الطلب الإنجليزي بسحب محطاتهم العسكرية في العوينات ومثلث السارة [٢] .

وبالفعل فقد شهدت السنة الجديدة اتصالات ومباحثات دبلوماسية مكثفة على نحو قاد إلى التوصل إلى تسوية نهائية للخلاف الذي استمر طويلاً حول الحدود بين ليبيا والسودان . وفي هذا الصدد كانت وزارة الخارجية البريطانية قد بادرت باتخاذ أول خطوة إيجابية في مذكرتها بتاريخ الحادي والعشرين من مايو ١٩٣٤م الموجهة إلى الحكومة الإيطالية . فقد عبرت المذكرة عن اهتمام الحكومة البريطانية بالموقف على الحدود بين السودان وليبيا واقترحت اتخاذ خطوات عملية لتسويتها على نحو نهائي[٣]. ووافقت الحكومة الإيطالية على وجهة النظر البريطانية ، واقترحت بدء المفاوضات في الحال في روما لتسوية الحدود [٤]. بيد أن الرد الإيطالي أضاف أن الحكومة الإيطالية لا ترى أن هناك ضرورة للشروع في ذات الوقت في سحب القوات الإيطالية التي تعسكر في العوينات ومثلث السارة [٥].

لقد كان من شأن الرفض بسحب القوات الإيطالية المتزامن مع بدء المباحثات أن أصبحت وزارة الخارجية البريطانية أكثر تشاؤماً بالنسبة لنتائج المباحثات . لكن بالرغم من كل هذا فقد تم توجيه السير {دروموند} Drummond الممثل البريطاني في روما

---

(٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./407/216, Minute prepared for the High Commissioner.

(٣) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Foreign Office to Italian Ministry of Foreign Affairs, 21/5/1934.

(٤) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Enclosure 1 (in) No. Italian Ministry for Foreign Affairs to the Foreign Office, 26/5/1934.

(٥) المصدر السابق .

بالاستفادة من الموافقة الإيطالية وبدء المباحثات في أقرب وقت ممكن [٦]. وأرسلت له وزارة الخارجية في نفس الوقت الأسس التي يمكن للحكومة البريطانية أن تقبل بها التسوية الحدودية . ويمكن تلخيص الأسس في الآتي : أن تتابع الحدود خط طول ٢٥ درجة جنوباً حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً حتى يقاطع خط عرض ١٩ و٣٠ دقيقة. ومن تلك النقطة يجب أن تتجه الحدود إلى الغرب لتلتقي وتتابع الحدود بين السودان وأفريقيا الاستوائية الفرنسية جنوباً على إمتداد خط طول ٢٤ درجة . وتم توجيه الممثل البريطاني في روما بأن لا يخل بدعوى الحكومة البريطانية على مثلث السارة وغربي العوينات مالم يكون قد تم التوصل لتسوية الحدود على الأسس المذكورة سلفاً [٧].

وبما أن وزارة الخارجية البريطانية لم تكن متفائلة كما ذكرنا . فقط أخطرت {دروموند} بأن يقترح رفع النزاع لمحكمة العدل الدولية الدائمة أو للتحكيم إذا ما وصلت المباحثات لـ {طريق مسدود} Bedalock . وأخطرته بأنه إذا ما تقرر رفع الأمر للمحكمة الدائمة للعدل الدولية فإن الأطراف الرئيسيين هما الحكومة الإيطالية والحكومة البريطانية على أنه يجوز لمصر التدخل في الدعوى . أما فيما يتصل بالتحكيم فإن النزاع سيرفع على أساس أنه بين حكومة السودان والحكومة الإيطالية [٨].

وعندما التقى السير {دروموند} بوزير الخارجية الإيطالي أخطره بأن مسألة {مثلث السارة} لم تعد موضوعاً للخبراء بل هي موضوع يجب أن تحاول الدولتان معالجته على أسس سياسية : وأكد {دروموند} أنه من غير المناسب بل ومن الغريب أن لا تتمكن دولتان صديقتان من التوصل لاتفاقية بشأن مسألة من هذا النوع [٩]. وقد وافق الوزير الإيطالي على الرأي البريطاني وأكد من جانبه رغبته في أن يشرع معه في محادثات

---

(٦) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/18035, Simon to Drummond, 2/7/1934.

(٧) لقد أصبح السير (دروموند) لفترة من الزمان سكرتيراً عاماً عصبة الأمم .

(٨) وفقاً للمادة٣٤ من ميثاق المحكمة الدائمة للعدل الدولية فإن حق التقاضي أمامها قاصر على الدول وأعضاء عصبة الأمم فقط. والمعلوم أن بريطانيا وإيطاليا كانتا عضوتين في عصبة الأمم. أما مصر فقد أصبحت عضواً في ١٩٣٩م . علماً بأن التحكيم لا يحتاج لعضوية ولا يشترط أن يكون بين دول .

(٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Enclosure 2 (in) No.1. note of conversation Between Sir E.Drummond and Singor Surich, 12/6/1934.

لمعالجة الموضوع . لكنه أشار في ذات الوقت إلى أنه إذا لم يجد الطرفان أن من الممكن الوصول لاتفاقية فإن الأمر يقتضي إعادة الموضوع للخبراء [١٠].

وفي الجلسة الثانية من المحادثات التي كانت في وزارة الخارجية الإيطالية شرح {دروموند} بأن الاقتراح الذي يود أن يتقدم به يشكل أساساً معقولاً وشريفاً لتسوية الموضوع : وكان الاقتراح على النحو التالي : **{أن تتخلى حكومة صاحب الجلالة عن المطالب الخاصة بالأرض الواقعة إلى الغرب والشمال من الخط الذي يتابع خط طول ٢٥ درجة جنوباً من نقطة تقاطعه مع خط عرض ٢٢ درجة حتى يصل خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ ثانية . على أن يتجه الخط غرباً ليلتقي ويتابع الحدود الفرنسية السودانية جنوباً على امتداد خط طول ٢٤ درجة . ومن جانب آخر أن تتخلى الحكومة الإيطالية عن كل المطالب التي تتعلق بالأراضي الواقعة إلى الشرق الجنوب من الخط المعرّف في الفقرة الأولى من هذه التسوية}** [١١]. وأكد الممثل البريطاني أن هذه المحادثات تتم دون المساس بالحقوق القائمة بالنسبة لأي من الحكومتين [١٢].

وتساءل وزير الخارجية الإيطالي عن الأسباب المفاجئة التي جعلت الاقتراح البريطاني يتغير من خط طول ٢٥ درجة إلى خط طول ٢٤ درجة عندما تصل الحدود إلى خط عرض ١٩ درجة و ٣٠ دقيقة [١٣]. ويبدو أن وزير الخارجية الإيطالي قد وضع أصبعه في المشكلة العقيمة والتي كانت الحكومة البريطانية تعمل لتفاديها . وحقيقة الأمر أن البريطانيين كانوا على استعداد للتخلي عن أراض شاسعة ، كان من الممكن أن تكون جزءاً من السودان الحالي ، بهدف إقناع الإيطاليين للتوصل لاتفاقية حول الحدود بين السودان وليبيا دون إثارة الخلاف والجدل حول معاهدة ١٩١٩م مرة ثانية .

وأقر السير {دروموند} بأن سبب التغيير يعود إلى أن هناك اتفاقية بين الحكومة البريطانية والفرنسية تعترف بخط طول ٢٤ درجة كحدود بين أقاليمها . وأشار

---

(١٠) نفس المصدر السابق في رقم (٩) .

(١١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Enclosure 2 (in) No. 1, note of conversation between Sir E.Durmmond and Signor Surich, 12/6/1934.

(١٢) نفس المصدر السابق .

(١٣) نفس المصدر السابق .

{دروموند} بأنه عندما يصل الخط إلى نقطة معينة في خط طول ٢٤ درجة ، فإن الحدود ستتجه من هناك إلى إتجاه غربي بحيث تتضمن أراض ظلت دائماً معتبرة جزءاً من السودان . وكما جاء في المذكرة التي أعدها السير {دروموند} عن محادثاته مع الوزير الإيطالي بتاريخ الثاني عشر من يونيو ١٩٣٤م أن الوزير الإيطالي أوفي بشي من القناعة بتقديم رده بعد عدة أيام [١٤].

وجاءت نقطة التحول في التطورات الدبلوماسية للحدود بين السودان وليبيا في الحادي والعشرين من يونيو ١٩٣٤م عندما أخطر {موسليني} Mssolini الممثل البريطاني في روما السير دروموند على نحو عام بأن الحكومة الإيطالية قررت أن تقبل الاقتراح البريطاني كأساس لتسوية الحدود بين السودان وليبيا [١٥]. وتم إخطاره في ذات الوقت بأن مكاتبة رسمية ستصله في وقت قريب بشأن هذا الموضوع . وسارع السير {دروموند} بنقل هذا الإنجاز لوزارة الخارجية البريطانية ، وتساءل في رسالته عن الشكل الذي يمكن أن تتم فيه الاتفاقية [١٦].

لقد أكد الرد الإيطالي المكتوب قبول الاقتراح البريطاني كما نقل السير دروموند إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ الثالث والعشرين من يونيو ١٩٣٤م . لكن الحكومة الإيطالية أثارت تعديلاً مقتضاه أن تتابع الحدود من خط عرض ٢٠ درجة و ٣٠ ثانية غرباً . وكما جاء في الرد الإيطالي فإن التعديل المقترح لم يمس الموقف البريطاني أو الإيطالي في مواجهة الحكومة الفرنسية [١٧] . ويبدو أن وزارة الخارجية البريطانية قد رأت أن تضع حداً لهذا الخلاف ، إذ وجهت ممثلها في روما بقبول الاقتراح الإيطالي في مجمله ، وطلبت منه أن يمنح الحكومة المصرية عدة أيام قبيل تحديد الشكل النهائي للاتفاقية [١٨].

---

(١٤) نفس المصدر السابق .

(١٥) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Drummond to Foreign Office, 22/6/1934.

(١٦) نفس المصدر السابق .

(١٧) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Drummond to Foreign Office, 23/6/1934.

(١٨) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035,Foreign Office to Drummon, 28/6/1934.

وفي تلك الأثناء كانت هناك مشاورات بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية بشأن الشكل الذي يمكن أن تأخذه الاتفاقية . كان المندوب السامي البريطاني في مصر يرى أن هناك سوابق بشأن انضمام حكومة السودان لوثائق دولية . وعلى ضوء ذلك طلب من الحكومة المصرية أن توافق على إنهاء الموضوع بواسطة حكومة السودان [١٩]. وقد وافق رئيس الوزراء المصري على صلاحية أن يتولى حاكم عام السودان التوقيع نيابة عن الحكومتين المصرية والبريطانية من حيث المبدأ . لكنه أضاف **{أنه من المؤسف فإنه من الصعب عليه تجاهل ذلك}**[٢٠]. على ضوء ذلك ومراعاة لملاحظة رئيس الوزراء المصري ، وافقت الحكومة البريطانية أن تأخذ الاتفاقية تسوية الحدود بين السودان وليبيا شكل تبادل المذكرات [٢١] بين الممثل البريطاني في روما والوزير المصري في روما من جانب آخر . والحكومة الإيطالية من جانب آخر [٢٢]

***

(١٩) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Lampson to Foreign Office, 4/7/1934.

(٢٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Lampson to Foreign Office, 4/7/1934.

(٢١) قد يصدر اتفاق الدول في شكل معاهدة Treaty ولا يؤثر التعاهد بين الدول أن يطلق عليه اتفاقية Agreement أو اتفاق Convention أو ميثاق Convent أو إعلان Declaration أو بروتوكول Protocol أو بيان مشترك أو مذكرات متبادلة Exchange Notes فكل هذه التسميات تدل على الشكل الذي أراد المتعاهدون إفراغ اتفاقهم فيه . وعلى سبيل المثال فإن اتفاقية الحدود التي أبرمت بين السودان وأثيوبيا في ١٩٧٢م جاءت في شكل تبادل مذكرات .

(٢٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035, Foreign Office to Lampson, 6/7/1934.

الباب الثامن

تبادل المذكرات بشأن التسوية النهائية للحدود بين السودان وليبيا

١ــ الحكومة البريطانية توافق على أن يصدر الاتفاق في شــكل تبــادل مذكــرات مــع الحكومة الإيطالية مراعاة للحكومة المصرية .

٢ــ النص البريطاني على خلاف الإيطالي ينطوي على تحديد الملتقى الثلاثي للحدود .

٣ــ جوهر التسوية الحدودية نقل مثلث السارة من السودان إلى ليبيا .

٤ــ تخطيط جزئي للحدود بوضع علامات حدودية على امتداد ١٤ كيلومتراً.

٥ــ لماذا تساهلت السلطات البريطانية مع إيطاليا بشأن تسوية الحدود .

لقد تم التوصل لتفاهم بين الحكومتين البريطانية والمصرية بشأن الشكل الذي يمكــن أن يفرغ فيه الاتفاق على الحدود بين السودان وليبيا . وكما عرفنا فإن الطرفين اتفقا علــى أن يكون الاتفاق في شكل تبادل مذكرات ، بحسبان أن هــذا الشــكل يســهل اســتصحاب إشراك الحكومة المصرية في الاتفاق وإن كــان اشــتراكاً شــكلياً فقــط . ذلــك أن كــل المراسلات الدبلوماسية والمحادثات المباشرة تمت بين الحكومتين البريطانية والإيطاليــة ، ولم تشترك الحكومة المصرية في أية مرحلة سابقة .

وتأسيساً على ذلك قام الممثل البريطاني في روما بتسليم موسوليني مذكرة تنطــوي على وصف الحدود كما تراها الحكومة البريطانية بتاريخ العشرين مــن يوليــو ١٩٣٤م . كما قام السفير المصري بتسليم مذكرة مطابقة للمذكرة البريطانية في ذات التــاريخ الــذي سلمت فيه المذكرة البريطانية . وقد انطوت المذكرة البريطانية وكذلك المذكرة المصريــة

على اقتراح بتحديد الحدود بين السودان وليبيا على النحو التالي : **{أن تبدأ الحدود من نقطة تقاطع خط طول ٢٥ درجة شرق غرينتش مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً. ثم تتابع خط طول ٢٥ درجة في اتجاه جنوبي حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٠ درجة شمالاً. ومن تلك النقطة تتابع الحدود خط عرض ٢٠ درجة شمالاً في اتجاه غربي حتى تقاطعه مع خط طول ٢٤ درجة شرق غرينتش. ومن تلك النقطة تتابع الحدود خط طول ٢٤ درجة شرقي غرينتش في اتجاه جنوبي حتى التقائه مع حدود الممتلكات الفرنسية}**(١).

ووفقاً للبيان الإيطالي الصادر بتاريخ الحادي والعشرين من يوليو ١٩٣٤م فقد نصت الفقرة المقابلة للنص الانجليزي على النحو التالي : **{نتيجة للاتفاقية التي تم التوصل إليها فإن الحدود بين السودان وبرقة تبدأ من أقصى نقطة جنوبية للحدود بين مصر وبرقة أي تقاطع خط طول ٢٥ درجة شرقي غرينتش مع خط عرض ٢٢ درجة شمال ثم تتابع خط طول ٢٥ درجة حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٠ درجة شمالاً. ومن هناك يتابع نفس خط العرض في اتجاه غربي حتى تقاطعه مع خط طول٢٤ درجة شرقاً . ومن هذه النقطة تبدأ الحدود بين برقه والسودان اتجاهها الشمالي والجنوبي نزولاً على امتداد خط طول ٢٤ درجة حتى يلتقي مع خط الحدود الذي سيحدد فيما بعد ، مع الممتلكات الفرنسية في أفريقيا الوسطى }** (٢).

وبالنظر إلى النصين يلاحظ أن النص البريطاني يفترض أن تحديد الحدود بين السودان وليبيا قد سوي ضمناً نقطة الالتقاء الثلاثي بين السودان وليبيا – الممتلكات الفرنسية ، أما النص الإيطالي فقد أشار بوضوح تام إلى أن نقطة الالتقاء الثلاثي للحدود لم يتم الاتفاق عليها وقد تركت للاتفاق عليها في المستقبل. ويلاحظ أيضاً – وهي الملاحظة الأهم – أن بريطانيا ومصر قد تنازلتا بمقتضى اتفاقية ١٩٣٤م مع الحكومة الإيطالية عن أي دعوى من جانب السودان بالنسبة لأراض تقع إلى الغرب والشمال من

(١) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن) :

F.O./371/18035,Enclosure, 1 (in) No.1,Drummond to Mussolini, 20/6/1934.

(٢) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية (لندن):

F.O./371/18035 21: Agreement for Delimitation of the Libya-Sudan Frontier (translation), which now reached, the frontier between Cyrenaica and the Sudan, starting.

الحدود التي اتفق عليها . ومن جانب آخر تخلت إيطاليا عن أي مطالب بشأن أراض تقع إلى الجنوب والشرق من الحدود التي اتفق عليها . وبما أن المطالب الإيطالية إلى الجنوب والشرق من الحدود التي اتفق عليها حديثاً لا أساس لها ، بل هي كانت مجرد مناورة إيطالية ، فإن المغزى الفعلي والمحصلة النهائية لاتفاقية ١٩٣٤م ، هي أنه تم نقل مثلث السارة من السودان وإضافته إلى ليبيا . وغني عن التذكير بأن الحدود التي اتفق عليها في ١٩٣٤م تعكس في مجملها التسوية التي كان قد دعمها ماكمايكل في ١٩٣١م .

على أثر إبرام اتفاقية ١٩٣٤م وافقت الحكومتان الإيطالية وحكومة السودان على تكوين لجنة حدودية مشتركة {لتحديد} و {تخطيط} الحدود بين السودان وليبيا في المنطقة الواقعة مباشرة إلى الجنوب من مصيف جبل العوينات ووفقاً للتوجيها التي جاءت في المذكرات المتبادلة بتاريخ العشرين من يوليو . وقد تم بالفعل تحديد خط طول ٢٥ درجة شرقاً على الأرض وكذلك تخطيطه مع وضع١٢عموداً حديدياً تم ترقيمها من١ إلى١٢ لمسافة تبلغ ١٤ كيلومتراً . وكما جاء في تقرير لجنة الحدود المشتركة أن تخطيط نقطة الالتقاء الثلاثي بين السودان ومصر وليبيا {Tri-Junction} قد وضح أنه غير عملي . ورؤي أن تثبيت اثني عشر عموداً حديداً كان كافياً .

إن من الواضح أن الحكومة البريطانية كانت كريمة جداً في التوصل مع الحكومة الإيطالية لاتفاق على حساب أراض سودانية . فالثابت لدى السلطات البريطانية منذ مطلع القرن العشرين أن مثلث السارة هو أرض سودانية ، لأنه يدخل في نطاق الامتداد الطبيعي لخط عرض٢٢ درجة شمالاً في اتجاه الغرب إلى أن يلتقي مع الخط الذي أرساه إعلان مارس ١٨٩٩م أو اتفاقية ١٩١٩م المبرمتان على التوالي بين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية ولعل السؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا كانت السلطات البريطانية متساهلة مع السلطات الإيطالية بشأن الاتفاق على الحدود بين السودان وليبيا ؟ .

لقد نوهنا سلفاً أن المستر ماكمايكل السكرتير الإداري لحكومة السودان والذي كثيراً ما ناب عن حاكم عام السودان . قد كان مرناً جداً بشأن العديد من التسويات التي تمت بشأن حدود السودان مع الدول المجاورة . والبادي أن ماكمايكل ونيوبولد كانا يعتقدان بأن أراضي السودان شاسعة وأن توفير الحكم والإدارة لكل الأراضي التي تقع داخل السودان سلفاً ، والأراضي التي كان يمكن أن تكون جزءاً من السودان وفقاً لأية

تسويات نهائية للحدود ، أمر شاق ومكلف وقد يكون غير عملي بالنسبة للطاقات الإدارية التي كانت متوافرة لدى حكومة السودان في ذلك الوقت .

ومع التسليم الكامل بأن مساحة السودان كبيرة جداً باعتبار أن مساحته من أكبر مساحات الدول ، وما يستتبع ذلك من صعوبات تتصل بإدارة وحكم كل مساحة السودان ، ومع التفهم للجهد والوقت الذي كان على السلطات البريطانية أن تبذلهما لتسوية حدود السودان باعتبار أن للسودان حدوداً كثيرة من حيث العدد وطويلة من حيث المدى ، إلا أن تلك ليست هي الأسباب الوحيدة للتساهل الذي رأيناه بالنسبة لتسوية الحدود مع إيطاليا . والواقع أن ما كان يعتقد فيه ماكمايكل ونيوبولد ويقومان به ، ما هو في الحقيقة إلا تنفيذ للسياسة التي رسمتها السلطات البريطانية في لندن لدبلوماسية تسوية الحدود مع الدول الاستعمارية الأخرى التي كانت تحكم البلاد التي لها حدود مشتركة مع السودان ، وكذلك مع ذاتها ، ونقصد بذلك البلاد التي كانت تحت السيطرة البريطانية ولها حدود مشتركة مع السودان ، وهي يوغندا وكينيا .

ويهمنا في هذا المجال أن نركز على التساهل الذي تميزت به الدبلوماسية البريطانية مع السلطات الإيطالية بشأن تسوية الحدود بين السودان وليبيا وعلى خلفيات ذلك التساهل الذي أفقد السودان مثلث السارة .

معلوم أن السباق نحو احتلال الأراضي في أفريقيا الذي بدأ منذ منتصف الأول من القرن التاسع عشر ، قد كان في المقام الأول سباقاً وصراعاً بين بريطانيا وفرنسا . وقد بدأ السباق بالنسبة لشمال أفريقيا باحتلال فرنسا للجزائر في ١٨٣٠م وتونس في ١٨٨١م . وتبلور الصراع بشكل واضح بعد احتلال بريطانيا لمصر في ١٨٨٢م .

لما كانت إستراتيجية الاستعمار البريطاني قائمة في الأساس ، بعد احتلال مصر ، على التحرك منها جنوباً مروراً بالسودان ويوغندا وبقية بلاد شرق أفريقيا لتلتقي بالاستعمار المتواجد سلفاً في رأس الرجاء في جنوب القارة ، فقد ركزت الدبلوماسية

البريطانية – فيما يتصل بشمال أفريقيا – على حصر الاستعمار الفرنسي في البلاد التي احتلتها سلفاً من ناحية والعمل على تقليص سلطانه في البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى. وكانت السلطات البريطانية ترى أن الأسلوب الأمثل لتحقيق تلك الغاية في تلك الظروف ، هو تواجد قوة استعمارية أخرى في طرابلس الغرب وبرقة{ليبيا} لتنهض بمهمة الحاجز في وجه أي تحرك فرنسي شرقاً نحو مصر ، ولتقوم بتقليص الهيمنة الفرنسية على البحر الأبيض المتوسط في ذات الوقت . وقد وجدت بريطانيا ما تريده في إيطاليا التي كانت المرشح الأمثل لذلك الدور حيث أبرمت معها اتفاقية سرية في ١٨٨٣م لذلك الغرض .

ومما لا شك فيه أن احتلال بريطانيا لمصر في ١٨٨٢م كان طعنة لفرنسا . وهي الطعنة التي دفعت فرنسا للاندفاع نحو أعالي النيل في أواخر القرن التاسع عشر بغرض السيطرة على انسياب مياه النيل شمالاً نحو مصر والوقوف في وجه التوسع البريطاني جنوباً على امتداد القارة كما قرأنا في الفصل الأول . وكما رأينا في الفصل الأول فإن فرنسا قد قررت أن تشعل نار الحرب في فشودة مع بريطانيا . في ذلك الإطار كان لإيطاليا دور لم تشأ السلطات البريطانية أن تتساه لها . فقد سبق أن سارعت الحكومة الإيطالية لتأييد الحكومة البريطانية في ضربها للثورة العرابية في مصر . وبالرغم من أن التأييد الإيطالي كان تأييداً معنوياً إلا أنه كان مفيداً وذا معنى في تلك الظروف . فمثل ذلك التأييد كان يعني ضمنياً دعم الاحتلال البريطاني لمصر وهو الاحتلال الذي كان مرفوضاً من جانب فرنسا .

وتتالت صور التقارب البريطاني الإيطالي في العقد الأول من القرن العشرين إلى أن بدأ الاحتلال الإيطالي لليبيا بمعاهدة ١٩١٢م التي أبرمتها إيطاليا مع الدولة العثمانية . وساهمت بريطانيا في التمهيد لانتشار الاحتلال الإيطالي في أصقاع ليبيا ولا سيما الجزء الشرقي منها . وتصاعد التقارب بدخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى في جانب الحلفاء على النحو الذي سبق أن نوهنا له . وكما قرأنا أن دخول إيطاليا الحرب كان مقترناً بتحقيق بعض الأماني والتطلعات الإيطالية . وبالفعل فقد وعد الحلفاء – ومن بينهم

بريطانيا – بموجب المادة (١٣) من اتفاقية لندن ١٩١٥م ، بمنح إيطاليا المعاملة الأفضل فيما يتصل بالحصول على أراض في أفريقيا في حالة انتصار الحلفاء وأخيراً وليس آخراً فلقد كان للاستعمار الإيطالي أبعاد أخرى لها آثارها بالنسبة للاستراتيجية الاستعمارية بشكل عام . فالمعلوم أن النفوذ والتوسع البريطاني قد امتد لبلاد كانت تحت النفوذ أو السلطان العثماني . ومما لا شك فيه أن احتلال إيطاليا لليبيا قد كسر شوكة الدولة العثمانية من حيث أنه قلص واضعف الدعاية الإسلامية التي كانت منتشرة في الكثير من البلاد .

إن التحليل المنطقي للأحداث التاريخية التي سبقت التساهل البريطاني بشأن مثلث السارة الذي كان يمكن أن يكون جزءاً من السودان الحالي ، يشير إلى أن القضية ليست قضية أن المثلث منطقة فقيرة وليس فيها أي مصلحة اقتصادية للسودان ، كما حكم عليها نيوبولد في مذكرته التي كان قد أعدها لحكومة السودان وتبناها ماكمايكل . إن قضية التخلي عن مثلث السارة هي بكل المقاييس قضية وفاء إن لم تكن صفقة مع السلطات الإيطالية التي قدمت للسلطات البريطانية ما كان يحتاج له الاستعمار البريطاني منذ الاحتلال البريطاني لمصر في ١٨٨٢م وحتى تبادل مذكرات الاتفاق على تسوية حدود السودان مع ليبيا ١٩٣٤م .

***

خاتمـــــة

تمثل حدود السودان الغربية في أغلبها ، إن لم تكن كلها ، مـــا يمكـــن أن نعتـــبره تطويراً لمناطق نفـــــوذ Sphere of Influence كـــانت قائمـــة بيـــن دولتيـــن أوربيتيـــن استعماريتين ، كانتا في سباق محموم لحيازة أراض في وسط وغربي القارة الأفريقية فـــي أواخر القرن التاسع عشر ، إلى خط حدودي Boundary line بين أربع دول أفريقية مســتقلة هي السودان وتشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا .

فقد قُصد في البدء من الحدود الغربية للسودان الحـــالي أن تقســم منـــاطق النفـــوذ البريطاني من جانب ومناطق النفوذ الفرنسي ، أو ما عرف بأفريقيا الإســـتوائية الفرنســية من جانب آخر . ثم تطورت مناطق النفوذ في مرحلة تالية إلى تخوم Frontier بين ما كـــان يسمى السودان الإنجليزي المصري من ناحية وما كان يسمى {تشاد – أوبانقي –شـــادي} من ناحية أخرى . ثم تبلورت تلك التخوم لتشكل في مرحلة لاحقة خط حدود دوليـــة فـــي ١٩٢٤م بين السودان من جانب وجمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد من جانب آخر . كمـــا أن تلك التخوم انتهت لتكون خط حدود دولية في ١٩٣٤م بين السودان من ناحيـــة وليبيـــا مـــن ناحية أخرى .

لقد كان لانفراد بريطانيا وفرنسا في المبتدأ وتكريس اهتمامهما علـــى مصالحـــهما الخاصة ، الرامية لإنشاء مواطئ لاحتلال أراضٍ وأقاليم شاسعة في أفريقيـــا، باعتبارهمـــا القوى العظمى ، أثره في خلق تعقيدات سياسية وإشكاليات قانونية بالنسبة لدولة أخـــرى . فلقد ثبت أن تحديد مناطق النفوذ البريطاني الفرنسي ، بموجب معـــاهدة ١٨٩٨ وإعـــلان ١٨٩٩م ، لم يأخذا في الاعتبار وضع أراضٍ كانت من المفترض أنها مندرجة في نطـــاق مصالح ونفوذ دولة أخرى ، هي الدولة العثمانية ومن بعدها إيطاليا . ولقد قرأنا في القســـم

الثاني الخلافات الدبلوماسية والمجادلات القانونية والمطبات السياسية التي نشأت بين الدولة العثمانية وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا . بإعتبارها نتيجة طبيعية لتلك الملابسات كما سنذكر ذلك لاحقاً .

ويحث الكتاب في البابين الثالث والرابع من القسم الأول ، موقف علي دينار بعد أن قام الفرنسيون باحتلال مملكة وداي وشرعوا في التوسع شرقاً في اتجاه السودان . وأبان البحث دفاع سلاطين عن تبيعة دار مساليت ودار قمر ودار تاما إلى دارفور . ولا شك أن هذين البابين قد كشفا العبء العظيم الذي تحمله علي دينار في شحذ حكومة السودان لحماية الجبهة الغربية للسودان المعاصر ضد التوغل الفرنسي . كما أن البابين المذكورين وضحا الدور الذي لعبه سلاطين باشا في الدفاع عن أراض شاسعة واسعة في مواجهة الطموحات الفرنسية .

وعكست الأبواب الخامس والسادس والسابع الأساليب التي كانت تدير بها الدول الاستعمارية دبلوماسية الحدود في أفريقيا . وكشف البابان الثامن والتاسع الصعوبات والإشكاليات التي تواجه تفسير معاهدات الحدود على الطبيعة . كما رسخ الباب العاشر الكيفيات والظروف والملابسات والخطط التي أدارت بها الحكومتان البريطانية والفرنسية مفاوضات لندن التي انتهت بإبرام بروتوكول العاشر من يناير ١٩٣٤م ، بشأن تخطيط الحدود بين السودان وأفريقيا الاستوائية الفرنسية ، أي جمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد الحاليتين .

وناقشنا في الباب الحادي عشر أثر الاستقلال على الحدود الموروثة من الاستعمار في القانون الدولي . فإذا كان بروتوكول العاشر من يناير ١٩٢٤م ، قد حسم في الأساس تخطيط الحدود التي بدأ مشوار تعيينها منذ معاهدة يونيو ١٨٩٨م ، مروراً بإعلان مارس ١٨٩٩م ، وانتهاء بمعاهدة ١٩١٩م ، والتي أبرمت جميعها بين بريطانيا وفرنسا ، إلا أن من الطبيعي أن يثور التساؤل حول مدى أثر استقلال الدول على المعاهدات والإعلانات والبروتوكولات التي أبرمتها الدول الاستعمارية بالنسبة للحدود . وبالتحديد هل السودان وتشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا ملزمة بمعاهدات الحدود التي أبرمتها الدول الاستعمارية بشأن حدودها ؟ .

لا شك أن ميلاد دول جديدة في أقاليم كانت ترزح تحت نير الاستعمار ، قد أثار ويثير بالضرورة بعض الإشكاليات بل والمنازعات الحدودية . فلسبب أو لآخر قد ترى دولة جارة لدولة أخرى أن مغادرة الدولة (المستعمِرة) مناسبة سائغة للمطالبة بمراجعة أو إعادة النظر في حدود نافذة أو منجزة سلفاً Executed boundary. وكما قرأنا في بحثنا للحدود بين السودان وكل من تشاد وأفريقيا الوسطى فإن ثمة مجموعات لها وشائج عرقية أو دينية أو قبلية عبر الحدود المشتركة . وهو وضع كان نتاجاً للطبيعة المتفردة للحدود التي رسمتها القوى الاستعمارية خلال زمن السباق لحجز واحتلال الأقاليم في أفريقيا ابتداءً من مؤتمر برلين ١٨٨٤-١٨٨٥م . وبالتالي لم يكن غريباً أن طالبت بعض الدول الخلف Successor ، مثل الصومال والمغرب ، بحدود جديدة يتم ترسيمها على ضوء الأسس التي أشرنا لها سلفاً .

لكن الوضع في القانون الدولي على خلاف ذلك تماماً . فبموجب الاستخلاف الدولي State succession تعتبر الأقاليم التي كانت مستعمَرة لدولة ما ، وارثة عند حصولها الاستقلال للمعاهدات التي كانت الدولة المستعمِرة قد قامت بإبرامها . لذلك قال الفقيه البريطاني المشهور اللورد (ماكنير) Mc-Nair في مؤلفه المشهور الموسوم بـ **{قانون المعاهدات} ١٩٦١م : {إن المبدأ العام هو أن الدول الناشئة جديداً والتي تنتج عن انفصام عضوية سياسية ، ليس من العدل القول بأنها تنطوي على استمرارية سياسية مع السلف Predecessor، بل هي تبدأ بسجل نظيف فيما يتصل بأمور الالتزامات التعاقدية ، إلا إذا تم قبول تلك الالتزامات كمقابل لمنح الاعتراف بالدولة الجديدة أو لأسباب أخرى ، وكذلك فيما عدا ما يتصل بالالتزامات (المحلية المحضة) Purely local أو (العينية) Real الخاصة بالدولة التي كانت تمارس في السابق السيادة على إقليم الدولة الجديدة }.**

إن انتقال أو أيلولة المعاهدات قد يكون تلقائياً أو باختيار الدول الجديدة كيف يكون الحال . ومن الثابت أن المعاهدات المنشئة لحدود تصبح ، من حيث النظرية والتطبيق ، عند التصديق عليها نافذةً ومنجزةً ، وبالتالي تسري باعتبارها نوعاً من أنواع نقل أو تحويل أو انتقال الملكية Conveyance . ومن ثم **{فإن الدولة الوارثة}** كما قال القانوني العالم **{ليستر}** Lester في مقال نشره في ١٩٦٣م بعنوان **{استخلاف الدول في المعاهدات}** : **{ترث أو تستخلف ليس على المعاهدة في حد ذاتها ، بل هي ترث وتستخلف حدود**

إقليمها ، كما هي تفعل للوقائع الأخرى المتعلقة بحياتها الدولية }. ويستنبع من ذلك أنه ومنذ أن يتم تنفيذ أو إنجاز النصوص الحدودية ، **فإنها تفقد صفتها التعاقدية ، بحيث يمكن فصلها عن النصوص الإضافية بخلاف النصوص التي تحدد الخط** . بيد أن هذا لا يمنع الأطراف من الاستشهاد بمحتويات المعاهدة باعتبارها أمارات للسند في أي جدل أو نزاع لاحق .

إن المؤشر الواضح للتطبيق الدولي بالنسبة لهذا المجال ، في القانون الدولي ، يؤكده الميراث الإقليمي للدول الجديدة التي انبثقت في أفريقيا وآسيا منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي. فكلها إن لم يكن أغلبها ، اعتبرت اتفاقيات الحدود نوعاً من أنواع نقل أو تحويل أو انتقال الملكية . أي أن اتفاقيات الحدود بحكم طبيعتها فهي على خلاف الترتيبات التعاقدية العادية تنشئ بحكم طبيعتها **{مركزاً موضوعياً بحسب الأصول** An Objective Juridical Situation **يظل مستمراً بمعزل عن وباستقلالية تامة عن وجود الأطراف الموقعين الأصليين شريطة إمكانية إثبات رابطة فعلية بين أحدهما أو بينهما الاثنين مع الدولة الوارثة}** .

لقد رسخت سابقة قضية**{معبد بريه فايهير}** The Temple of Preah Vihear وهي من أشهر القضايا الحدودية التي قضت فيها محكمة العدل الدولية بين كمبوديا وتايلاند عام ١٩٦٢م ، الاعتبارات التي أملت هذه السياسة والتوجه الذي يدعم هذا النظر . فقط قالت المحكمة : {عندما يقوم بلدان بإقامة حدود بينهما فإن أحد الأهداف الرئيسية من ذلك هو تحقيق الاستقرار والنهائية Stability and Finality . ويكون ذلك مستحيلاً إذا كان الخط الذي تمت إقامته يمكن ، في أي لحظة وعلى أساس عملية متاحة باستمرار ، نقضه والمطالبة بتصحيحه كلما تم اكتشاف عدم دقة بالنسبة لأي نص في المعاهدة . إن مثل هذه العملية يمكن أن تمضي وتستمر إلى ما لا نهاية ، ولا يمكن في النهاية التوصل إليها طالما كان ممكناً بقاء ثغرات لم يتم اكتشافها بعد . إن مثل هذه الحدود خلافاً إلى أنها تظل بعيدة جداً عن الاستقرار ، تبقى قابلة للتصدع وهدفاً للفشل} .

وأفردنا البابين الثاني عشر والثالث عشر من القسم الأول ، للأوضاع على الحدود المشتركة بعد الاستقلال بين السودان وتشاد طوال الفترة التي امتدت منذ استقلال تشاد في ١٩٦٠م وحتى يونيو ١٩٨٩م ، أي بداية عهد حكم الإنقاذ . وكذلك للأوضاع على الحدود

المشتركة بعد الاستقلال بين السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى منذ ١٩٦٠م وحتى ٢٠٠٣م . وقد يتبدى أن مادة هذين البابين لا تتصل مباشرة بموضوع الحدود بالمعنى الدقيق والحرفي للحدود ، كحد فاصل بين الدول . كما قد يتبدى تساؤل حول تحديد انتهاء الباب الثاني عشر بـ يونيو ١٨٩٨م وتحديد الباب الثالث عشر بـ ٢٠٠٣م .

إن الاهتمام ببحث الأوضاع الحدودية مرده إلى أن كثيراً من المشكلات التي تنشأ على الحدود قد يكون سببها الأساسي هو إقامة معسكرات اللاجئين الفارين لأي سبب من أسباب اللجوء من بلدهم الأم ، بالقرب من الحدود المشتركة ، أو التباين في الأيديولوجيات والتوجهات السياسية بين حكومات الدول ذات الحدود المشتركة ، أو عبور القبائل الحدودية لخط الحدود بحثاً عن الكلأ والماء كما شرحنا ذلك في متن الكتاب . وقد تفرز هذه الحالات المؤقتة آثاراً سالبة علي المركز القانوني للحدود . وقد ينعكس ذلك في التنازع حول المعاهدات الحاكمة للحدود كما حدث في السابق بين السودان وإثيوبيا ، أي قبل اتفاقية ١٩٧٢م ، كما قد ينعكس في بسط ادعاءات على نحو أو آخر على الأرض كما حدث في منطقة قايا وأنديبوكا مع تشاد ، وفي منطقة أم دافوق مع جمهورية أفريقيا الوسطى .

أما تحديد بحث مسألة الأوضاع الحدودية مع تشاد بـ يونيو ١٩٨٩م وليس سنة ٢٠٠٣م ، فإن ذلك يرجع إلى أن المركز القانوني للحدود والذي ظل سائداً منذ إبرام بروتوكول ١٩٢٤م ، قد دخل مرحلة متطورة وجديدة على خلاف الوضع مع جمهورية أفريقيا الوسطى . وهذا يقودنا إلى الأبواب الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر .

فالأول منها ناقش مفهوم وكيفية وأساليب وطرق تخطيط الحدود في القانون وكذلك من حيث التطبيق . ذلك أنه في عملية تخطيط الحدود على وجه الخصوص ، تنشأ عادة النزاعات على الحدود ، كما أن العناصر الضعيفة في معاهدات واتفاقيات الحدود تكون حرية بالاكتشاف . فقد توجد معالم هامة في مواقع غير متوقعة ، وقد تبرز العديد من النقاط المحلية ذات الأهمية البالغة التي لم يأخذها الذين قاموا بإبرام معاهدات الحدود في الطاولات والمجالس الدبلوماسية في الحسبان .

ويكتسب الباب الخامس عشر أهمية بالغة في هذا الكتاب . فإذا كان المفهوم الحديث لصناعة الحدود ينطوي على تعيين الحدود Delimitation ، وتخطيط الحدود

Demarcation ، وإعادة وضع علامات تخطيط الحدود التي اندثرت أو اختفت لأي سبب من الأسباب Re-demarcation ، وتكثيف الحدود Condensation ، وحفظ ووقاية الحدود Preservation ، فإن وزارة الداخلية السودانية قد بذلت جهداً مقدراً في سبيل تحقيق هذه المفاهيم جميعها . فلقد استغلت ، في العقد الأخير من القرن العشرين {١٩٩٠-٢٠٠٠} العلاقات السياسية المواتية بين السودان وتشاد من ناحية ، وإمكانية الحصول على المال اللازم من ناحية أخرى ، فدفعت بموضوع إعادة وضع علامات تخطيط الحدود بين الدولتين إلى حيز الواقع . وقد انتهى ذلك الجهد بإبرام **{محضر وضع علامات الحدود بين السودان وتشاد : ٣٠ ديسمبر ١٩٩٤-١٨ مارس ١٩٩٥م}** .

ولا يقدح من شأن ذلك الإنجاز أنه تم في شكل {محضر} . ذلك أنه إذا تم في شكل اتفاق أو اتفاقية أو بروتوكول أو إعلان أو مذكرات متبادلة أو ميثاق ، فهو معاهدة دولية بموجب اتفاقية فيينا بشأن قانون المعاهدات لسنة ١٩٦٧م لتعريف المعاهدة . فالشكل الذي يفرغ فيه الاتفاق لا يؤثر في حجيته القانونية . من ناحية أخرى لقد كان من الأصوب والأدق أن يكون عنوان الاتفاق هو : **{محضر إعادة وضع علامات تخطيط الحدود بين السودان وتشاد}** حتى يكون منسجما مع قضية السودان الأساسية . وهي أن الحدود بين الدولتين قد تم تخطيطها سلفاً بموجب بروتوكول ١٩٢٤م ، وأن ما تم في ١٩٩٤-١٩٩٥م ما هو إلا في جوهره إعادة لوضع العلامات على تخطيط الحدود السابق، بالإضافة إلى تكثيف نقاط الإرشاد والعلامات ، وكذلك الاتفاق على المحافظة عليها .

أما الباب السابع عشر فقد عرضنا فيه إصرار الدولتين على تكملة إعادة وضع العلامات الحدودية في الجزء الذي لم يكتمل بعد. بيد أن ما قام به الطرفان من اجتماعات واتفاقيات في هذا الشأن يؤكد على قناعة الدولتين بما قاما به سلفاً وحرصهما على تكملة المشوار . وبالفعل قد قاما بكل الإجراءات والاستعدادات والالتزامات التي تؤدي إلى تحقيق تلك الغاية . **بيد أن من المسلم به أن من أهم الشروط اللازمة للقيام بتخطيط أي حدود أو إعادة وضع علامات تخطيط الحدود ضرورة توافر الأمن . ولما كانت الظروف الأمنية على المناطق الحدودية بين السودان وتشاد لم تعد آمنه كما كانت في ١٩٩٥م حيث تدهورت كثيراً منذ بداية عام ٢٠٠٣م وحتى كتابة هذه الخاتمة في مارس ٢٠٠٤م، فإن القيام بإعادة وضع علامات الحدود أصبح أمراً غير سائغ إن لم يكن ضرباً من المستحيل في مثل هذه الظروف .**

القسم الثاني من هذا الكتاب خاص بالحدود بين السودان وليبيا . وقد جاء في ثمانية أبواب. عرضنا في الباب الأول الأصول التاريخية والقانونية للحدود بين الدولتين. وكما قرأنا فإن الأصول القانونية لحدود السودان مع جمهوريتي أفريقيا الوسطى وتشاد هي ذات الأصول التاريخية لحدود السودان مع ليبيا ، ابتداءً من معاهدة يونيو ١٨٩٨م ومروراً بإعلان مارس ١٨٩٩م وانتهاءً بمعاهدة ١٩١٩م . وجميع تلك الآليات القانونية تم إبرامها بين بريطانيا وفرنسا كما قرأنا .

ولما كان التسابق بين بريطانيا وفرنسا بقصد احتلال الأراضي محموماً دون مراعاة حتى لمصالح ما كان يتبع لدول أخرى ، فقد شرح الباب الثاني كيف تقاطعت حقوق الدولة العثمانية الاقتصادية والدينية في ليبيا مع تطلعات وطموحات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في تحديد أو حجز أقاليم لها في ذلك الجزء المتاخم لحدود السودان الغربية . وكما كشف الباب الثالث فإن إيطاليا اضطرت في مرحلة لاحقة ، لبذل جهود كبيرة لإثبات تعارض الحدود الواردة في معاهدة ١٩١٩م مع الحدود المنصوص عليها في إعلان مارس ١٨٩٩م .

وبالرغم من أن بريطانيا وفرنسا ظلتا تجادلان ، في سبيل تبرير ما قامتا به من حيازات دون مراعاة لحقوق الدول الأخرى ، بأن الدول العثمانية لم تعترض عندما حددتا مناطق نفوذهما في أواخر القرن التاسع عشر ، فقد أكد الباب الرابع وهن وضعف ذلك الجدال . فقد ثبت أن الحكومتين البريطانية والفرنسية اكتشفتا في ١٩٢٣ أي بعد أكثر من عشرين سنة ، أن الحكومة التركية قد احتجت بشدة على إعلان مارس ١٨٩٩م ، بعد إصداره بوقت وجيز جداً .

وشرح لنا الباب الخامس من هذا القسم أن احتلال إيطاليا للكفره مقترناً بإشكالية تحديد موقع العوينات ، شكلا بداية اهتمام الرأي العام البريطاني بمسألة الحدود بين السودان وليبيا . وكما قرأنا في الباب السادس فإن توغل الإيطاليين جنوباً ، أي في اتجاه ما كان يعتبر أجزاء من السودان ، قد فرض على السلطات البريطانية التحرك بجدية نحو القيام باستكشافات جوية في العوينات وفي ما كان يعرف بـ مثلث السارة .

ويحث الباب السابع الظروف والملابسات التي دفعت بريطانيا للتخلي عن مثلث السارة السوداني لإيطاليا لاعتبارات على أسس سياسية محضة . وبذلك فقد السودان جزءاً

كان من الممكن أن يكون أرضاً سودانية . وكما وضحنا في القسم الأول ، في سياق شرحنا لمبدأ وقاعدة الاستخلاف بين الدول وقرار منظمة الوحدة الأفريقية ، الصادر في القاهرة عام ١٩٦٤م ، بشأن التأكيد على قبول واحترام الحدود الموروثة ، فإنه لا سبيل للسودان لكي يفتح هذا الملف . فقد تأكد نقل مثلث السارة إلى ليبيا بمقتضى تبادل المذكرات عام ١٩٣٤م ، بين بريطانيا ومصر من جانب وإيطاليا من جانب آخر . وكما لاحظنا فإن إقحام مصر في مسألة تبادل المذكرات كان لاعتبارات المجاملة والكياسة الدبلوماسية من جانب السلطات البريطانية . فالثابت من البابين السابع والثامن ، بل من كل أبواب القسم الثاني من الكتاب ، أنه لم يكن لمصر أي دور يذكر في تحديد حدود السودان مع ليبيا .

بقي أن نوضح بأن الحدود بين السودان وليبيا وإن كانت معينة بجلاء في تبادل المذكرات الذي تم في ١٩٣٤م ، إلا أن هذه الحدود لم يتم تخطيطها باستثناء جزء ضئيل جداً جداً على عهد الاستعمار كما قرأنا ذلك في متن الكتاب . ولعل السؤال الذي يفرض نفسه ، سيما على ضوء ما تم بالنسبة لحدود السودان مع تشاد ، هو ما إذا كانت ثمة ضرورة لقيام الدولتين بتخطيط الحدود المشتركة بينهما ؟ .

صحيح أن المفهوم التقليدي لصناعة الحدود ، ولا نقول هنا المفهوم المعاصر كما شرحنا ذلك سلفاً ، يقتضي مرحلتين . الأولى هي تعيين الحدود Delimitaiton والمرحلة الثانية هي تخطيط الحدود المعينة على الطبيعة Re-Demarcion . والثابت في حالة الحدود المشتركة بين السودان وليبيا أن المرحلة الأولى قد تم إنجازها منذ عام ١٩٣٤م كما أثبتنا ذلك . وأنه بالرغم من الضيم الذي لحق بالسودان ، إلا أنها أصبحت ملزمة ولا مناص من قبولها واحترامها .

لا شك أن تخطيط الحدود يكمّل صناعة الحدود . ويكتسب التخطيط أهمية بالغة إذا كانت ثمة نزاعات على الطبيعة . والأصل أن هذه النزاعات لا تنشأ في أغلب الحالات ، إلا في المناطق المأهولة بالسكان . بيد أن الحدود المعينة بين السودان وليبيا ، مرسومة بخطوط هندسية وحدود فلكية ، مما يعني سهولة توضيحها على الأرض إذا اقتضت الضرورة ذلك . ثم أن الحدود بين الدولتين تشق صحراء جرداء لا ماء فيها أو كلأ يذكر . إضافة إلى ذلك أن عملية تخطيط الحدود ، كما شرحنا ذلك في الباب الرابع

عشر من الكتاب والموسوم بـ **{تخطيط الحدود في القانون والتطبيق}** هي عملية شاقة ومرهقة وباهظة التكاليف والنفقات المالية . وبالتالي فإن أهميتها تتضاءل إذا لم تتوافر الظروف والاعتبارات التي تملي على الدولتين القيام بتلك المرحلة.


إن من الثابت أنه لم ينشأ أي نزاع على قانونية وحجية الحدود المتفق عليها بين السودان وليبيا منذ ١٩٣٤م بالرغم من الانتهاكات الليبية لتلك الحدود خلال مرحلة الصراع الليبي التشادي ، وبالتالي فإن الكلام عن تخطيط الحدود بين السودان وليبيا يصبح تمريناً أكاديمياً لا علاقة له بالواقع . بيد أن ذلك لا يعني ولا ينفي إمكانية قيام الدولتين بتوضيح الحدود على الأرض ، في منطقة معينة ، إذا نشأت الظروف التي تبرر عادة القيام بذلك .

***

ملاحـــــــق

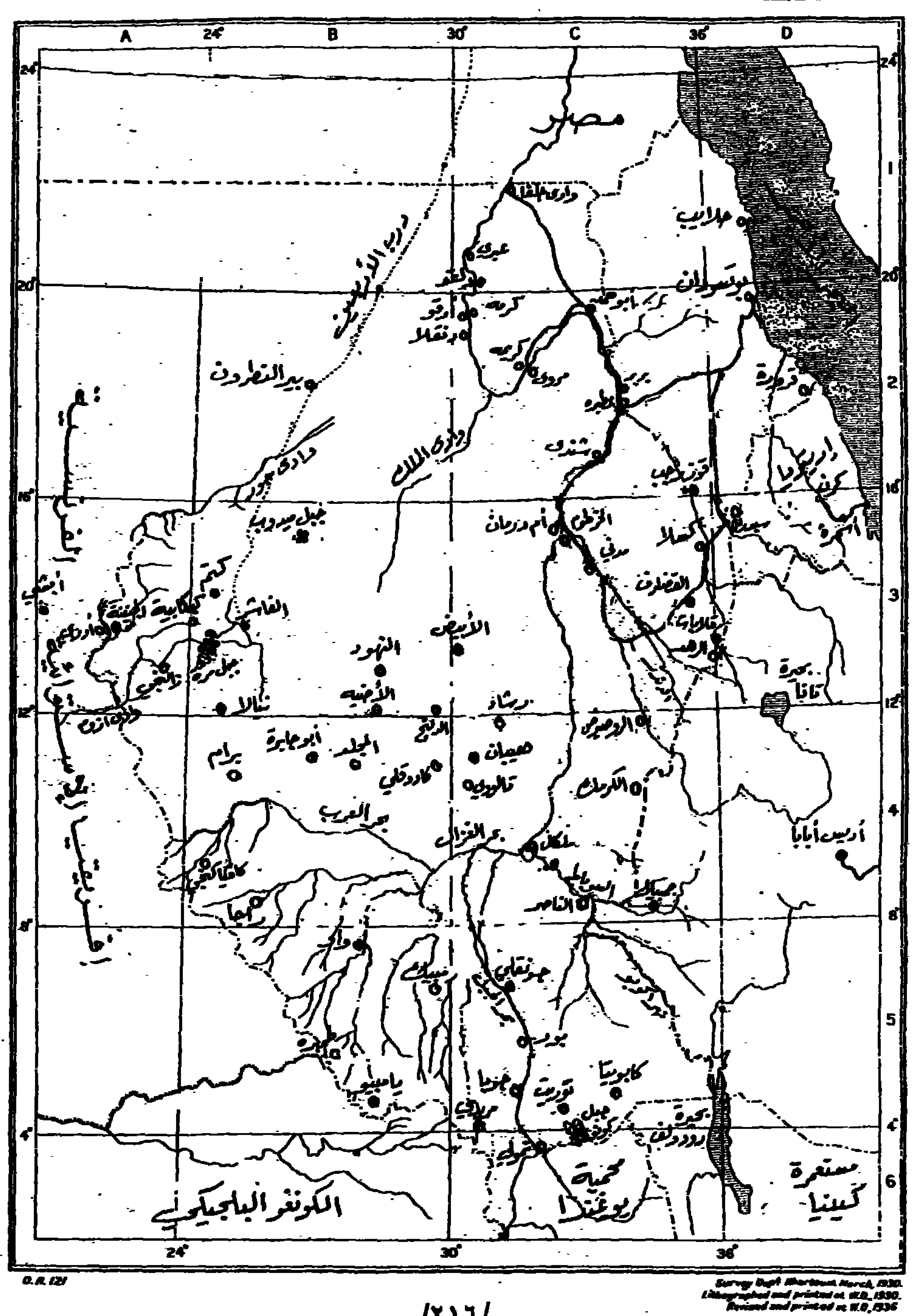
ملحق رقم "١"

مُعاهدة يونيو ١٨٩٨م و إعلان مارس ١٨٩٩م



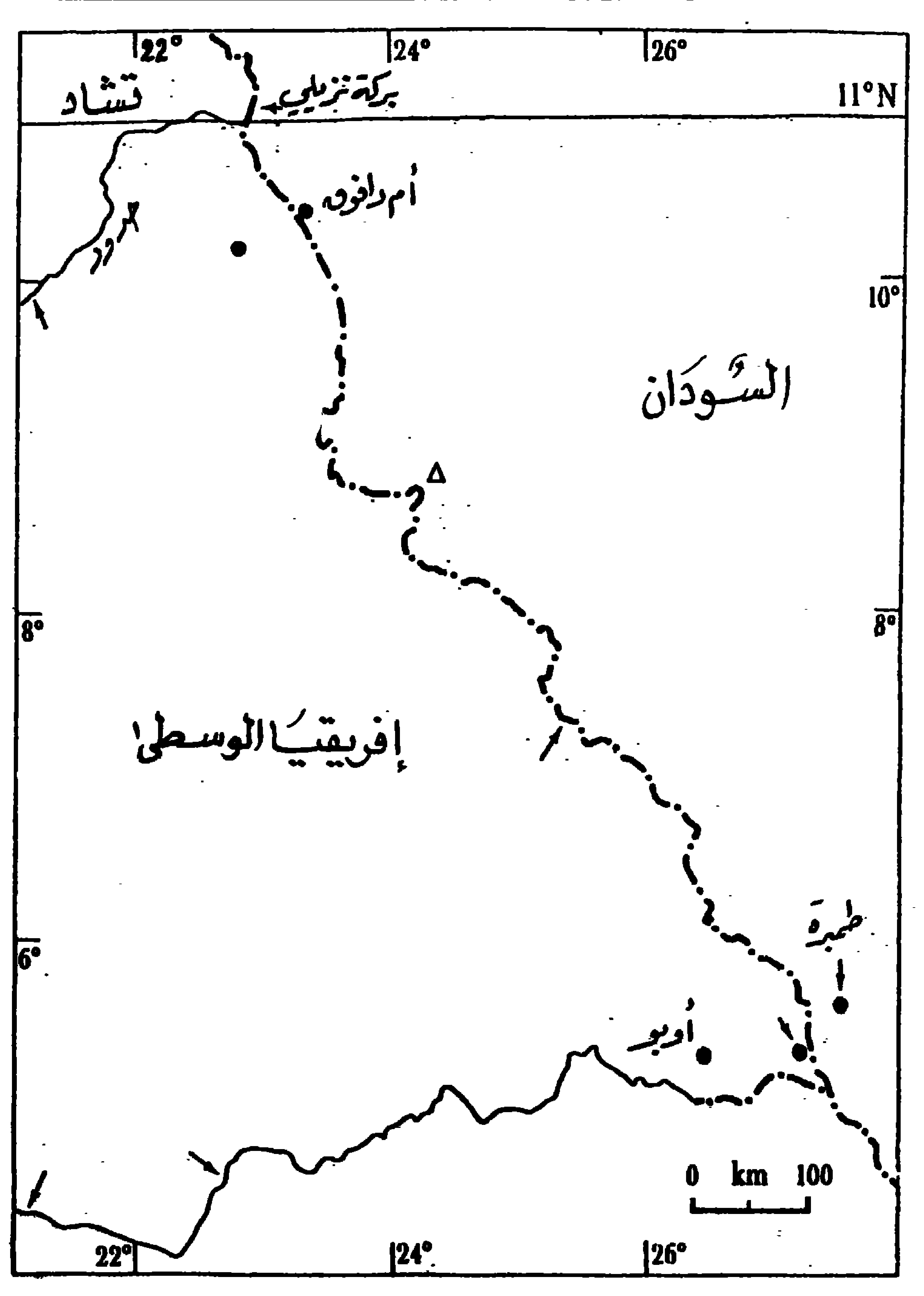
السودان الإنجليزي المصري

ملحق رقم "٢"



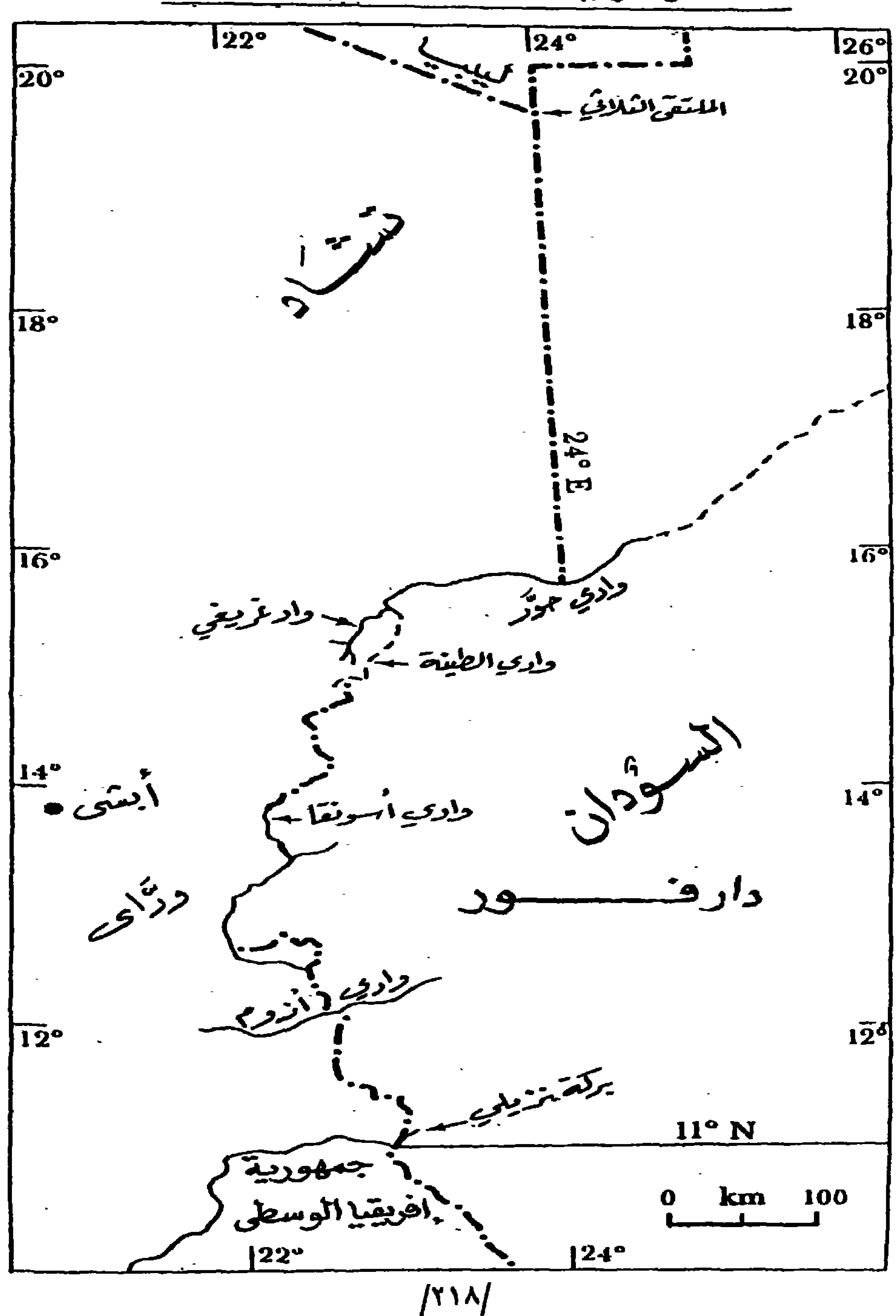
ملحق رقم "٣"

الحدود بين السودان وجمهورية إفريقيا الوسطى



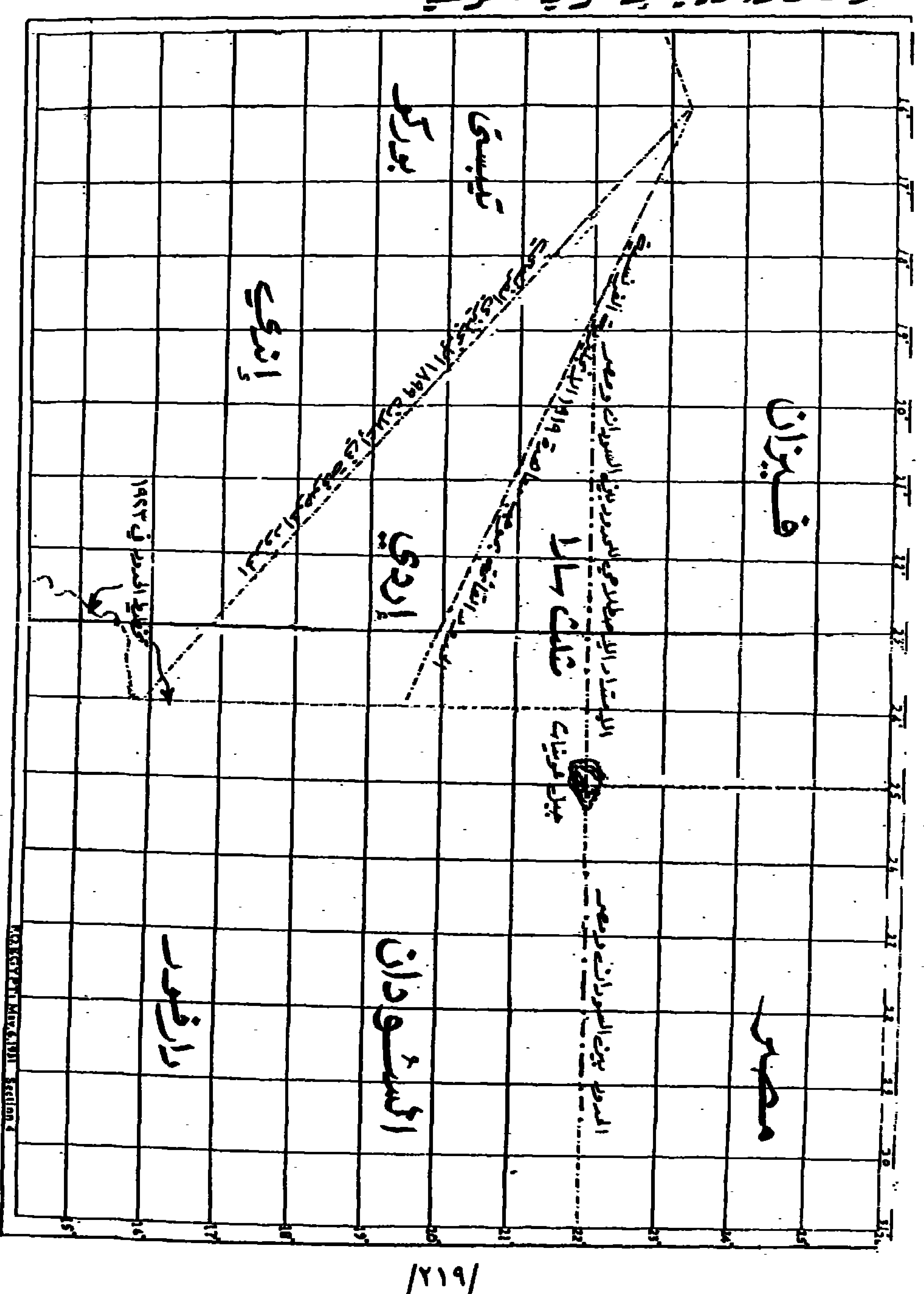
ملحق رقم "٤"

الحدود بين السودان وتشاد



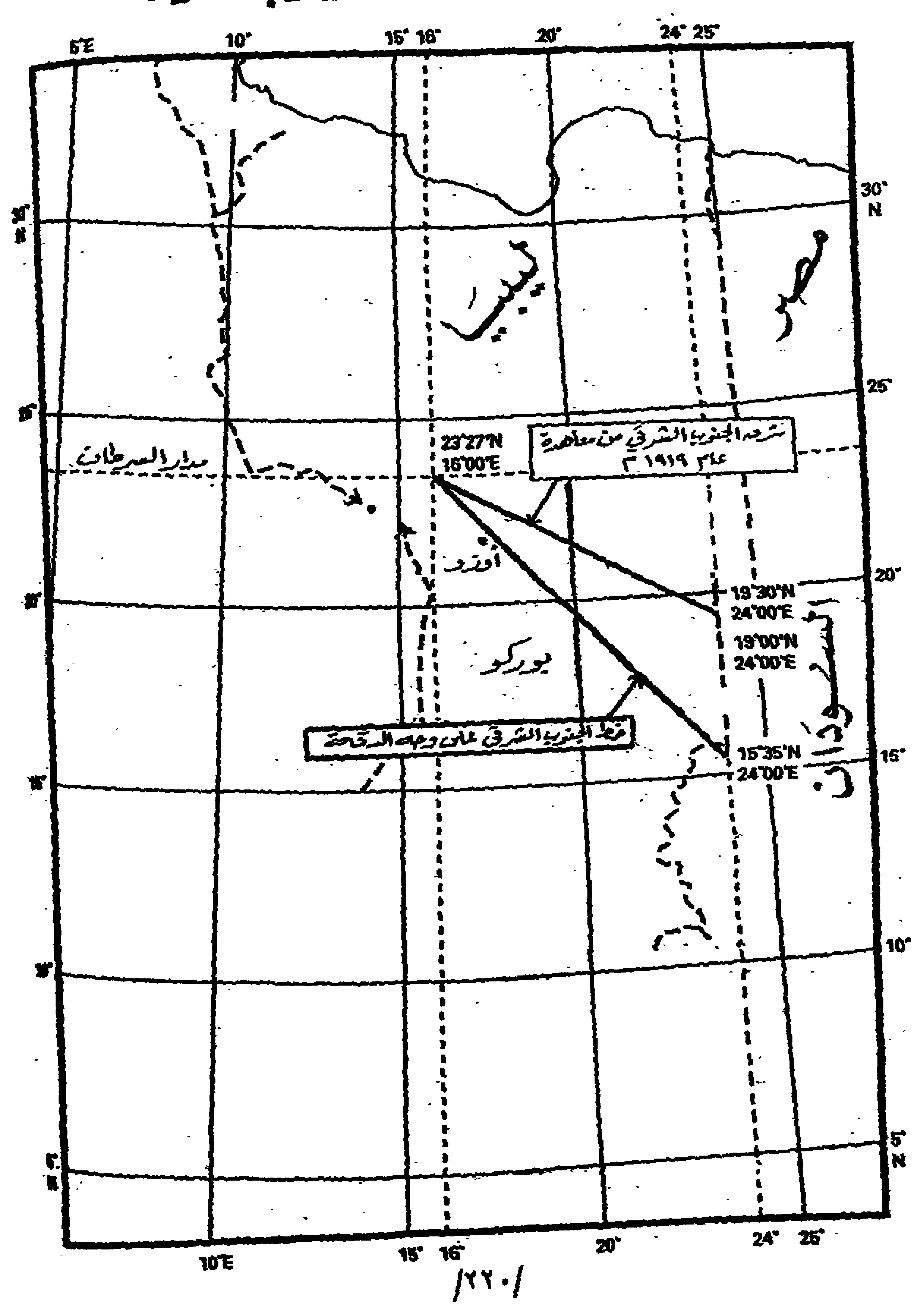
ملحق رقم "٥"

الذى أرفقه نيوبولد "لاحقا السكرتير الإدارى" مع مذكرته التى رفعها لحكومة السودان عام ١٩٣١ بشأن الحدود بين السودان وليبيا ومصر وإفريقيا الإستوائية الفرنسية .

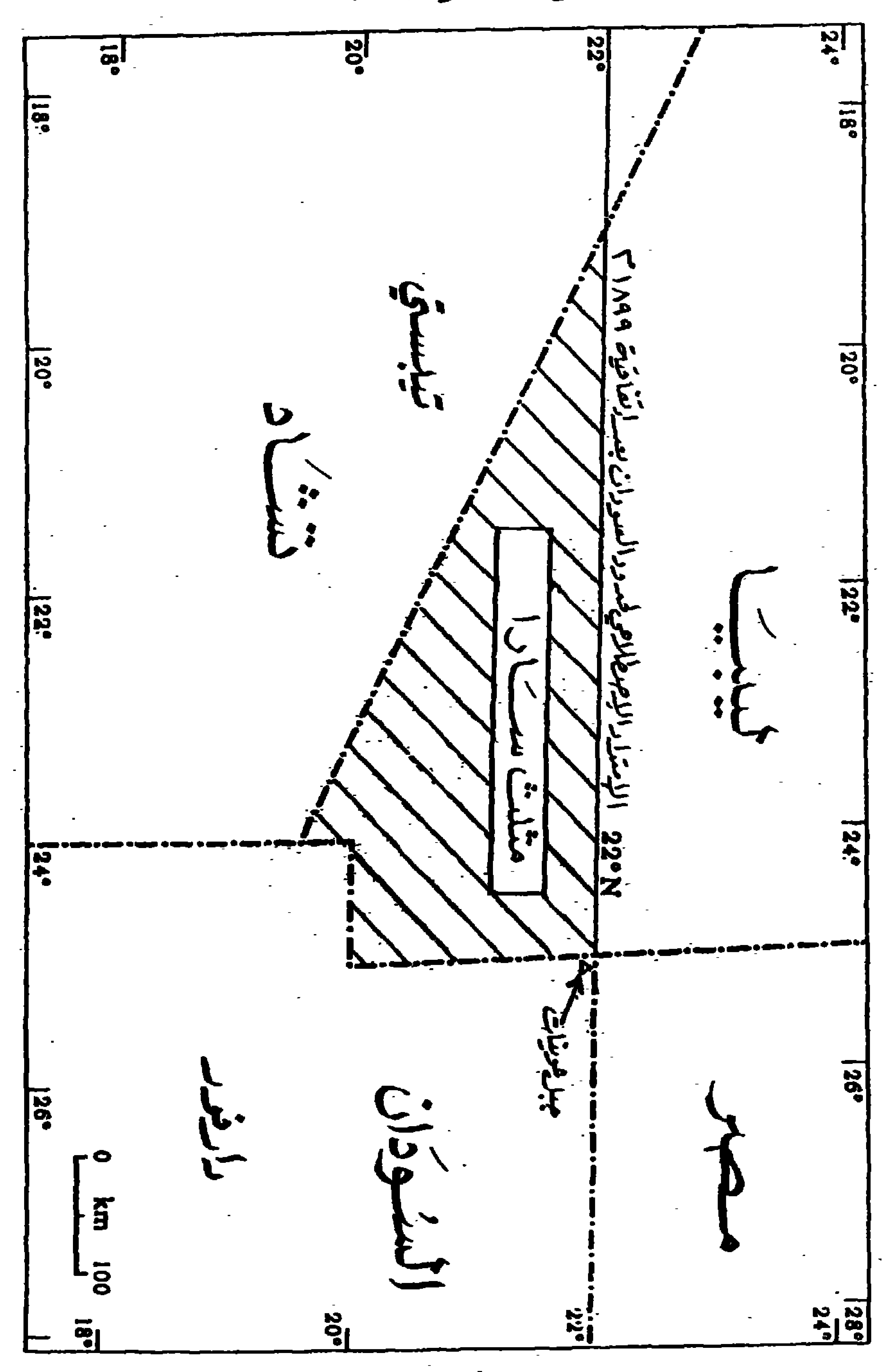


ملحق رقم "٦"

يوضح خط معاهدة ١٩١٩م الإنجليزية الفرنسية وخط الجنوب شرقه على وجه الدقة



ملحق رقم "٧" يوضح مثلث سارا السوداني الذي ضمه الإنجليز إلى إيطاليا في عام ١٩٣٤م



أعمال المؤلف العلمية

أولا: البحوث المنشورة باللغة العربية في الدوريات

(1) اتفاقية الكويت لحماية البيئة البحرية في الخليج، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية 1979 جامعة الكويت.
(2) الذرائع القانونية والدبلوماسية للتوسع الاستعماري في أفريقيا، مجلة العلوم الاجتماعية 1980 جامعة الكويت.
(3) نفقات التقاضي الدولي وفقاً لقواعد التحكيم أمام غرفة التجارة الدولية في باريس، مجلة الفتوى والتشريع 1985.
(4) حق حماية اللاجئين في القانون الدولي، التقنين والتطوير، المجلة المصرية للقانون الدولي 1985.
(5) نزاع الحدود بين السودان ومصر في كتاب العلاقات المصرية السودانية، جامعة القاهرة وجامعة الخرطوم 1990.

ثانياً: البحوث المنشورة باللغة الانجليزية في الدوريات:

(1) الحدود بين السودان وزائير، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة الكويت 1988.
(2) التاريخ الدبلوماسي للحدود في أفريقيا، مجلة العلوم الاجتماعية 1989.
(3) المصادر القانونية للحدود الدولية في أفريقيا، مجلة القانون، كلية الحقوق جامعة الكويت 1990.
(4) اللاجئون والتنمية: دراسة الوضع في السودان، كتاب أصدرته مؤسسة التنمية الدولية الألمانية بعنوان: اللاجئون ومشكلات التنمية في العالم 1986.
(5) المصادرة القانونية لمشروعية الحدود التي رسمتها القوى الاستعمارية في أفريقيا، مجلة الحقوق، جامعة الكويت ١٩٨٨.

ثالثاً: الكتب التي قمت بتأليفها:

(1) دبلوماسية الحدود في أفريقيا: نزاع الحدود بين السودان وإثيوبيا 1980.
(2) قانون الإثبات مقارنا بالقانون الانجليزي المصري والهندي (طبعتان 1984 ــ 1990).
(3) قانون الإثبات تشريعيا وفقها وقضاء (1994 ــ 1998) أربع طبعات (1994، 1995، 1997، 1998).
(4) القانون الدولي العام وفقا " للقضاء والتطبيق والتشريع"، الجزء الأول، طبعتان (1998 ــ 1987).
(5) حدود السودان الشرقية مع إثيوبيا وأريتريا، 2000.

رابعاً: مراجعات كتب صدرت باللغة الانجليزية منها:

(1) إيران وهم السلطة 1979، (مجلة دراسات الخليج).
(2) المحيط الهندي واحة سلام أم منطقة تنازع 1986، (مجلة دراسات الخليج).
(3) استيعاب المفاهيم القانونية الغربية في دول الخليج، (مجلة دراسات الخليج).

رقم الإيداع ٢٠٠٤/٩٩١٣

المؤلف في سطور

* د.البخاري عبدالله الجعلي.
* من مواليد مدينة بربر بالسودان.
* يحمل درجتي الماجستير والدكتوراه في القانون الدولي من جامعة لندن ١٩٧٥.
* درس الخلوة والابتدائي والأوسط والثانوي في مدينة امدرمان.
* عمل في وزارة الشؤون الداخلية حتى أصبح وكيلا للوزارة في ١٩٨٠ وتركها بالتقاعد الاختياري ١٩٩٠.
* عمل مستشارًا في إدارة الفتوى والتشريع في دولة الكويت ١٩٨٤-١٩٩٠.
* حاضر في جامعة امدرمان الإسلامية، وجامعة القاهرة فرع الخرطوم، وجامعة النيليين بالسودان أستاذًا في القانون الدولي وقانون الإثبات.
* له العديد من المؤلفات والأبحاث المنشورة بالدوريات باللغتين العربية والإنجليزية مرصود بعضها في الصفحة الأخيرة من الكتاب.
* مارس المحاماة والتحكيم والتقاضي الدولي في السودان ولندن وسان فرانسيسكو وغرفة التجارة الدولية في باريس.
* عمل في كل اللجان الحدودية المشتركة بين السودان وكل من أثيوبيا وكينيا ويوغندا وتشاد وأفريقيا الوسطى ومصر وترأس أعمالها.
* عمل خبيرًا قانونيًا في إدارة قضايا الدولة، وزارة العدل، بدولة قطر.
* مهتم بالصحافة وكان نائبًا لرئيس مجلس إدارة صحيفة (الرأي الأخر) السودانية ومستشارًا لها.

